



تأليف

الشيخ عبد الحفيظ الخنقي

تحقيق

الدكتور عمار طالبي

منشورات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف - الجزائر
قسنطينة عاصمة الثقافة العربية 2015



تأليف

الشيخ عبد الحفيظ الخنقي

تحقيق

أ.د. عمار طالبي

الطبعة الأولى: 1436 هـ / 2015 م

رقم الإيداع القانوني: 2015-1079

الترقيم الدولي (ردمك): ISBN : 978-9961-914-70-0



تقديم

الشيخ عبد الحفيظ الخنقي

1850-1789

شيخ مدينة خنقة سيدي ناجي، ووليها، وناشر الطريقة الرحمانية بها، وبجبل ششار، عرف بالزهد وبساطة الحياة، تبعا لطريقته الصوفية الخلوقية.

مجاهد عاصر ثورة الزعاطشة، أيد هذه الثورة وقادها بفرقته الخاصة، أقام قاعدته عند وادي براز، قريبا من سيدي عقبة، ومعه مائتا فارس (200) وثلاثة آلاف مجاهد، في 17 سبتمبر 1848، وقتل في 1849 الضابط سان جرمان commandant St Germain شارك فيها أولاد معافى، وأولاد فرح وأولاد زيان، ولكن المعركة الكبرى كانت في 9 أكتوبر، فدافع آلاف المجاهدين عن وطنهم، وتكبد الفرنسيون خسائر فادحة رغم كثرة حشودهم، التي تبلغ عشرة آلاف، فقتل وجرح فيها حوالي ألف جندي، واستشهد فيها من المجاهدين ما بين 700 و800، وارتكب الجيش الفرنسي جرائم، فقطوا 7000 نخلة في الزعاطشة، و3000 في ليشانة.

واتجهت المعركة إلى ثورة سيدي الصادق بالحاج الرحماني الطريقة الذي عزم بقوة على محاربة "الرومي عدوّ الإسلام" مع قبيلته

أولاد أيوب، وساند سي الصغير بالحاج وسي بوزيان، ورفض رفضا تاما الاتصال بالفرنسيين، على خلاف بعض رجال الزوايا[1].

وتذكر بعض المراجع أن الشيخ عبد الحفيظ نجا من المـــوت في هذه المعركة، وأنه هاجر إلى نفطة من بلاد جنوب تونس وتوفي سنة 1850.

وقد احتلت الخنقة خنقة سيدي نـــاجي ســـنة 1845، واتجـــه المحتلون بعدها إلى وادي العرب، مرورا على جلال مدينة بني عمران، وتصدي لهم بنو معاف ثم اتجهوا إلى تبردقة وأحرقوها، إلى أن وصلوا إلى منطقة العامرة.

وبلدة خنقة سيدي ناجي مدينة تعرف بجمالهـــا ومســـاجدها ومدارسها، وكانت تسمى "بتونس الصغيرة" لما لها من إشعاع علمي، وثقافة إسلامية راسخة، وعرفت بمسجدها الشهيرالذي أسس ســـنة 1010هـــ/1602موتم تجديد المسجد عـــام 1147 هـــــ/1734م، وكذلك عام 1171هـــ/1750م، أشرف على بنائـــه بنـــاءون مـــن الخنقة[2]، تبعد الخنقة حوالي 100كم عن مدينة بسكرة شمالا.

---

[1] Abdelhamid Zouzou, l'Aures au temps de la France coloniale évolution politique économique et sociale, 1837- 1939. TOM I. P.251.

[2] وركّب باب المسجد الغربي شوال 1146هـــ/1634م، صنعه أحمد بن عمر الشريف الجبايلي، وكذلك بناء منارته في ذي الحجة من السنة نفسها.

وهذه البلدة بناها الشيخ المبارك بن قاسم بـــن نـــاجي ســـنة 1010هــ/1602م.

ومن أحفاده السيد محمد بن محمد الطيببن أحمد بن مبارك بـــن ناجي (1739/1152) الذي ألف كتابا في الفقـــه عنوانـــه "عمـــدة الحكام، وخلاصة الأحكام في فصل الخصام" أما زاوية سيدي مبارك فقد أسست سنة 1618 وتمت سنة 1863-1864.

أما المدرسة الناصرية[1] المشهورة التي درس بها الشـــيخ العـــربي التبسي فقد أسست في رجب 1171هــ/1758م، أسسها أحمد بـــن ناصروهو شيخ الخنقة، وجبل ششار، ذلك الجبل الذي قل زرعـــه، وشحت ثمراته، وهاجر منه عدد من أسره مثل أسرة أولاد خيار الذين استقروا بعين البيضاء، وقد قال أحدهم لما مرّ عليه:

جينـــــا على جبل شقشار   لقينا لا حشيش لا فرسان عشار

لقينـــــا القنـــافـــدة   يدقدقـــــوا فـــي الحجـــار

أما نسب الشيخ عبد الحفيظ، فهو عبد الحفيظ بن محمـــد بـــن أحمد بن عبد الحفيظ بن سي هجرس بن سي علي الشريف الونجلي، وآخر مقدم الطريقة، هو الأمين الحفيظي بن سي الطيب بن الحفناوي بن سيدي عبد الحفيظ بن محمد بن أحمد بن عبد الحفيظ بن ســـيدي

---

[1] وبها 15 غرفة لسكنى الطلبة الوافدين من خارج خنقة سيدي ناجي.

هجرس بن علي الشريف، كانت له زاوية في حي (التريسيتي) ببسكرة، توفي في أوائل الأربعينات.

ومن أبنائه: محمود أسس زاوية في ليانة، ثم انتقل إلى تونس وبها قبره.

وانتقل الحفناوي إلى تونس أيضا سنة 1854، له تأثير على أهل تبسة وعند احتلال تونس نادي للجهاد، فثارت قبيلة جدور معه، وتوفي سنة 1898.

ومنهم محمد الأزهاري، له أتباع كثيرون وعندما توفي سنة 1896 خلفه ابنه عبد الحفيظ، وله أتباع من حدود باتنة إلى سوق أهراس إلى تونس.

وبُني مسجد الشيخ عبد الحفيظ بالخنقة (1826-1827).

سنده في التصوف:

شيخه في التصوف هو الشيخ محمد بن عزوز البرجي الشريف الحسني (1233هـ) وخلفه من بعده شيخا للطريقة، ومن الشيخ محمد بن عزوز البرجي إلى شيخه عبد الرحمن باش تارزي القسنطيني (ت1221هـ) إلى الشيخ محمد بن عبد الرحمن الأزهري القشتولي الجرجري (ت1208هـ) إلى الشيخ محمد بن سالم الحفناوي

الأزهري الخلوتي (ت1181هـ)[1]، وكتب هذا السند في هامش المخطوط الذي اعتمدناه في التحقيق[2]، وخلف الشيخ عبد الحفيظ تلميذه الشيخ محمد الصادق بن مصطفى بن رمضان (1195-1283هـ).

ويذكر الشيخ عبد الحفيظ في رسالته الشيخ عبد الرحمن باش تارزي في كثير من المواضع ويشيد بما ألفه في الطريقة الرحمانية، وينقل من مؤلفاته نصوصا.

والشيخ عبد الرحمن باش تارزي هو عبد الرحمن بن أحمد بن حمودة بن مامش باش تارزي الكرغلي، ناشر الطريقة الرحمانية في نواحي قسنطينة، كتب على قبره الواقع في زاويته بمدينة قسنطينة أنه توفي في 3جمادى الأولى سنة 1221هـ.

كما يذكر في رسائله الشيخ محمد بن عبد الرحمن الأزهري صاحب الطريقة الرحمانية (ت1208هـ/1794م).

ومذهب عبد الرحمن باش تارزي المذهب الحنفي كما هو شأن الأتراك في الجزائر عامة.

---

[1] الشيخ عبد الحفيظ، الجواهر المكنونة، في العلوم المصونة، طبع بتونس 1315هـ، وكتب في آخر هذه الطبعة أن نجله سيدي بلقاسم الجنيد هو الذي تولى طبع هذا الكتاب سنة 1316هـ.

[2] ص7.

وهذه الطريقة معادية للاستعمار وشنّت عليه عـــدة ثـــورات، وقاومت الاحتلال مقاومة شديدة.

ويذكر الشيخ عبد الحفيظ بعض أبنائه في رسائله مثل محمـــد، ومحمود، ويكني نفسه بأبي محمد، وبأبي محمود[1]، وذلك في جوابـــه عن اسم الله الأعظم، "قال الشيخ المحقق المدقق أبو محمـــد ومحمـــود سيدي عبد الحفيظ بن محمد عن جواب ســؤال ورد عليـــه عـــام 1353هـ عن اسم الله الأعظم".

ويوجد في تونس العاصمة ضريح لسيدي محمود، ولعله ضريح ابنه هذا.

واستقر أحفاده في زاوية خيران قرب مدينة خنشلة، وفي تامزة، ولهم علاقة وثيقة بزاوية نفطة العزوزية جنوب تونس.

مؤلفاته:

له مجموعة من الرسائل:

1- التعريف بالإنسان الكامل.

2- الحكم الحفيظية وهي رسالة صوفية شرحها المكي بن الصـــديق المدرس والمفتي بجامع سيدي المبارك بخنقة سيدي ناجي، ألفهـــا الشيخ عبد الحفيظ سنة 1257هـ.

---

[1] ص209.

3- الجواهر المكنونة في العلوم المصونة التي حققناها في هذه الدراسة الموجزة وهي أطول رسائله.

4- غنية المريد ألفها سنة 1256هـ وتوجد مخطوطة في المكتبة الوطنية بتونس رقم 20221.

5- سر التفكر في أهل الذكر ألفها سنة 1247هـ كما نص على ذلك في النسخة المخطوطة.

غاية البداية في حكم النهاية.

وورد في فهرس الرسائل المطبوعة هذه العناوين:

1- في بيان الذكر والسلوك وأحوال المريدين، ونحو ذلك من أعالي مباحث علوم القوم، وهي التي ذكر في آخرها عنوانها: الجواهر المكنونة في العلوم المصونة (ص179)، ونصه: "وسميتها الجواهر المكنونة في العلوم المصونة" ونص على تاريخ تأليفها وهو 6شعبان 1242هـ (ص180). تبدأ من ص1-180.

2- رسالة امتزاج النفس بالطبائع وأسرار القلب وصفات الشيخ والمريد (من ص181-195) ألفها سنة 1249هـ وسماها: كيفية المريد في علوم سر التوحيد.

3- حزب جميل وكتر جليل، مذيّل بجدول مختوم ببعض خواص اسم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (من ص196-200)، وسماه بحزب الفلاح، وألفه سنة 1245هـ.

4- رسالة في سر دائرة الأولياء وأحوالهم (من ص201-208) طبع هذا المجموع بالمطبعة الرسمية التونسية سنة 1315هـ /1916م، وهو أحد أنجال الشيخ عبد الحفيظواسمه بلقاسم الجنيد بن محمد الأزهري.

5- جواب سؤال وجه له في الاسم الأعظم عرفنا الله به (من ص209-214) ألفه سنة 1353هـ وفي آخره قيده عام 1253.

6- رسالة نصرة المقتدي في أحوال عظمة الولي من ص215-222).

7- رسالة في صفة أرض المحشر (من ص223-224).

8- جواب سؤال هل يجوز لمشايخ الخلوتية العطايا الدنيوية (من ص225-243) ألفها 08 رمضان 1242هـ.

9- رسالة في نبذة من بيان سرّ التفكير في آلاء الله ونعمه (من ص244-247) ألفها عام 1247هـ.

10- وصية الشيخ للإخوان في كل زمان (من ص248-250).

11- رسالة في صفة العبد وعظم خلقه (من ص251-256).

12- شرحه على نظمه المسمى غنية الفقير (من ص256-266).

13- فصل ذكر فيه بعض أشعار المحبين (من ص266-273)، ألفها وسماها: الدرر المصدوفة في جواهر علوم الحضرة.

14- منظومة في شروط حضرة القدوس (من ص274-275).

15- منظومة تسمى نزهة الطريقة الخلوتية (من 276-278) ألفها سنة 1244هـ أو 1245هـ.المنظومة المسماة بفراسة الكمّل (من ص279-281) ألفها سنة 1251هـ.

16- رسالة ذكر فيها ما ورد في مذهب أهل الحق (من ص282-284).

17- مدائح من إنشاء الشيخ رضي الله عنه (ص285).

أولها:

1- القصيدة المسماة: بالحفيظية في تربية المريدين للطريقة الخلوتية والقاصدين السير إلى مقامات الصوفية (من ص285-295).

2- قصيدة أخرى في التربية (من ص296-302).

3- قصيدة في فضل الحجة التي حج فيها (من ص303-305)، وقد حج سنة 1232هـ مع جماعة من الصوفية.

4- قصيدة في زيارة النبي صلى الله عليه وسلم (من 306-309).

5- قصيدة في بيان فضل الطريقة الخلوتية الرحمانية (من ص310-312).

6- قصيدة في التربية بالطريقة الخلوتية والتحريض على التمسك بها (من ص313-314).

7- قصيدة مُسماة ببغية المتوسلين بالتحقيق (من ص315-317).

أما الشيخ عبد الرحمن باش تارزي فقد ألف: غنية المريد منظومة الرحمانية وشرحها ابنه مصطفى بن عبد الرحمن (ت1252هـ) وعنوان شرحه: غنية المريد في شرح نظم مسائل كلمتي التوحيد، طبع في تونس سنة 1904، في 25 محرم 1323هـ[1] به 28 بيتا وختم الشرح بعدة قصائد دينية.

أما المنظومة الرحمانية في الأسباب الشرعية المتعلقة بالطريقة الخلونية فقد طلب الشيخ مصطفى بن محمود بن الحاج محمد بن محمود بن الحاج عبد الرحمن باش تارزي من الشيخ عبد الحميد بن باديس تصحيحها أثناء طبعها، فكتب ابن باديس مقدمة في آخرها بتاريخ 14 شوال 1341هـ، وطبعت في مطبعة النجاح بقسنطينة سنة 1923/1341.

---

[1] كتب في أول الكتاب أنه طبع سنة 1322هـ/1904.

وشرح ابنه مصطفى هذه المنظومة وطبعت مع الشرح مرتين في تونس سنة 1307هـ و1351هـ وعنوانه: المنح الربانية في شرح المنظومة الرحمانية، أو المنح الربانية في شرح المنظومة الرحمانية[1] ألفها سنة 1287هـ.

وينبغي أن نشير إلى أن الشيخ عبد الرحمن باش تارزي هو شيخ محمد بن عزوز جد الشيخ محمد المكي بن مصطفى بن عزوز (ت1334هـ-1915).

وكان قد خلف محمد بن عبد الرحمن الأزهري مريده علي بن عيسى المغربي وترك له مكتبة وأوقاف الزاوية، قام بإدارتها ابن عيسى من سنة 208هـ إلى سنة 1251هـ.

وشيخ محمد بن عبد الرحمن هو محمد بن سالم الحفناوي الأزهري (ت1181هـ) كما أشرنا من قبل.

ولخنقة سيدي ناجي صلة كبيرة بتونس فقد لجأ باي علي التونسي إلى الخنقة في عهد محمد الطيب سنة 1740 كما أن الشيخ أحمد بن مبارك شيخ الخنقة وجبل ششار دامت مشيخته فيهما من 1741 إلى سنة 1831 في عهد يوسف باشا وابنه محمد، وراسل

---

[1] سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1998، جـ7، ص130.

يوسف باشا أحمد مبارك رجب 1050هـ وشوال سنة 1063هـ أي 1643 و1653 ميلادي كما ذكر ذلك قوفينGouvion[1].

أما الشيخ محمد الصادق بن الحاج بن منصور فقد أصبح بعد عدة أشهر من وفاة شيخه الروحي عبد الحفيظ خليفة له والوريث الشرعي للطريقة الرحمانية، وهو ولد سنة 1791 في القصور بجبل أحمد خدو، من قبيلة أولاد أيوب فكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وكان صوفيا حقيقيا وتوفي سنة 1860 دامت مقاومته من 1844 إلى 1859 وقام بثورة أخرى سنة 1858-1859 في الأوراس وأحرق الجنرال الفرنسي زاويته عن آخرها وأسر مع أبنائه والمقربين منه وحكم عليه بالنفي إلى كورسيكا ثم أعيد إلى سجن الحراش ومات به سنة 1862.

وذكر ابنه وخليفته إبراهيم أن أباه رجل عالم من أتباع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان ابنه إبراهيم رجل جهاد ضد المحتلين كأبيه، وباعتباره خليفة الشيخ عبد الحفيظ فإنه سلك طريقته بجد وهمة، توفي سنة 1851، وأثار الزاب والأوراس ضد الفرنسويين، وكانت له صلة بأحمد باي، باي قسنطينة وأكبر أولاد الصادق بالحاج

---

[1] عبد الحميد زوزو الأوراس في عهد الاحتلال الفرنسي جـ1، ص153.

نفي إلى كورس Corce وهناك ألف كتابا عن والده وزاويته الرحمانية.

ولابد من الإشارة إلى الشيخ بوزيان قائد ثورة الزعاطشة سنة 1849 الذي علقت رأسه بعد قطعها على باب المعسكر الفرنسي.

كما نفي الشيخ الهاشمي دردور إلى كورسيكا بعد محاكمته سنة 1880 ولا يعرف مصيره بعد ذلك رغم عدة طلبات لإطلاق سراحه[1].

يرى الشيخ عبد الحفيظ الخنقي أن الطريقة الرحمانية تمتاز بأنها تقول بسبع نفوس: الأمارة، اللوامة، والملهمة، والمطمئنة، والراضية، والمرضية، والكاملة.

أما الطرق الأخرى فهي تقتصر على ثلاث أنواع من النفوس: اللوامة، الملهمة، المطمئنة، وهي اصطلاحات قرآنية بدون شك.

ويقول: "كلامنا كله نبذة من نبذ شيخنا ابن عزوز رضي الله عنه عرفناها من بحر فضله، واغترفناها من سر بركاته، وجعلناها عدة لإخواننا أهل الطريقة"[2] ويرى "أن القلب له جهتان، جهة مفتوحة إلى عالم الغيب، وجهة مفتوحة إلى عالم الشهادة، إن سدت إحداهما

---

[1] سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي جـ4، وجـ8، انظر الفهرس في جـ9.

[2] المصدر نفسه، ص179.

انفتحت الأخرى، (...) فالقلب إن أعرض عن عالم الشهادة بان له عالم الغيب، وإن أعرض عن عالم الغيب بان له عالم الشهادة، والقلب مثل المرآة يرى فيها كل حسن وقبيح"[1].

ويوصي المريد فيقول: "وإن أعرضت أيها الأخ عن غير الله، وتعلق قلبك بالله شاهدت من عالم المثال ما يقوي همتك، ويبهر عقلك، وينور باطنك، وشاهد روحك أعظم الأرواح، وترى عجبا من العجائب"[2].

ويوصيالقارئ إذا أراد البحث عن الطريقة بقوله: "ومن أراد البحث في الطريقة، في علومها المكنونة فعليه بكتابنا المعروف: "بالجواهر المكنونة في العلوم المصونة" فإنه يجد فيه ما يفتح قلوبا غلفا، وآذانا صما، وعيونا عميا، بحول الله وقوته"[3].

وبهذا فإن خنقة سيدي ناجي أنجبت الشيخ عبد الحفيظ، وهي مدينة أوراس الصحراوي الجذابة بمساجدها، وزواياها وسوقها العامرة، وقريب منها جلال التي يسكنها أولاد عمران الذين لهم شأن في الفقه والعلوم الشرعية، والقرآن، وكانت لهم جماعة في سوق أهراس.

---

[1] المصدر نفسه، ص192.

[2] المصدر نفسه، ص192.

[3] المصدر نفسه، ص243.

ويرى الشيخ عبد الحفيظ أنه ليس من شأن المريد القابل للسلوك أن يشهد ويتأمل الكون أولا وبداية، ويعلم مكوّنه فيه، وأنه الخـــالق المصوّر الصانع، وإنما شأنه أن يشهد المكوّن أولا، وهذا هو مقام علم اليقين، وأن يفنى عن رؤية الفعل وهو الكون وما فيه من الموجودات، ويشهد الفاعل، ويغيب عن أفعاله، فمتى غاب الفاعل حتى يكون فعله هو الدال عليه؟ وهذا هو مقام عين اليقين وبه يستريح مـــن قيـــود السجن الطبيعي، الذي يحجب عن رؤية الإخلاص، ولا يبقى محجوبا بحجب الأفعال التي تحجب عن رؤية نور الصفات، وليس شأن المريد أيضا أن يشهد صفة الله المعبّر عنها بقرب النوافل متصفا بها متزينـــا بنورها، وإنما شأنه أن يغيب عن رؤية وصفه بصفة اسمه العليّ، ويرى إخلاصه في ذلك أن لا يراه حتى يراه بعين من لا يراه[1]، وهذا الشهود هو أعلى المشاهد، ويحصل لأرباب المكنة وهو حق اليقين، وهذا أيضا لا يقف المريد عنده ولا يقنع به، وإنما الذي يليق به الخروج إلى فضاء رحمة الله وهو مقام آخر صعب لا يصل إليه إلا بجذبة مـــن الحـــق، وهكذا يترقى إلى أن يصل إلى دقائق الحقائق، ونورالشوارق، وتفـــنى صفاته في صفات الله ويبقى في جمال جلاله المطلق، ويهلك كل مـــا عداه، ولا يبقى إلا وجهه تعالى أي ذاته.

---

[1] المصدر نفسه، ص283.

وهذا يسميه مقام القطب العارف بالله الذي يسمى عند الصوفية بخليفة الله في أرضه[1].

ومعنى هذا كله أن الصوفي في نهاية سلوكه أن يفنى عن الكون ويبقى بالمكون، يفنى عن صفاته البشرية وإرادته، ويبقى بإرادة الله، فلا عمل له ولا سلوك إلا بإرادة الله وأمره ونهيه فهذا الفناء يعقبه بقاء.

وليس معنى ذلك أنه ينبغي التفكر في العالم وموجوداته للوصول إلى صانعها فالكون معدوم في أصله، ولكن بوجوده والتأمل فيهينكشف لقلب السالك عظيم صنعه، وهذا يكون له أولا "بالاعتبار والتفكر في مصنوعات الله سبحانه، لأن الدليل لا يحصل إلا بالتفكر، وهو أفضل العبادات"[2] فإن العقل عنده "بواب على البيت، وبه يصير الإنسان المجتهد أميرا على الوجود أي الكون بأسره"[3].

ومن شروط السالك في سلوكه: "أن تجلب الفكرة في ذكرك، والاعتبار في مصنوعات الله تعالى لأن الذكر ينتج الفكر، والفكر ينتج الاعتبار، والاعتبار ينتج العلم، والعلم ينتج المعرفة، والمعرفة هي نجم

---

[1] المصدر نفسه، ص283.

[2] المصدر نفسه، ص23.

[3] المصدر نفسه، ص21.

المريدين، وقمر السائرين،وشمس العارفين"[1] والتخلية من كل صفة مذمومة، والتحليبكل صفة محمودة من الأخلاق، والترقي في ذلك "حتى تستغرق في العبادات والأذكار حسّا ومعنى، وتمتزج الكلمة المشرفة[2] بدمك ولحمك، حتى يصير بدنك كله يذكر معك (...) تصير لك العبادات خلْقا وخُلُقا، والذكر نارا ونورا، نار تخلية من الذنوب، ونور تحلية"[3].

ويعرف المكاشف بأنه "هو الذي انكشفت له معايب نفسه، واشتغل بتنقية عيوبه"[4].

أما المشاهد "فهو الذي يشاهد الحق حقا، والباطل باطلا"[5].

ويعرف المحقق بأنه "هو الذي تفتقت له حجب الأسرار، وتمكن سره من الحقائق المكنونة، في علم غيبه، وبقي بالحق روحانيا مع الروحانيين، فهذا عبارته أعلى العبارات، وإشارته أرفع الإشارات، وتجلياته أمكن التجليات، وقربه أحق القربات، لأنه قريب من الحق، بعيد من الباطل"[6].

---

[1] المصدر نفسه، ص32-33-69.

[2] هي لا إله إلا الله.

[3] المصدر نفسه، ص76، وهنا ينسب هذا إلى الشيخ عبد الرحمن باش تارزي في الرحمانية.

[4] المصدر نفسه، ص83.

[5] المصدر نفسه، ص83.

[6] المصدر نفسه، ص83.

وتختلف المشاهدات باختلاف القلوب وأحوالها: "وأرباب القلوب تختلف مشاهدهم في تجليات الحق، وعلى قدر الإخلاص تكون المشاهدة، فمنهم من يشاهد الخلق أولا كما تقدم، ومنهم من يشاهد الحق في الخلق، ومنهم من يشاهد الخلق في الحق، ومنهم من يشاهد الحق في الحق، وهذا مقام كامل لا يفهم معناه إلا أهله المتصفون به"[1].

أطال الحديث عن المريد وصفاته، والمربي وصفاته، كما كتب رسالة في النفس، أطال فيها الحديث عنها وعن طبائعها الشهوانية، وكيفية التخلص منها، وتحدث عن النفس اللوامة، والأمارة والملهمة، والناطقة، والراضية والمرضية والكاملة[2]، وتكلم عن القلب وأحواله[3]، ومقام الكمال، مقام تنبع فيه الحكمة "فإن نطق نطق بالحكمة، وإن سكت سكت عن حكمة"[4].

وإذا وصل الإنسان إلى هذا "كملت نفسه، واطمأنت"[5] ويصير في هذا المقام إلى البقاء بالحق: "يبقى بالحق حسا ومعنى، ويصير يشهد الوحدة في الكثرة، والكثرة في الوحدة، من غير أن يحجبه أحدهما عن

---

[1] المصدر نفسه، ص113.

[2] المصدر نفسه، ص181.

[3] المصدر نفسه، ص190.

[4] المصدر نفسه، ص184.

[5] المصدر نفسه، ص184.

الآخر، وعلامة ذلك أن يفنى في الفناء، ويخرج عن الفناء، ويبقى بعد الفناء بالحق، ثم يشهد الفناء في عين الفناء، وعين الفناء في عين البقاء، وعين البقاء في عين الفناء"[1].

ومن أهم شؤون النفس مخالفتها: "أيها المريد لا تقبل من نفسك نصيحة، لأنها مكّارة دساسة لا يأمنها عاقل، واجتهد في طاعة ربك، واعبده كأنك تشهده، وهو مطلع عليك، وأنت بين يديه بخضوع وخشوع، ومذلة وافتقار، واعتصم به في كل الأحوال"[2].

ويعرّف الصوفي بأنه هو: "من إذا أشار ترمّزت إشارته للعارفين، وإذا عبّر تفننت عبارته للمحبين، والصوفي من إذا رأيته ذكرك حاله، وألبسك ثوب الخشية جماله، ودلك على الله مقاله، (...) والصوفي من إذا حضر غابت وسوسة القلوب، وإذا غاب اشتاقت للقائه المحبوب"[3].

المخطوط:

به 178 صفحة، في كل صفحة 24 سطرا خطه مغربي، وعلى حواشيه عدة عناوين، وحاشية ص6 بها سند الشيخ عبد الحفيظ

---

[1] المصدر نفسه، ص184.

[2] المصدر نفسه، ص186.

[3] المصدر نفسه، ص246.

الصوفي، وعليه بعض التصحيحات، وتغير الخط ابتداء من ص67، وأصبح خطا رقيقا.

نسخه الناسخ لشيخه الحاج سعيد بن سيدي الأطرش بن العياضي، والناسخ هو: يحي بن الشريف بن أحمد بن الزلاتي بن عبد العزيز الشريف، وتاريخ النسخ 13 ربيع الأول عام 1308هـ.

الشيخ حريص على لغة كتابته، ويوصي بإصلاحها لفظا ومعنى لمن كان أهلا لذلك[1].

من الذين اشتهروا في خنقة سيدي ناجي الشيخ عاشور بن محمد 1848-1929 صاحب ديوان: منار الأشراف.

ومن الذين اشتهروا في هذه المدينة المجاهد السياسي الأستاذ الشاذلي المكي رئيس جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين، وهو الشاذلي المكي بن محمد الصادق ولد في 15 ماي 1913 بخنقة سيدي ناجي حفظ القرآن بمسجد سيدي مبارك ودرس بالمدرسة الناصرية، ثم التحق بالزيتونة سنة 1934، وترأس جمعية الطلبة سنة 1935-1939،

---

[1] "ويجب عليه (القارئ) إصلاح الألفاظ، والمعنى في اللغة، إن كان أهلا لذلك، في هذا المختصر (...) وأما الكلام في اصطلاح القوم، لا يبدل ولا يغير" ص243، وقال أيضا: "ويجب على كل من له فهم في اللغة والمعنى أن يصلح الخلل في هذا الكتاب، لأننا قاصرون وعاجزون، وألسنتنا فاسدة لا محالة، ولكن ألجأنا لذلك عدم غرضنا وإلا لم نصلح لهذا المنوال، ص233، فهو يعترف بقصوره وعجزه، ولغته في الكتاب تحتاج إلى صقل وتصحيح إذا وجد من يفعل ذلك.

سجن بالجزائر سنة 1939، وأطلق سنة 1943، ترأس فيديرالية حزب الشعب بقسنطينة، وكان أحد المنظمين لمظـــاهرات 8مــــاي 1945، وأحد المؤسسين لمكتب المغرب العربي بالقاهرة 1947، وعين ممــثلا للجزائر في جامعة الدول العربية،في عهد عبد الرحمن عزام الأمين العام للجامعة العربية وقال فيه: تتشرف الجامعة العربية بالوطني الجزائـــري الأستاذ الشاذلي المكي ممثلا وحيدا للشعب الجزائري،(جريدة المغرب العربي العدد6 السنة الأولى، 8أوت 1947، 21 رمضان 1366هـــ)، وحضر مؤتمر باندونغ بأندونيسا سنة 1955، سجن بمصر سنة 1955 وأطلق سراحه سنة 1960، وتولى عدة وظائف في عهد الاستقلال إلى أن توفاه الله تعالى، وكانت لي به علاقة خاصة في مصر والجزائر.

وتولى عدة وظائف في عهد الاستقلال، عين مدرسا بثانوية حسين بن بو علي الجزائر العاصمة، ونائبا لمدير الشؤون الثقافية بوزارة التربية، ومدير الشؤون الدينية بوزارة الشؤون الدينية والأوقاف، وكان متزوجا من سيدة مصرية في مصر،ثم من سيدة سورية، وله أولاد منهما، توفي سنة 1988، وألف عنه الأستاذ بلغيث كتابا عن شخصيته وسيرته، وكتب ابن باديس مقالا في الثمرة الأولى التي أصدرتها تحت إشرافه سنة 1955-1956، 1936-1937 جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيينعنوانه:"المثل السامي للشجرة النبوية" في عددها الأول، وأشارت الثمرة الثانية إلى مناقب الشاذلي فقالت:

"الأستاذ الشاذلي المكي كتلة من الإخلاص ومجموعة من الفضائل والمكرمات، وآية من آيات العبقرية والذكاء، ورموز التحفز والنشاط، ومجموع هذه الصفات هي الدعائم الكبرى، لنجاح كل مشروع، ووصوله إلى الهدف الأسمى، فإخلاصه واجب عليه أن يشقى ليسعد الطلبة، ويتعب ليستريحوا، وجرأته النادرة ألزمته بأن يمضي بالجمعية قدما.."[1].

---

[1] عمار النجار وتاريخ الجمعية، مجلة الثمرة الثانية 1366هـ/1967م الموافق 1947-948 ص10 المجلة. جمعتها ورتبتها اللجنة الأدبية للجمعية، وقام بنشرها وتصحيحها الشاذلي المك رئيس الجمعية، مطبعة الشباب شارع باب منارة رقم 21 تونس.

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وسلم[1]

الحمد لله الذي نور قلوب التائبين بإلهام حكمته، وشرح صدور العارفين بسر عنايته، ومتع أرواح المقربين بالتنعم في حضرته، وفقه أفهام العابدين بسر ربوبيته، وعلم أحوال الزاهدين بالخروج عن غيره، وأخلج أنفاس المجتهدين بنور هيبته، وغيب إحساس السالكين بحسن تجلياته، وعرف الحاضرين الأدب بين يدي رحمته، ووفق[2] أبصارهم بالنظر في اعتبار مصنوعاته، ومنع[3] اسماعهم الذهول عن إحساس مسموعاته، وجعل نظمهم دليلا على كشف توحيد ذاته، ونور بصائرهم بنور إحسانه وألطافه، ودك شواهق شواهد نفوسهم بتجليات ربوبيته، فزكت أنفاسهم

---

1 المخطوط: + ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. قال الشيخ العارف بالله تعالى العالم بالتحقيق، العامل بالتدقيق، الخالص المخلص، الكامل المكمل، الغوث المتحمل بإخوانه، المزمل الشفيق بجميعهم، الرفيق العروة (في الأصل: عروة) الوثقي، وعلامة التقى، من مثله قليل، إلى الله الدليل، البار لكل عليل، الشافي الغليل، شيخنا وإمامنا وقدوتنا، في هذا الشأن، أوحد وقته، علامة زمنه، علم العارفين، قطب المهتدين، مظهر سنا الحقيقة، مبين معالم الطريقة، العالم بالأسماء والحروف والدوائر، الجامع لعلم الظواهر والسرائر، صبغة الله الشيخ المربي سيدي عبد الحفيظ بن محمد بن أحمد الوانجيني نسبا، الخنقي سكنا، نفعنا الله به، آمين.

2 م: وفقه.

3 وعلا.

بمحبته، ورقت أرواحهم في معالي درجاته، فسبحانه لا إله إلاّ هو الكبير المتعال، خلق الخلق وفرق، منهم العاصي والمطيع، والكافر والمؤمن بالامتثال، أشقى هذا وأسعد هذا كل ذلك فضل منه وإجلال، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

وبعد أيها الإخوان أوصيكم ونفسي بتقوى الله العظيم، والاجتهاد في طاعة ربنا الكريم، ولا تتراخوا ولا تتهاونوا ولا تتكاسلوا فيما أمركم الله به، وأتاكم به رسوله المصطفى الكريم، لقوله تعالى: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا**﴾[1]، واجتهدوا في أورادكم بوفق مراده، ولا تكونوا في طاعة الله بوفق مرادكم، فإن ذلك يحجبكم عن رؤية عيوبكم، ويريكم إحسان أعمالكم، ويبعدكم عن حضرة ربكم، وكونوا باختياره سائرين، وبتوفيقه سالكين، وبإرادته محققين، وبحوله وقوته مبادرين، تكونوا من عبيده الخالصين الأحرار، الداخلين في مسالك الاخيار، الواصلين إلى حضرة الجبار، السالكين سبيل الأوعار، وكونوا مجتمعين على طاعة ربكم، وذكر وردكم، على وفق مراد واحد، وقلب سليم، وخاطر مجموع، ليحصل لكم فضل الذكر، والاجتماع فيه لأن ذكر الجماعة يفضل ذكر الفذ بسبعين ضعفا أي سبعين درجة، وقال صلى الله عليه وسلم في ذلك: "**يد الله مع الجماعة**"[2]، ويد الله أمره

---

1 الحشر/ 7.

2 رواه الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وحكمه ورحمته، لقوله صلى الله عليه وسلم: "**الاجتماع رحمة، والفرقة عذاب**"[1]، وقال صلى الله عليه وسلم: "**ما من مجلس اجتمع فيه الناس على ذكر الله**[2] **إلا وحفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، وذكرهم الله في من عنده**"[3]، وقال صلى الله عليه وسلم: "**المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا**"[4]، وعليكم أيها الإخوان بالاجتماع على هذه الكلمة المشرفة، والاجتهاد فيها، فإن من اجتهد فيها يرى لها من الأسرار والعجائب ما لا يدخل تحت حصر، وعلموا نفوسكم الأدب في ذكرها، كما قال سيدي عبد الرحمان باش تارزي، رضي الله عنه:

أولها تَعْلِمَا[5] ووسطها خِدْما　　　آخرها كرما من الله عِنَيا

المراد بذلك أول ذكرك في لا إله إلاّ الله أن تتعلم كيفية التلفظ بها إن أمكنك التعليم، وإلاّ فحيث ما تيسر لك اذكرها على الإطلاق، هذا في معنى ذكر حروفها باللسان، فإن الذاكر المبتدي لا ينبغي له أن يغير حروفها أي حروف المد في الذكر، وهو لا إله إلاّ الله والأليق[6] في حقه أن يذكرها في أول حاله بالمد، حتى يتمكن الذّكر، ويرسخ في لسانه، ويصير

1 كما جاء مرويا عن الإمام أحمد عن النعمان بن بشير رضي الله عنه. حديث حسن.

2 م: ما من مجلس اجتمع فيه الناس على ذكر الله. وترك بياضا.

3 رواه مسلم والبخاري عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

4 أخرجه الطبراني عن أبي هريرة وأبي سعيد.

5 م: التعلم

6 م: اللائق.

رطبا بذكر الله حتى يحصل[1] له المقصود أي يحصل له المعنى، أي معنى الذكر في القلب، فعند حصول المعنى في الباطن يصير له الذكر بأي حال، لأن عندهم العبرة بالمقاصد، لا بالوسائل كما هو معروف، وهذا أول تعليم الذاكر[2] نفسه في لا إله إلاّ الله، ولابد للذاكر المبتدي أن يعلم نفسه الذكر أولا، ثم بعد ذلك يعلم نفسه الأدب في حالة ذكره الظاهرة والباطنة، أما الظاهرة فهي[3] صلاح اللفظ المتقدم، وأما الباطنة[4] فهو صلاح المعنى أي معنى توحيده وأداء معنى شروط التوحيد، ويعلم نفسه أدب الخدمة في ذكره بأداء المفروضات والمسنونات والمستحبات والمندوبات ما أمكنه، ويعلم نفسه الصوم والسهر والقيام والاعتزال عن الخلق بحسب إمكانه، ويقدم ذكره على كل ما ذكر، سوى الواجبات فإنها حق مقدم على الحقوق، ويشتغل بذكر لا إله إلاّ الله سرا وجهرا بطهارة أم لا، والطهارة أفضل بسبحة أم لا، والسبحة أفضل، بعدد أم لا، والعدد أفضل، بجهر أم لا والجهر أفضل، وهكذا تعليمه في أول اجتهاده، ثم بعد التعليم يأخذ في الخدمة بالاجتهاد في الطاعات، وهو الجد والاجتهاد[5] ومخالفة النفس تارة بتارة من غير فترة ولا تهاون، ولا تراخ

---

1 ط: حصل.

2 م: الذكر.

3 ط: وهي.

4 ط: الباطن.

5 ط: والاجتهاد.

ولا اتباع هوى نفس، بل يشمر على ساق الجد ويجتهد بحسب طاقته، حتى تتمكن منه الخدمة، وترسخ في جوارحه، وتصير له حالا طبيعيا، بزوال مشقة المجاهدة، بل يرى لنفسه خفة في اجتهاده، ورقة في قلبه، ونشاطا لجوارحه، ورغبة في آخرته، وزهدا في دنياه، وحفظا لحرمة الله أي يرى نفسه معظما لشرائع الله، أي طاعات[1] الله وربوبيته، حتى إذا حصل له هذا الوصف المحمود المتوسط فاضت عليه[2] المواهب الربانية وأطرقته واردات الحقائق الإلهية في قلبه، وأتته عند آخر اجتهاده أسرار تقر بها عينه، وتصلح بها أسراره، وتعبر به إلى حضرة الله فينسى[3] حضرة نفسه، فحينئذ يشاهد من عجائب الله ما يبهر عقله ويصلح خلله، وينعش روحه، ويقمع نفسه، فعند ذلك تحصل له الثلاث خصال التي ذكرها سيدي عبد الرحمان المذكور، وهو التعليم أولا، والخدمة ثانيا، والكرامة ثالثا، وبعد الكرامة[4] تأتيه العناية من ربه، وهي مشاهدة حضرته أي حضرة ربه، فينسى بتلك العناية الكرامة، ورؤيتها ويتحلى بالأوصاف المحمودة ويتخلى عن الأوصاف المذمومة، وهي مشاهدة الكرامات والأسرار والأنوار، وغير ذلك مما يطلق عليه اسم الكرامة، ويبقى بعناية ربه موصوفا، وباختيار مولاه مسلوبا معروفا، وهذا شأن ذاكر لا إله إلا

---

1 م: طاعة.

2 م: عنه.

3 م: – حضرة نفسه فحينئذ شاهد من عجائب الله ما يبصر عقله، ويصلح خلله وينعش.

4 م: الكرامات.

الله، فإن ذاكر لا إله إلا الله تنشر عليه علامة الولاية، ودلائل أهل الخير والصلاح، كما قال سيدي عبد الرحمان المذكور: خذ منشور الوليا أي خذ علامة الولاية وهو الاجتهاد[1] في ذكر لا إله إلا الله لأن كل من اجتهد فيها وأفنى عمره في ذكرها يأخذ من علامة الولاية[2]، وهو صحيح مجرب من غير شك، وعلامة الولاية[3] الإكثار من ذكر لا إله إلا الله، والاستهتار فيها في كل حال سرا وجهرا، ولابد لذاكرها من شيخ كامل عارف بالأحوال في السير والسلوك، ولابد له من آداب، وشروط يستعملها الذاكر، إن أمكن أن يعلم نفسه بذلك، ومن خلوة يعتزل فيها بإذن من شيخه إن كان له شيخ، ويجمع همته بهمة شيخه، في خلواته وجلواته، ليحصل له الفضل والشرف من ذكره فيما هو بصدده، ويستأذن شيخه في كل الأمور، بأن لا يخفي عنه شيئا من وحيه[4] مناما ويقظة كما هو مذكور في كلام سيدنا عبد الرحمان باش تارزي رضي الله عنه، ونفعنا به آمين آمين، وسنذكر منه البعض بحسب فهمنا في آخر الكتاب، وهو يأتي إن شاء الله، وإن أراد الذاكر دخول الخلوة فليستأذن شيخه، ولا يدخل الخلوة برأيه من نفسه، فإن دخلها من تلقاء نفسه تكون عليه خلوته فتنة، وتشويشا، ولا يحصل منها سوى التعب والجوع،

---

1 م: + في طاعة الله.

2 م: الوليا.

3 م: الوليا.

4 ط: وحية.

ويخرج منها مفتونا مشوش الخاطر، وربما ازداد عليه الخاطر أكثر مما كان عليه في غير الخلوة، ولذلك حرضوا على أن خلوة السالك لا تكون إلا عن نظر شيخ مرب عارف بالطريق، وإلا فلا خلوة للمختلي، بل خلوته كثرة في كثرة، ولا حاجة بها إليه، ولذلك تكلم سيدنا عبد الرحمان باش تارزي في شروط الخلوة وحرض عليها كثيرا أكثر من غيرها، وهو في الرحمانية فانظرها تجد الشروط على حد السواء، وقال سيدنا عبد الرحمان في ذلك:

ثالثْ تُريحْ الأنام   من شـــرّك يا غلام

رابع دخول الإمام   يصلي بالجمعيـــــا

يعني أن دخول الخلوة له شروط، وشروط ذلك أربعة وعشرون، عدها للسالكين الأتقياء سادتنا أهل الخلوة، أما الشرط الأول فهو تعليم النفس بالسهر وتقليل الطعام والمنام، وغير ذلك مما هو مذكور، والثالث تريح الأنام من شرّك يا غلام، والرابع دخول الإمام يصلي بالجمعيا. يعني أن المريد السالك الطالب السير إلى الله لا يدخل الخلوة إلا بعد تعليمه للنفس بالشروط المذكورة، وحيث يعلم نفسه ويخف عنه مكابدة النفس في ذلك التعليم ، ويجد لدخوله راحة من شر نفسه وشر الخلق جميعا، يستأذن شيخه في ذلك، فإن أذن له في الدخول يدخل بنية مثل دخوله للمسجد مبسملا متعوذا خالصا لله بنية، وينوي عند دخوله للخلوة راحة الخلق من شره، وإذايته ويتحقق بأن نفسه هي الظالمة لكل أحد، ويريد بدخوله أن ينجي الأنام من ظلمه وشر نفسه، وبعد حصول هذا الشرط المذكور

أي عند الشروع في الدخول ينوي
ينوي دخول الإمام يصلي بالجمعيا، هناك إن كان له شيخ ويتحقق
أن شيخه أمامه ويجمع همته بربطة شيخه، وإن دخل شيخه الخلوة قبل دخوله
بشيخه عند الدخول وهو مجمع همه، أي إمام بجمع همه
هو ينوي عند دخوله أن شيخه هو إمام الجميع، وإمام لكل من دخل قبله وبعده لتحصل له
وجوارحه وكليات أحواله، وإمام لكل من دخل قبله وبعده لتحصل له
فائدة الإمامة هناك، ويقدم شخص شيخه على شخصه هو، لأنه إن ثبتت
له إمامة شيخه، وهو خلفها يصلي ويذكر إلى غير ذلك مما عليه هو في
خلوته لم تضره نفسه ولا شيطانه ولا خواطره التي تتخيل له في الخلوة،
وإن وقع له شيء من ذلك أي من هواجس النفس، فهو تحت نظر شيخه
لا يزلزله ذلك من مكانه ولا يغير باطنه، بل يزداد بتلك الخيالات نفورا
منها إلى ربه ويقينا بحضرة شيخه، فهذا محمود العاقبة في خلوته ومحفوظ
من شر فتنة الخلوة، وأمكارها، هذا إن كان له شيخ ورآه دخل الخلوة أو
سمع به، وتحقق بدخوله يقدم شخصه أمامه كما ذكرناه لتحصيل الفائدة،
وهذا الشرط مطلوب في خلوة الشيخ، إن دخل الشيخ الخلوة وسمع
التلميذ الداخل للخلوة، أن الشيخ دخل خلوته ولو مرة واحدة قبل
دخول المريد، أو يراه صح له ذلك وكفاه الشرط المذكور، وهو تقدم
شخص الشيخ كأنه أمامه، سواء كان في حالة الصلاة أو في غيرها من
العبادات، وإن دخل الشيخ للخلوة قبل شروع المريد في الدخول فذلك
اللائق في حق الجميع، فليدخل المريد الخلوة، ويجعل شيخه أمامه في كل

حال، وإن كانت الخلوة ليست هي للشيخ بل جعلها المريد لنفسه أو جعلت عند غيره؟

الجواب في ذلك نعم إن أراد دخول تلك الخلوة فليستأذن شيخه في ذلك، ويخبره بحال الخلوة وحاله هو مع نفسه، فإن أذن له في الدخول فذلك المراد ويفعل الشروط المتقدمة أي يجعل شيخه أمامه في تلك الخلوة، ويقدم شخصه على شخص نفسه لتحصل له الفائدة المذكورة، ويكون حاله مجموعا في هم واحد ببركات شيخه، وإن لم يأذن له لم يفعل، ويجاهد نفسه حتى يفعل الله ما أراده منه، وقيل يصلي بالجمعيا أي المريد إن أراد دخول الخلوة ينوي في خاطره وخالص نيته أنه إمام لخاطره، وحيث دخل الخلوة دخلها إماما للجميع، يصلي بجميع مهماته أي جميع خواطره نبذها خلفه، وصار هو إمامها، يعني دخلها مجردا من الشواغل، خالص العمل لله تعالى صحيح الربطة مع الله، والرسول والشيخ، شواغله وخواطره خلفه، وهو الذي يصلي بها وهي مقتدية به أي نفسه تابعة له ليس هو تابعها، حتى إن دخل في الصلاة صارت هي خلفه، وهو أمامها أي يرى نفسه بين يدي ربه جل وعلا لا بين يدي شواغله، ويرى نفسه وهواجسها وراء ظهره لا أمام وجهه، وإن صارت شواغله أمامه وطاعته ربه خلفه، لم تحصل له فائدة في خلوته، بل تكون له خلوته فتنة وهلاكا، وصلاة الجمعيا يحتمل الوجهين يعني الوجه الأول يحتمل انه هو الشيخ لأن الخلوة لا تصح إلا به، والشيخ هنا شرط صحة وشرط كمال، أما شرط الصحة فالخلوة لا تصح إلا به أو بإذنه، وإلا فلا وهذا في حق المبتدي،

وأما شرط الكمال ففي التلميذ المنتهي، فإن المطلوب في حقه أن يستأذن شيخه في دخولها، فإن فعل فبها[1] ونعمت، وإن دخلها بغير إذن شيخه صح دخوله وكان ناقصا، وهذا معنى شرط الصحة والكمال والله أعلم.

وإذنٌ واحد يكفي الداخل مادام في خلوته، وإن دخلها الشيخ أي دخل الخلوة مرة واحدة يكفي الداخل في الشرط المذكور في الإمامة، وأي ما دخل المريد الخلوة كفاه شخص شيخه، والوجه الثاني يحتمل أنه المريد لأن دخوله للخلوة لا يصح إلا بنبذ خواطره وراء ظهره ما أمكنه، وجعل المخالفة أمامه أي مخالفة النفس يجعلها أمامه، والخواطر وراءه، حتى إن صلى أو ذكر أو قام أو جلس أو نام أو استيقظ وجد فعل الطاعات أمامه، وهكذا حال المريدين السالكين في ترقيهم إلى المقامات العلوية، يقطعون عقبات النفس بالجد والاجتهاد والجوع والسهر والاعتزال والصمت، وغير ذلك مما يؤدي إلى السير في الطريق شيئا فشيئا حتى يسلكوا عن جميعها، وهذا الترقي لا يكون إلا على نظر شيخ كامل عارف بالمسالك والأوعار، والشيخ المربي لا يكون إلا واحدا لا اثنين في الطريقة، لأن السالكين فيها أي في الطريق كثير والمربي واحد، ومن قال بفوق الواحد فقد غلط ونسي، وتلزمه التوبة لأنه إن كان مربيان في الطريقة فسدت التربية، ووقعت المخالفة بينهما، في الرأي، وبطل الطب، وتعطل الدواء، والمربي قائم بمقام الوحدانية، ومقام الوحدانية لا يكون فيه إلا رجل واحد، وأظنه الغوث، ومقام التربية أظنه يخرج منه مقام الغوثية،

---

1 ط: فيها.

ولا يكون إلا لرجل واحد، والرجل الواحد هو الفوث، وهو الذي تدور عليه دائرة الأولياء، وهو قائم بوحدانية الله تعالى أي وحدانية الذات، ووحدانية الذات تكون خاصة بالغوث، وليس يحصل ذلك لكل الأولياء، وإنما الأولياء يأخذون نصيبهم من وحدانية الله تعالى بحسب أحوالهم، ونهايتهم توحيد الأفعال والأسماء والصفات، والكامل منهم يأخذ نصيبا من توحيد الذات، غير أنه لم يوف بحقيقة ذلك التوحيد بل توفية ذلك لا تكون إلا لرجل واحد، وهو الغوث كما ذكر، ولذلك خصصت التربية برجل واحد في كل طريق، بحسب ما اقتضته الحكمة بهم، والغوث فيهم واحد لا اثنين، ولذلك صار المربي واحدا في الطريقة لا اثنين، وهو مشهور معروف في كتب القوم، رضي الله عنهم، فصلحت التربية بانفراد المربي، ولو كان اثنين لفسدت التربية وعدم الحكم بينهما[1]، لأن الرأي مختلف، وإن اختلف الحكم فسدت السلطنة، يشهد لذلك قوله تعالى : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[2] أي لو كان فيهما تربية غير تربية هؤلاء لفسد الملك، ومن عليه، ولما كانت وحدانيةالله تعالى منفردة بذاته أفرد في أوليائه أفرادا افذاذا أفذاذا[3] أي فردا فردا، فصلح بترك الأفراد ملكه وملكوته، أي الظاهر والباطن فصار المربي في الطريقة واحدا، والسالكون فيه أعواناله، سواء علموا به أم لا، وهذا شأن الطريقة ابتداء

---

1 م: بينهم.

2 الأنبياء/ 22.

3 م: – أفذاذا.

وانتهاء، وإسناد الطريقة مذكور في الرحمانية من سند إلى سند حتى تبلغ إلى السيد وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، والسلسلة الآن في عصرنا هذا امتدت من الشيخ بن عزوز رضي الله عنه، ومنه إلى شيخه، ومن شيخه إلى شيخه[1] ، وهكذا مذكور إلى النبي صلى الله عليه وسلم، منَّ الله علينا وعليكم من بركاتهم الربانية، وأدخلنا وإياكم طريقتهم السنية، وحفظنا وإياكم بما حفظهم به آمين آمين آمين.

لما فرغنا من الكلام في بعض آداب الذكر، وشروط الخلوة، وما ذكرناه يكفي إن شاء الله، لأن ذكر شروط الطريقة وآدابها كلها مذكورة في الرحمانية، ومن أراد الدواء والطب النافع لعلله فعليه بالرحمانة، لأنها رحمة للإخوان، وقمع للشيطان، ومحو للعصيان، ونحن ذكرنا منها شيئا أي شرحنا شيئا من بعض ألفاظها بحسب فهمنا في ذلك، أردنا أن نتكلم ببعض ما ألهمنا الله به، ووفقنا إليه في خرق عادات الأسرار، ومعارف الأوعار وشوارق الأنوار، وما يصلح بأحوال المريدين، وما لا يصلح، وما يجوز في حقهم وما لا يجوز، وما يحسن لهم السير في الطريق، وما لا يحسن، وما يهدم لهم عوائد النفس، وما لا يهدم، وأردنا أن نبين لهم كيفية السلوك، وما يكون لهم دالا على سلوكهم، حتى يعرف كل أحد منهم مقامه، وما هو عليه في سلوكه، أو غير ذلك مما تدعيه النفس في

---

1 م: كتب في الهامش: قوله: منه إلى شيخه، أي ومن ابن عزوز إلى شيخه سيدي عبد الرحمان باش تارزي رضي الله عنه، وشيخ باش تارزي الشيخ عبد الرحمن رضي الله تعالى عنه وعنا به، وشيخه الشيخ محمد بن سالم الحفني المصري. من أراد الدواء فعليه بالرحمانية.

حالة ترقّيه، وزعم مراده، ونوضح الأمر إن شاء الله فيما سنذكره بعد والله الموفق للصواب.

وكل ذلك بحسب حالنا، وما نحن عليه من فهمنا. وسأذكر إن شاء الله في كتابنا هذا وأبيّن ما يناسب أحوال التلامذة الطالبين المسلكة في سفرهم، ونأتي لهم بألفاظ غريبة الفهم قريبة المعنى، لمن نور الله بصيرته في علم السر، والقلب والروح والخفاء وسر السر، وغير ذلك مما أردنا ذكره وهو يأتي إن شاء الله، وأردنا الكلام بعد هذا في درجات الجنة ومقامات أهلها، وكيفية الترقي فيها، والنزول إليها، والمرور عليها إلى غير ذلك مما عليه أهل الجنة في منازلهم، وكيفية الوصول إلى المقام الرفيع منها.

اعلم أن الجنان على ثماني طبقات وكل طبقة منها جنات كثيرة، في كل جنة درجات لا تحصى، فالطبقة الأولى تسمى جنة السلام، وتسمى جنة المساواة، وتسمّى هذه الجنة باليسرى، لقوله تعالى: ﴿ **فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى**﴾[1]، وهذه الجنة لا يدخلها أحد إلا بالأعمال، فمن لا عمل له لا دخول له إليها، والذكر فيها يأتي إن شاء الله تعالى.

وأما الطبقة الثانية فهي فوق الطبقة الأولى وتسمى بـــ"جنة الخلد"، و"جنة المكاسب"، وبين جنة المكاسب وجنة المجازاة فرق، وجنة المكاسب ربح محض لأنها من تتابع العقائد، والظنون الحسنة، ليس فيها

---

1 الليل/ 5-7

شيء على طريق المجازاة بالأعمال البدنية، أما باب[1] الجنة الأولى فمخلوق من الأعمال، وأما باب الجنة الثانية فمخلوق من العقائد، والظنون بالله والرجاء، ولا يدخل هذه الجنة إلا من كانت فيه الأوصاف المذكورة، وإلا فلا، ويكون ضدها الخسارة لقوله تعالى: ﴿**وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنْ الْخَاسِرِينَ**﴾[2].

وأما الطبقة الثالثة وتسمى جنة المواهب وهي لا تنال إلا بمواهب الله تعالى، وهي أعلا من اللتين قبلها وهذه هي الجنة التي أخبر بها سيدي عبد الكريم الجيلي نفعنا الله به وذكر فيها كل الطوائف وذكرها شيخنا سيدي عبد الرحمان باش تارزي، والذكر في هذا يأتي إن شاء الله، وهذه الجنة أوسع الجنان قبلها حتى أنها أوسع مما فوقها لأنها من مواهب الله التي[3] لم تنحصر، وهذه هي الجنة المسماة في القرآن بجنة المأوى لأن الرحمة مأوى الجميع.

والطبقة الرابعة تسمى بجنة الاستحقاق وجنة النعيم وجنة الفطرة، لأن أهل هذه الجنة خلقوا على الفطرة الأصلية، خرجوا من الدنيا وهم على فطرتهم، قال سيدي عبد الرحمان أكثر من بهذه الجنة بهاليل، ومجانين، وأطفال، والفطرة الأصلية هي قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي**

---

1 م: – باب. وكتب على الهامش.

2 فصلت/ 23.

3 م: – التي.

أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[1]، والدّنس البشري هو الذي قال فيه تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾[2]، وهؤلاء المذكورون هم المستثنون بقوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾[3]، وهذه الجنة ليس لها سقف إلا العرش.

والطبقة الخامسة تسمى بجنة الفردوس، وهي أرفع الجنان وأوسعها، وكلّما ارتفع الإنسان فيها ضاقت هي، حتى إن الأعلى منها أضيق من سم الخياط، وليس فيها أنهار ولا قصور ولا حور ولا ولدان إلا ما هو تحتهم، ويأتي الذكر فيه إن شاء الله.

والطبقة السادسة تسمى بجنة المعارف، ولا يجدون من ذلك فيها شيئا، وكذلك ما فوقها، وهذه الجنة على باب العرش، وسقفها الباب، وهكذا مذكور في كتاب سيدي عبد الرجمان باش تارزي، فأهل هذه الجنة في مشاهدة دائما، يعني يشاهدون الجمال، وهم قتلوا بسيف الفناء عن نفوسهم، فلا يشهدون إلا محبوبهم، وهذه الجنة تسمى بالوسيلة أيضا لأن الوسيلة لا تكون إلا للعارف، وتسمى بالفضيلة أيضا، وأهلها هم الصديقون، وهذه الجنة هي جنة الأسماء، وهي منبسطة على درجات العرش،وكل طائفة من هؤلاء الطائفات[4] على درجة من درجات العرش.

---

1 التين/ 4.

2 التين/ 5

3 التين/ 6

4 م: الطوائف.

والطبقة السابعة تسمى بالدرجة الرفيعة، هي جنة الصفات وأرضها باطن العرش، والذكر يأتي فيها إن شاء الله، وهؤلاء السر المكنون ذوو[1] العزم في التحقيق الإلهي.

والطبقة الثامنة تسمى بالمقام المحمود، وهي جنة الذات، أرضها سقف العرش ليس لأحد إليها سبيل، وكل أحد من أهل جنة الصفات طالب الوصول إلى ذلك المقام بزعمه أنها معقودة باسمه دون غيره، وزعم الكل حق، ولكن هي لمحمد صلى الله عليه وسلم لقوله صلى الله عليه وسلم إن المقام المحمود أعلى مكان في الجنة، وأنها لا تكون إلا لرجل واحد وأرجو أن أكون أنا هو ذلك الرجل صلى الله عليه وسلم، فأخبر أنه وعده الله بها فلنؤمن ونصدق بما قاله، فإنه لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، وهذه الطبقات الثمانية ذكرنا طبقاتها وسقنا الكلام في ذكر الطبقات لكي يتقرر حكم الطبقات في ذكر القارئ عندما يلحق في آخر الكتاب في ذكر كيفية الطبقات، وتدريجات مقاماتها، ولذلك تكلمنا هنا في أول الكتاب بالطبقات الثمانية، وأخرنا الكلام في كيفية صفاتها وصفات أهلها، ويكون ذكر ذلك في آخر الكتاب إن شاء الله، فأحببت أن ألخص كلاما لإخواننا أهل الطريقة الخلوتية، وإن كنت لست أهلا لذلك أي للكلام، ولكن ألجأتنا الضرورة إلى ذلك لأنه سألني بعض الأفاضل منهم سؤالات عن أحوال الطريقة وكيفية سلوكهم فيها والترقي في مقاماتها، وكيف يكون الوصول فيها إلى الله، وما صفة علوم آثارها

---

1 م: ذو.

الدالة على الله، وما صفة أحوال سفرها، وما صفة زاد المسافر فيها، وما صفة الشيخ المرشد الكامل المربي فيها ومن لا يربي، وما صفة المريد القابل للسلوك فيها، ومن ليس بقابل، وما صفة علوم القوم الدالة على علومهم المكنونة، وما صفة خروجهم من الكون إلى المكون، وما صفة فنائهم عن الكون، وما صفة بقائهم بالمكوّن، لأن الاعتراض قد كثر على إخوان الطريقة، وتلبس عنهم الأمر في تلك الأحوال، وزعم بعض المعترضين في ادّعائهم أن أحوال الرجال الباهرة انسلبت، ولم يبق منها إلا اسمها في الفم أو رسمها في الأوراق، وعندهم العبارات والإشارات في علم الغيب انهدم أركانها وعدم أهلها، وعندهم السلوك انقطع بأهله، والكرامات انقطعت معهم، وهذا منهم اعتقاد فاسد، وظن خاسر والعياذ بالله، وتكذيب لوعد الله ورسوله، بل الأوصاف المذكورة عندهم في كتب القوم وأحوالهم موجودة الآن وباقية إلى قيام الساعة بدليل ما نص عنه صلى الله عليه وسلم، ولكنه للدين ضعف، وصار غريبا في هذا الزمان حقا، وإنما الأمة على خير، ولم ينقطع خيرها إلى يوم القيامة بحسب الزمان وأهله، فأردت ان أجمع لهم كلاما من علوم شيخنا الرباني لتقمع كل معاند للطريقة، ومعنت وحاسد باغض وجاحد، فإن بعض المعترضين يقولون لإخوان الطريقة إن السلوك انقطع مع الشيخ أي شيخنا ابن عزوز رضي الله عنه، وفنت علوم القوم وعباراتهم وإشاراتهم، وأظن أن هذا القائل علمه قاصر بالشيخ، حيث قال إن الطريقة انقطعت معه، وذكره الانقطاع هنا صفة مذمومة ولو انقطع الشيخ حقيقة لا انقطعت الطريقة

وأهلها أي السلوك وأهله، ولكنه الشيخ المربي لم ينقطع بل هو حي في قبره، وسلوكه باق في حس الملك، وفي معنى الملكوت لم ينفقد بل هو موجود بالحس[1] عند أهل التربية حق، وخبر صدق وإنما الشيخ الكامل حيث ينتقل من الدنيا يكون انتقاله ثلمة في الدين لأن الدين ضعف لا ينجبر إلا بالحس[2]، وانتقال العلماء نقص في الدين لا غير.

وأما الدين بحسب الحال فإنه باق، والذكر في هذا كله يأتي إن شاء الله، وما ذكرناه قبل هذا فهو تمهيد للقارئ إن أمعن النظر في الكتاب ليكون في قراءته على يقين وبصيرة في الفهم إن شاء الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم.

وهذا هو أوله صَحِّحْ عزمك في الإرادة يا مريد، وكن بإرادتك مريدا، أو اختر من الإرادة حزمها، وكن بحكم الوقت مختارا، ولا تلتفت لمستقبل أولا ولا للماضي دبارا، وكن في الوقت بالمقت صارما كالسيف للعوارض قطاعا، واقطعه بأداء الحقوق في أوانها، وأعط لكل ذي حق حقه، أيها المريد إن أردت سعادة الأبد فاغتنم من دنياك ثلاثا: مطعما لذيذا، ومشربا عذبا من غير ماء، والبس خرقة من غير ثوب، تعش عيش السعداء، أيها المراد إن صح قصدك بمراد مطلوبك فاغتنم له خمسة: قصدا وإخلاصا وزهدا وفراسة، وعدم اختيار النفس في الإرادة تحيى حياة

---

1 ط: بالحسي

2 ط: بالحسي.

الشهداء. أيها المحبوب المطلوب خاطبت موجودا وفارقت مفقودا معدوما. فاحذر من تناجٍ في مناجاتك، وأقبل عليه بكلماتك، وإياك والاغترار في هذا المقام بالأمن والفرح، فإنه مقام خطر كما قال صلى الله عليه وسلم: "**والمخلصون على خطر**"[1]، وهنا زلت أقدام كثيرة، فافن يا مريد عن كلياتك، تبق بحضور موجودك في مقعد صدق عند مليك مقتدر. أظهر الدلائل في الموجودات، وعرّف أحديته للعارفين في مصنوعاته، ولولا حكمته لم يكن للمكونات ظهور. ولا فرق بين الأزمنة والدهور، بل هو الذي أوجدها وأدخل فيها صفة القدرة وعلقها على الإرادة القديمة الأزلية، فصار الكون معدوما من أصله، والقدرة الصالحة موجودة فيه، فبوجود ذلك يكشف لقلب السالك عظيم صنعه، وهذا أولا يكون له بالاعتبار والتفكر في مصنوعات الله سبحانه، لأن الدليل لا يحصل إلا بالتفكر، وهو أفضل العبادات لقوله صلى الله عليه وسلم: "**تفكر ساعة أفضل من عبادة سبعين سنة**"[2]، وأوضح علامات ذلك فيك حتى كاشفك عن أوصاف نفسك الذميمة، وأشهدك أوصافه الحميدة، بدليل قوله تعالى: ﴿**وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ**﴾[3]، فأبصر الإنسان نفسه وظهر الحق لأهله، وعرف نفسه بالعجز والتقصير، وحكم عليها بالفناء والمصير، وإلى الله ترجع الأمور. فقام معها بالمخالفة لها، واتباع الأمر،

---

1 أورده البيهقي في الأحاديث الضعيفة.

2 لم نعثر عليه في أي من كتب الحديث.

3 الذاريات/ 21.

وطلب من الله الإعانة عليها ليملك عنانها فتصير طوع يديه، ليستريح من سجن طبيعتها، فوفقه الله تعالى لهدايات، وألهمه[1] بسر العنايات، فانكشف له الحجاب الظلماني عن قلبه، وصار يبصر معائب أفعاله، ويزيل الذميم من أوصافه، حتى اتصف بصفات الفعل أولا فصار، لا فاعل في الحقيقة إلاّ الله، وإياك والاغترار بسرور الدنيا ونسيانك ليوم النشور، فانظر لسرور الدنيا ما عاقبة أمره، فقدم آخره أولا وأوله آخرا، تهن عليك المحن عند نزولها، ويتيسر لك السلوان وقت حلول مصايبها، وتفكر في آخرتك كيف يكون انتقالك إليها، ومن أي الفريقين أنت؟ هل إلى جنة عالية أو إلى نار حامية؟ وكيف يكون إعراضك كيف يكون العرض على ربك؟ هل لك من شيء تقابله به سوى رجاء فضله وكرمه وجوده لا غير، لا تتعرف لمولاك بالاعتماد على العمل، ولا تقف بباب معبودك بالتفضل والمن[2]، ولا تنسب لنفسك[3] ما ليس لها في العبودية، فإن ذلك كله وصف ربوبية يحجبك عن عيوب نفسك، ويبعدك عن حضرة ربك، أشهدك الكون فغيبك عنه، وأراك نفسك فأوقفك عند حظوظها، ولم تتفكر ما الذي أشهدك غيره، وما الذي أبقاك في شهواتك ولم تتذكر، هذا دليل على ظلمة قلبك وسوء أدب منك مع الحليم الكريم الذي خلقك وأخرجك من العدم، وأنشأك فسواك في الوجود، حركك

---

1 ط: والهمة

2 ط: المنن.

3 م: نفسك

وسكنك بقدرته، وعرفك المصالح قبحها وحسنها لتشهد المنة له في ذلك فأدبرت أنت عما يقربك إليه، وأقبلت عما يبعدك عنه، وهذا هو عين الحجاب منك لا منه، أورد عليك الموارد منه لتفيدك علما به، ومعرفة له فقابلت ذلك أنت باتباع الهوى، وعدم الالتفاف لاتباع المشروعات، هذا سوء ظن منك فيه، وطلبك مولاك لحضرته بما أمرك به، وضمن لك المهمات كلها، وطالبته أنت في المضمون الذي كفاك هو، وأدبرت عما طلبه منك، هذا منك ظلم وجفاء، وردة وصمم، وما ربك بظلام للعبيد، عين الحجاب منك هو رؤيتك للعمل، ووجود العلل فيك نسيان الرجاء عند وجود الزلل، وكيف يكون لك انتظار للعمل أو اعتماد عليه وهو مملوك لك بتوفيق الله لا بنفسك، ولولا توفيقه لم يكن لك حتى تنظر فيه أو اعتماد حتى تتكل عليه، ونسيانك للرجاء عند وقوع الزلل منك هو[1] صفة للكافرين يعني حيث نزعت الرحمة من قلوبهم، طبع الله على قلوبهم بطابع الكفر فأنساهم رحمته، وأيسوا من الرجا بعدم الدخول في الإيمان، فاخرج يا حبيبي عن هذا الوصف لتبرأ من علة القنوط، واتصف بصفة الرجاء عند وقوعك في الزلل، لا تغلب جانب الخوف عند ذلك، فيملكك الخوف، فتقنط حينئذ فتنسى الأعمال والأحوال وتقع في محض الزلل، فاعرفه يا سيدي عند وقوع الزلل منك بالرحمة والفضل والجود، لأن جميع الزلل في رحمته كالهباء المنثور، بدليل قوله تعالى: ﴿**لَا تَقْنَطُوا**

---

1 م: فهو

مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾[1] الآية، اخرج عن كون وجودك، ولا تدبر معه في كونه، لأن الكون خلق من أجلك، وأنت خلقت لأجل معبودك، فكن حرا على ما هو مسترق، ولا تكن عبدا لمعدوم لا تأثير له، بل كن عبدا لخالق الوجود بأسره تكن عزيزا معزا وإلا فأنت مملوك لعبد مثلك، لا تنفعه ولا ينفعك كالعدم، أنت لو اتخذت التدبير شغلك وصار تدبيرك هو معتمد أمورك أنت وتدبيرك في قيد نفسك لا تدبير لكما جميعا ولو كان لكما تدبير لما تعبتما مدة حياتكما، طلبتما ذلك ولم تجدا شيئا، بل التدبير كله لله. أيها المغرور، لا يغرك تدبيرك ولا تتخذه إلاها لتدخل في قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾[2]، لا تدبر مع المدبر، وسلم[3] أمورك لمولاك تسلم من آفات التدبير، واصبر لله وفوض الأمور له تسترح[4] راحة أبدية لا تعب بعدها لا تدبر فيما ليس تدركه، ولا تتمن مستقبل الوقت أو مستدبره، فإن في ذلك حرمانا وعقوبته النصب والعناء فيما لا يعني، لأن المقسوم محتوم، يدركك هو مع الإبان، ولا تدركه أنت مع اجتهادك في طلبه، ربما قصدت شيئا وبذلت[5] جهدك في طلبه وهو لم يكن لك فيه قسمة فيما

---

1 الزمر/ 53.

2 الجاثية/ 23.

3 م: وأسلم

4 م: ترح

5 م: وأبذلت

قسم لك، فمتى اتبعت نفسك فيه طال انتظارك له، وازداد شغلك بالاهتمام فيه، وصيرك ذلك رقا له، وملكك وأنت لم تنله أبدا، فاحذر يا أخي الاهتمام في الرزق ولا تجعله أكبر همك، لأن الأرزاق مقسومة محتومة للإنسان، لا يتعدى مقسومه أحد سواء تعب أم لا، وتدبيرك في الإرادات معلول مدخول عليه من كل وجه، وكيف تدبر في المقسوم وأنت لم تطلع عليه، ما هو في القسمة وليس لك مدخل في قسمته، وما هذا إلا من نقصان عقلك وطمس بصيرتك، وإلا فالواحد كيف تكون له شركة في ذلك حتى تدبر معه فيما دبره هو لك قبل خلقتك، وأنت في العدم، انظر يا أخي ما أكرمك على مولاك وأنت تنسى فضله عليك، خلق لك الأرزاق وسخرها لك في سابق الأزل من قبل ان يخرجك من العدم إلى الوجود، وحيث خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك أشركت به في تدبيرك ونقضت العهد الذي بينك وبينه في سابق علمه، وصرت مريدا بإرادتك، ومدبرا بتدبيرك، وخلطت في عبادتك بالأمور الخارجة عن العادة، فاشتريت حتف نفسك لنفسك ولولا فضله عليك لعاقبك من حينك وأحرقك بنار ذنوبك، ولكن الكريم يتكرم على عبده الضعيف المسكين ويتوب عليه ويغفر له الذنوب والآثام، فالحمد لله أن منّ علينا بالتوبة وفتح لنا بابها بالقبول والرجوع إليه من غير منة منا ولا تفضل، بل هو اللطيف الجواد المتفضل علينا حين العصيان بالرحمة، وهو الرحيم، نحن الضعفاء وهو القوي، وله الحمد والشكر والثناء الجميل على ذلك.

وكن بفضل مولاك معتمدا عليه، واغتنم فضله في سائر دنياك، عساك تحوز غدا رتبة ويجازيك بما أعطاك، ولا تعتمد بفضل نفسك في الأعمال مستوحشا من فضل مولاك وهو لا ينساك، فكن عبدا له أنت في جميع أحوالك، ولا يغرنك غيره إن أغناك، وهو الكتر المكنون في قلوب أوليائه، أعني نور إفراد ذاته الذي يراك وهو المحيط بعلم غيبه أولا وآخرا، وهو الذي هداك وسواك، وهو الذي ألهمك إلى المصالح كلها، وهو الذي سترك ونجاك، وهو الذي سخر لك النعم والأرزاق مطيعة مع الجن والإنس والملائكة ترضاك، وهو الذي صورك في الأرحام من نطفة، وهو الذي صير سافلك أعلاك، والذي أخرجك إلى سعة الدنيا، وهو الذي كساك وغذاك، فانظر يا أخي ما أشرفك على مولاك، وما أعظم قدرك عنده، حيث خلقك وخلق لأجلك هذا كله، ولولا أنت لم يخلق هذا أبدا، هذا كله وأنت تعصيه وهو يسترك، وأنت تغفل وهو لا يغفل عنك، وعجبت منك أنت ومرادك الخسيس كيف يظهر لك الحسن وتظهر أنت له القبيح، هذا من عدم الإيمان في قلبك واتخاذك من دونه إلاها، ولولا عدم الإيمان ما صدر منك هذا معه، فتب يا أخي عن قريب من قبل أن يفوتك خير الدارين وتندم من حيث لا ينفعك الندم، وتدخل في قولهم مساكين أهل الدنيا خرجوا منها و لم يذوقوا من نعيمها شيئا.

اعلم أن لله أقواما ذاقوا من شراب المحبة وطعام الحضرة، ففنوا عن أنفسهم وغابوا عن إحساس المطعم والمشرب، ولم يشعروا إلا بشراب ماء الغيب، والطعام المغيب، ولبس ثوب التقى فقط، فكن أنت مشتاقا لمحبوبك،

شاخصا ببصيرتك إليه، عسى تلحق أولئك الرفقاء، وتدخل مدخل صدق معهم، وتخرج مخرج صدق إليهم، فتذق الطعام الذي لا فناء له، والمشرب العذب الذي لا انقطاع له، والملبس الرفيع الذي لا بلى له فتنسى لذة الدنيا ونعيم الجنة. فتخلف الدنيا لأهلها والجنة لطالبيها، وتشتغل حينئذ بالمعبود الدائم، وتترك المعدوم الفاني وهو الدنيا والميل إليها.

فكن يا حبيبي على حذر من الدنيا وزينتها، ولا تغترّ بما يسرك فيها أو يحزنك، بل كن فيها غريبا مستوحشا من أهلها متأنسا بمالكها، وهو الله، مخالفا لعوائدها، هكذا حتى ترحل منها إلى آخرتك.

أيها المناجي فأي من تناجي؟ فاحذر من تناجي أن يكون في ضميرك غيره، لأنك لم تجب في مناجاتك حتى تخرج عما أصررت عليه، وإلا فأنت بعيد ممن تناجيه، فالمحجوب أنت بإقبالك على غيره، ولولا الحجاب الذي حال بينك وبينه لأقبلت عليه بكلياتك، وأدبرت عما يشغلك عنه لزوال الحجاب، بعدم الالتفاف لغيره، فتشهده فيك منك أولا، وفي غيرك ثانيا، تسمع حينئذ مخاطبة الحق لك في سرك بقوله تعالى: ﴿**يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ، ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً، فَادْخُلِي فِي عِبَادِي، وَادْخُلِي جَنَّتِي**﴾[1].

ولا تنس الكريم تغتر بما لاح لك في مناجاتك من الطوالع والبوارق، فإن ذلك كله قواطع وفتن، لا تنظر إليها ولا تقف عندها فتحرم الخير الباقي،

---

1 الفجر/ 27–30.

وتعطي الشر الفاني، وهو حظوظ النفس، وردت عليك الكرامات وأنت في حضرة المكرم، عيب عليك وعار أن تذكر[1] إحسانه بك وأنت بين يديه وكيف تنسى الكريم الذي أوجد لك الكرم وتفكر[2] الفضل الذي أسبله عليك، وهو يراك وحاضر لديك، الإحسان منه إليك تفضل، والإساءة إليك منه حجاب، والإساءة منك إليه هو انتظارك لإحسانه، وغفلتك عن وجود ذاته، لا تتذكر غيره وتزعم أنك ذاكر له، فهذا منك ليس ذكرا وإنما هو ذكر غيره فقط، واذكره هو بلا ذكر، وقف بباب حجرته بلا واسطة، وكيف يكون لذكره ذكر آخر، وكيف يكون لدليل حضرته دليل؟ فاعرف يا أخي قدرك من قدره لأنه هو القادر على كل شيء، وأنت العاجز الفاني الباقي في قيد التقصير، أين أنت وإياه؟ شتان ما بينكما لا تتخذ هواك معبودا فتبقى مع المفقود وتفنى عن الوجود، هذا منك موت لا حياة، وعدم لا وجود.

ولو كنت حيا موجودا لما أفنيت نفسك في العدم، ولا اتخذتها قدوة في الهمم، أيها المجتهد المكابد، فلا تقف مع حظوظ نفسك واشتغل يا أخي بقطع العلائق من قلبك لأنك لم تخرج عنها حتى تخرج هي عنك، واخرج من كل شاغلة إليه، تسترح من هم دنياك وتحيى حياة طيبة، وإلا فأنت مثل البهيمة تأكل وتشرب وتنام حتى تموت على غير حالة، والعياذ بالله.

أيها الســـالك القريب من حضرة ربه، اسمع مخاطبة الحق إياك ولا تكن

---

1 في كلتا النسختين: ولعله: أن لا تذكر.

2 وكذا في النسختين ولعله: وتنكر.

لغيره مخاطبا و كن معه حيث كان، ولا تكن مع حالك حيث كانت، أيها الفاني الغائب عن الكون صحح فناءك بالبقاء مع المكون، فلابد لك من الرجوع من المحو إلى الصحو، فاحذر يا أخي عند زوال السحاب عن شمس سماء بصيرتك، فإنك قبل كنت فانيا غائبا، وبعد صرت حاضرا باقيا، هنا كنت وما كنت أي كنت مع الله بصفة الوجود و لم تكن مع غيره بصفة المفقود.

أيها الباقي في الحضرة السنية، الفاني عن الأكوان البالية، أي الردية المشرفة على الهلاك ابتداء وانتهاء، تمتع بذي الجمالات البهية، والتجليات الأزلية، حييت حياة شهداء المحبة لا موت لك فيها قبل ولا بعد، بدليل قوله عز وجل ﴿**وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾[1]، أي رزق الأرواح وهو التمتع بدوام حضرة الله، لا رزق الأشباح وهو التنعم في خلود الجنان كما دلت عليه في حق شهداء السيف، كما قال شيخنا رضي الله عنه: كل آية لها تفسيران تفسير ظاهر؛ وآخر باطن، والكلام هنا في حق الجهاد الأصغر، والجهاد الأكبر يطول الكلام فيه، ولكن الاختصار أولى، وما ذكرناه يكفي لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، لاسيما زماننا هذا فبطول[2] المواعظ فيه ترد[3] الواردات الحسنة والله أعلم.

---

1 آل عمران/ 169.

2 م: طول

3 م: تر

وبعد الفراغ من الكلام في أحكام المريدين الطالبين القصد من مولاهم، شرعنا في الكلام على حكم اللسان والقلب والروح والسر والخفاء والفناء والبقاء، وما يتعلق بها من طهارة ونجاسة وما يجب في حقها وما لا يجب، فأردنا أن نتكلم اولا في حكم اللسان لأنه أول جارحة في الإنسان شرفه الله تعالى وأكرمه بالنطق وهو الترجمان على القلب، وهو الجالب لصاحبه الخير أو الشر، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في حقه "**لسانك سبع إن أطلقته أكلك وإن صنته صانك**"[1]، وقال صلى الله عليه وسلم "**وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم**"[2] أو كما قال، إلى غير ذلك مما هو مذكور في حق اللسان من الأحاديث الواردات عنه صلى الله عليه وسلم.

فالواجب عليك أيها المريد والمؤكد به عليك أن تمسك لسانك عن الكلام، ولا تقل به إلا خيرا، ولا تطلقه إلا عند ذكر الله فقط، فطهر لسانك من النجاسة، ليكون محلا للذكر، ويصح ذكره، كما أن الصلاة لا تصح إلا بالطهارة، وكذلك اللسان لا يصح ذكره إلا بصيانته عن المنهي عنه، ونجاسته الغيبة والشتم في أعراض المؤمنين، وغير ذلك مما نهى عنه تعالى في قوله ﴿**وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً**﴾[3] الآية.

---

1 لم نعثر عليه في أي من كتب الحديث.

2 رواه أحمد في مسنده

3 الحجرات/12.

والكلام فيما لا يعني أو غير ذلك، وآفات اللسان كثيرة، ولذلك اختاروا للمبتدي الذاكر المجتهد العزلة، والتجنب عن الأصحاب والأقارب بالجسم وعدم المخالطة لهم، ليصمت لسانه على الكلام في ذلك، وتجتمع همة القلب فيه، فعليك سيدي بطهارة لسانك، يصح لك ذكرك به، ويسري ذكر اللسان عند حصول المعنى إلى القلب، ويصير ذكرك قلبيا، لأن ذكر اللسان ذكر العامة، وبتلفظه تكثر الحسنات والسيآت، ولكن الذاكر باللسان تتضاعف حسناته، وتقل سيآته، لقوله تعالى ﴿**مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا**﴾[1]، وصاحب ذكر اللسان تسمعه الملائكة أعني الحفظة الكاتبين عليه الخير والشر، فصار ذكر اللسان موصلا للقلب لا غير، وحيث يصل الذكر للقلب كَلَّ اللسان حينئذ ولا حاجة عند ذلك لذكره، كما قال صلى الله عليه وسلم "**من عرف ربه كل لسانه**"[2]، أو كما قال، وأنت عليك بتصحيح القول في كل أمر يصح لك الفعل في كل حال، عسى أن ترحل عن ملك لسانك وتستريح من الشاهدين الكرام الكاتبين عليك، وتحل في ملكوت قلبك، فيكون سرك مستورا بينك وبين معبودك، وفي ذلك خلاف، والمشهور أن الملك لا يكتب إلاّ ما تلفظ به اللسان، أو عملته الجوارح الحسية، لا غير، وأما عمل القلب يعلمه الله، والله أعلم بذلك.

---

1 الأنعام/ 160.

2 حديث مرفوع، قال النووي ليس بثابت

القلب من[1] أو ما يصر عنه[1] تكتب الملائكة تلفظه أو ما يصر عنه[1] والقلب فيه خلاف هل تكتب الملائكة تلفظه أو ما يصر عنه
الذنوب والحسنات أم لا؟ لأنه قلب لحمي مقارب للسان، وتجتمع فيه
أمور مهمات كلها، خيرا كان أو شرا، وقيل تطلع الملائكة على الأمر
المهم فيه وتكتبه، وقيل تصعد منه رائحة طيبة كانت أو خبيثة فتكتبه
الملائكة، والمتفق عليه أنها أعمال القلب دون السر والله أعلم، واختصرت
هنا في ذكر اللسان وما ذكرناه يكفي للعاقل، والله الموفق للصواب.

وأردت الآن الكلام في أحكام القلب وما يتعلق به من الأمور الباطنة[2]
وما يجوز في حقه وما لا يجوز، ولماذا سمي القلب قلبا؟ الجواب في ذلك
نعم[3] لأنه يتقلب في كل الأمور، ويتلون بتلوينات الأحوال، تارة هكذا
وتارة هكذا، وهو بضعة في الجسد شريفة، شرفت على قلوب سائر
الحيوانات، وخلق الله فيه العقل والسمع والبصر، لقوله تعالى ﴿**فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾[4]، وقوله صلى
الله عليه وسلم "**بضعة[5] في الجسد إذا صلحت صلح الجسد كله ألا
وهي القلب**"[6]، فاشتغل أيها الأخ بطهارة قلبك من النجاسة المانعة[1]

---

1 كذا: ولعله: عليه

2 م: الباطنية

3 ط: – نعم

4 الحج/ 46.

5 كتب على الهامش: "أصل الحديث أن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب"

6 أخرجه البخاري في الصحيح.

الحاجبة لك عن الحق، الموقعة لك في الباطل، وزَوِّلْهما بماء المحبة، واغسلها بالتفكر في عظيم قدرة[2] الله تعالى، ونجاسته: الرياء والكبر والعجب والغضب، وغير ذلك من الأوصاف المذمومة، التي لا يتصف بها إلا ناقص عقل وذو استعلاء على الخلق، وهو تحت أقدامهم وضيع بذلك الادعاء الشيطاني، فطهر نجاسة باطنك بإخلاص العمل إلى ربك ليحل فيه الإيمان، لأن الإيمان ملك، والصدر بيت، والقلب سراج، وأنت أيها المريد إن أردت حلول السلطان في البيت فنظفها له من الأغيار، وأوقد السراج لتنظر به ما في داخل البيت، لتزيل بذلك ما يشوش على الملك ويكدره، وينكد عليه الحلول في المكان، والملك له جنود وأعوان، والعقل واسطتهم، والشيطان له جنود وأعوان والنفس واسطتهم، واختر أنت من أي الفريقين تكن، إن شئت تملك العقل وجنوده فجد واجتهد في طاعة مولاك، وخالف النفسَ وهواك تجد ما وجدوه، وتذق ما ذاقوه، بحول الله وقوته.

وعند ذلك يتمكن المالك من البيت، وتتغير مملكة النفس والهوى، والشيطان، بدليل قوله تعالى ﴿**إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ**﴾[3]، أي يصيّرون عزيزها ذليلا، وذليلها عزيزا، فيقوى السراج حينئذ للملك، ويترل الملك على فرشه

---

1 في النسختين : المعانية.

2 م: قدر

3 النمل/ 34.

المبثوثة، والشمعة توقد بين عينيه، يرى بذلك الحق حقا، والباطل باطلا، فما وافق الأمر في الرعية وهي الجوارح أسبله عليهم، أي مكنه منهم، وما خالف الأمر في ذلك تلقاه أحد من أعوانه، فأزاله ونفاه، ويصير العقل بوابا على البيت، ويفعل ما ذكر آنفا هكذا، حتى يصير صاحب العقل وهو الإنسان المجتهد أميرا[1] على الوجود أي الكون بأسره.

فانظر ما أعظم هذا القالب الطيني، والقلب اللحمي، كيف يكون لهما هذا الفضل العظيم، هذا كله من بركات لا إله إلا الله، وإلا لم يكن لهما ذلك، فعليك بكثرة لا إله إلا الله فيتقوى إيمانك، ويتزلزل الشيطان[2] وأعوانه، وتضعف عليك نفسك فتبقى بالواحد الأحد الفرد الصمد، وإلا فتقوى عليك النفس والهوى والشيطان، ويتبدل لك عكس ما ذكر أولا.

فعليك أيها السيد بطهارة القلب من الأغيار، وهو ما سوى الله تعالى يصح لك تقلبه في الأحوال الحسنة، وتمكنه من أصول الإرادات[3] الأزلية، ويكون ذكرك بالقلب لا باللسان، إلا أن اللسان ترجمان عليه لا غير، وعلامات ذكر القلب أن تكون حروف الوحدانية منقوشة فيه من غير تلفظ باللسان، حتى إذا غفل صاحب القلب وسها يجد عند تنبهه من تلك الغفلة الذكر حاضرا في قلبه، فهذا عندهم لا يفتقر لذكر اللسان، وذكر اللسان محل لذكر الغيب أي نفي الموجودات سواه لا غير، وإلا فالله

---

1 ط: أمير.

2 م: + ويتبدل لك عكس ما ذكر. وهو خطاب الشيخ.

3 م: كتب في الهامش: لعله الواردات.

حاضر موجود خالق الوجود، لا يستحق نفي الغير معه، لأنه منفي معدوم من أصله، هذا معنى تمكن الذكر في القلب، ولا ينبغي للعاقل أن يقدم النفي على الإثبات في قوله لا إله إلا الله، أعني يلزمه إثبات الوحدانية القديمة الأزلية في قوله لا إله، مع أن لسانه نفى ما سوى الله، وقلبه أثبت وجود القدم له سبحانه.

وهذا المعنى مشروط في حق الذاكر، ليكون على دليل وبصيرة، وإلا صار ذكره نفيا وإثباتا، ولا يحصل له الإثبات في زعمه إلا بعد النفي، وهذا نفي الموجود والمعدوم بأسره، ولا يحل للمؤمن ذلك، بل الواجب في حقه أن يثبت الوجود لله في داخل النفي، ليحصل معنى الإثبات ويصح له ذكره، والله أعلم.

والقلب له وجهان وجه لعالم الغيب، ووجه لعالم الشهادة، فعالم الشهادة هو الملك الظاهر لنا، وعالم الغيب هو الملكوت الغائب عنا، إن سُدّ أحد الوجهين ظهر ما في الوجه الآخر، وإن سُدّ الوجهان، سدا معا، ولم يظهر شيء وبقي أبْلَهَ لا من هؤلاء ومن لا هؤلاء، وعلمه عند الله أين شاء صرفه، والرحمة واسعة، وأظن هؤلاء من أهل جنة المواهب، وإن فُتِحا معا اشتبه الأمر على صاحبه، وتنكّر عنده، ولم يميز بين الخير والشر، بل يفعل الخير والشر، ولم يظهر له سرّ ترجيح أحدهما على الآخر، لأن الوجهين مفتوحان لا يرى في أحدهما شيئا وهو كالزجاجة مثلا، وهذا أظنه من

الذين قال الله عز وجل في حقهم ﴿خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً﴾[1] الآية.

فكن سيدي من الذين سدت عليهم الشبهات، وأوضح لهم الإيمان، ولا تكن من الذين انكشفت لهم المعائب، وتوغلوا في شبهها، ولا يزدادون بذلك إلا بعدا من الله تعالى، وأنت أيها المحب لا تغفل عن ذكر قلبك، فيأخذ الشيطان نصيبه منك، لأن الشيطان مسكنه القلب الخالي من الذكر، حتى إذا تمكن الذكر من القلب لا يقدر الشيطان أن يسكنه، ولا يضره بل يكون للإنسان مراصدا أي قريبا منه لا يفارقه طرفة عين، ويأتي كل أحد من باب المقام الذي هو فيه بالنصائح العجيبة الموافقة للمراد، وإن صحت ربطته مع الله وقدوته استقامت أحواله، وأنارت[2] بصيرته فيرى الحق للحق والباطل للباطل، ويعطي كل ذي قسط قسطه، فعند ذلك لا يقربه شيطان ولا يوسوس له أبدا، بدليل قوله تعالى ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾[3]، أي ليس لك عليهم سبيل، فيكون هنا محفوظا من آلام الشيطان وأعوانه، حتى إن الملك الذي يكتب له الحسنات لم ير له حسنة ما عدا الرائحة الطيبة التي تخرج منه، فيتغذى بها الملك ويكون عليه شاهدا لا كاتبا، أي شاهدا بالأعمال الصالحات، أي بالرشح الذي يخرج من الأعمال لا غير.

---

1 التوبة/ 102.

2 هذا: بارت

3 الحجر: 42

وهذا أعماله صارت باطنة سرية، يصدق عليه قوله صلى الله عليه وسلم **"سر بين العبد وربه لا يعلمه ملك مقرب فيكتبه ولا نبي مرسل ولا شيطان فيفسده"**[1]، هذا مثاله في حال السالك الخارج من الكون إلى المكوّن، يعني يتعب ملك اليمين في كتب حسناته ثم بعد ذلك لم يدر ما يكتب، لأن عمله الظاهر والباطن صار كله لله، وجمعه الله إليه بكلياته، وصار هو مجازيه عن أعماله، وشاهده في ذلك وناظره ومتولي جميع أموره، فيبقى الملك يشاهد صور الأعمال الظاهرة أي البشرية لا غير، فيرجع الملك المأمور إلى الله ويخبره بحال العبد، وهو أعلم منه إن شاء أذنه الله في كتب صور الأعمال، وإن شاء أوقفه مع شم الأعمال لا غير.

وما ذكرناه أولا في حق ملك اليمين مع الكامل، وأما ملك الشمال أحرى وأولى، لأن أمره مع المريدين بيّن واضح، ومن جملة ذلك ما دل عليه قول شيخنا بن عزوز رضي الله عنه: إن المريد الصادق السالك لم يكتب عليه ملك الشمال سيئة، وإذا وقع من المريد زلة ستره القدوة بجناحه بحيث لا يرى الملك عنه شيئا، وانظر سيدي ما أعظم هذا السر المصون الذي لا يعلمه إلا هو سبحانه، فعليك بالذكر الخفي، تخفى عن كل المكروهات، وهو ذكر القلب، أو السر، أي سر القلب، وهو ما خفي عن الحفظة، والقلب عندهم ملك، وهو من جملة أجزاء العبد، لأنها بضعة لحم لاصقة بالبدن، ولو شق عليه لوجد كما ذكر، وسره ملكوت

---

1 رواه أحمد في مسنده

لم يوجد فيه مثل ذلك، و لم يطلع عليه أحد إلا الله، فصار ذلك السر هو النور المشار إليه والمعبر عنه في الأحاديث الواردة عنه، والكلام القدسي أو غير ذلك مما تكلم فيه السادات رضي الله عنهم.

فصن سرك سيدي واكنــزه عند من لا يضيعه لك وهو الله تعالى تعش حرا، وتخرج عن رِقيِّتِك، بدليل قوله صلى الله عليه وسلم "**صدور الأحرار قبور الأسرار**"[1]، وإن كنت كما ذكر صح لك مقام القلب، وصار قلبك محل النظر لرب العزة سبحانه، وسرك محل الإلهامات لتجليات الحق، فكن سيدي روحانيا ولا تكن إنسانا حيوانيا، تكن من عبيده الأحرار المقربين إليه.

واختصرنا في الكلام هنا على مقام القلب وأحكامه، وما ذكرنا فيه يكفي لمن له قلب سامع مطيع، زاهد، ورع، وزماننا ضعفت فيه القلوب، وصار الاختصار أقرب منفعة للقلوب، في كل الأمور، لقوله صلى الله عليه وسلم "**ما قل وكفى خير مما كثر وألهى**"[2]، وقوله "**أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلّت**"[3].

---

1 كلام صحيح وليس بحديث.

2 أخرجه أحمد

3 رواه مسلم

أحـــكـــام الـــــروح:

نعم وأردنا أن نتكلم على ما شاء الله وأراده من أحكام الروح وعلو مرتبته، وسمو أحواله السنية، والروح علوية، كما أن النفس سفلية، لأنها تسفل بصاحبها إلى سجين الطبيعة، ولذلك خلق الله تعالى النفس مع البدن البشري، حيث خلق نطفة وامتزجت به، إلى غير ذلك مما يطول ذكره. فالكلام على النفس وخلقتها مع البدن أعني النفوس خلقت مع الأبدان، والأرواح خلقها الله قبل خروج الكون، وخلقت في سابق عليه، فعاهدها وأخذ منها عهودا ومواثيق، فمنهم من نقض العهد، ومنهم من أكمله أي أتمه، ومنهم من أنقص منه، ومنهم من زاد فيه، إلى غير ذلك مما هو مذكور في الآثار والكتب المنزلة في حق الأرواح، وخلقهم في سابق الأزل، يصدق عليه قوله تعالى ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾[1]، هو الأول قيل هو روح محمد صلى الله عليه وسلم، خلقه الله تعالى وذكره وسماه أحمد قبل خلق الأرواح وذكرهم، وبعد ذلك خلقت أرواح الأنبياء، ثم الشهداء، ثم الصالحون، ثم أرواح الخلق جميعا، وهذا معنى الأول والآخر، يعني هو آخر الأنبياء أي أولهم في خلقة الأرواح، وآخرهم في خلقة البدن في العصر، وهو أول من تؤخر له الشفاعة يوم القيامة، وأول من يؤذن له في ذلك، وقيل الآخر هو روح سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أي آخر أرواح الأنبياء وهو آخرهم في

---

1 الحديد/ 3.

القول والفعل، والأمر والنهي، إلى يوم القيامة، وروح سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو المدد الجاري في الأمة منذ خُلقوا إلى يوم النشور، لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام انقطع مددهم أي مدد أممهم لا مدد النبوءة، فالانتقال من الدنيا فقط ومدد نبينا صلى الله عليه وسلم موجود جار، ويزيد إلى أن تفنى الدنيا ومن عليها وبقى مدده يتزايد حتى في الحساب، أي هو أول من يؤذن له في الشفاعة، وقيل هو الأول يعني هو أول من تنشق عنه الأرض، وأول من يؤذن له في الشفاعة، وأول من يدخل الجنة، إلى غير ذلك من الأوصاف الكاملة التي لم تكن في غيره، وهو الظاهر يعني هو أول من ظهر في الإسلام، وأظهر الدين الحنيفي وأقامه حق الاستقامة، وأظهر الإيمان واوضحه، بعد الجهل، وأناره بعد الظلمة، وقيل الظاهر هو أول من ظهر اسمه في الأرض محمدا، وصار معناه هو الأول أحمد، والآخر محمد، فانظر سيدي تجد من عجائب اسمه وما ظهر منه من الغرائب في كتب الأمم المتقدمة، والله أعلم.

والباطن هو روحه وما بطن فيه من الأسرار العجيبة، والأنوار الساطعة، والأحوال السنية الباهرة المبينة، في فضل الروح وما اشتمل عليه من الأوصاف النبوية التي لم توجد في غيره، إلى غير ذلك مما ذكر في الروح الأعظم، وهو روح سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي استمدت منه أرواح المحبين.

فصحح أيها المحب مقامك الروحاني، ولا تبخسه بالإصغاء إلى اتباع هوى نفسك، بل اخرج عن إرادتك، وكن بإرادة مولاك سائرا لكي تصفو لك

الروح، ويخلص لك العمل لله، والروح معاشه الإخلاص، وشرابه المحبة، ونومه الحضور، ويقظته البقاء.

وأما النفس فمعاشها حب الدنيا، وشرابها اتباع الهوى، ونومها الفترة، ويقظتها الغفلة، فتخلص سيدي من هذه الأوصاف الردية الرذيلة وهي صفة الحيوانات، التي لا عقل لها، ولذلك لم تكن لها جنة ولا نار، بل تحاسب وترجع ترابا، لقوله تعالى "**كوني ترابا**"[1]، وأنت مكلف مأمور، وكتب لك الجنة والنار، وكيف ترضى بهذا المقام الخسيس، فانهض يا حبيبي نهوضهم، واسلك مسلكهم، واخلص إخلاصهم، تكن روحانيا لا نفسانيا، وإن صرت روحا، صار روحك مع الروحانيين في عالم البرزخ، وهو عالم الأرواح المميز على العوالم كلها، وتجتمع فيه أرواح السعداء مختلفة في التنعم في الجنان، والقرب من الملك الديان، منهم من هو متنعم بجسده، ومنهم من هو متنعم بروحه بحسب حالهم في المراتب، كما هو في المجاهدين[2]، وبرزخهم عالم الغيب، يتنعمون في الجنان، والمراد بالجنان التنعم بحضرة الله، أو بنعيم جنته، وكل ذلك بوفق المراد، والله أعلم.

ويجتمعون في برزخهم لحكمة يعلمها الله منهم، كدائرة الأولياء في الدنيا المتصرفين في العوالم، منازلهم ومراتبهم مختلفة، ويجتمعون في موضع واحد في الأرض، يتراؤون[3] فيه، ويقضون فيه ما أمرهم الله في ذلك لحكمة[1]

---

1 فهرس مستدرك الأحكام، فهرس مسند إسحاق

2 ط: الجهادين.

3 ط: يترايون.

منه، ويفترقون عند ذلك لأماكنهم، هكذا عادة الله في هؤلاء الفريقين، حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا.

فكن سيدي طاهر السر من الأدناس، والأغيار، تتطهر لك الروح بتجليات الحقائق الإيمانية، وتشاهد بذلك مشهدا عجيبا لا يعادله مشهد غيرك من المشاهد القلبية، لأن كل مشهد له سر غير سر المشهد الآخر، ويظهر لك في الكتاب إن شاء الله ما يبين لك مقام كل أحد، حتى تعرف أنت في أي مقام كنت، ويظهر لك غيرك في أي مقام، لأن هذا يفهمه من كان عارفا بالله، حافظا لحرمة الأوامر والنواهي، واقفا بباب مولاه، زاهدا في الدنيا وأهلها، راغبا في الله وما عنده، عالما بالكتاب والسنة، غافلا ساهيا عن اتباع شهواته، متنبها مستيقظا من غفلاته، وإلا فمثل قارئه كمثل الحمار يحمل أسفارا، وأما صاحب الروح له علامات تدل على روحانيته، أعني يكون له ذكر روحاني، يستغرق بدنه في العبادات، ويتخلق بالأحوال القلبية، وتصير له العبادات طبعا لا طبيعة، يعني الطبيعة للبشرية، والطبع للروحانية، ومفهوم الطبع هو أن يفنى الإنسان عن المحسوسات، ويغيب عن الكون بأسره، حتى عن وجود نفسه، هذا كله والمأمورات لم يغفل عنها، ولم يغب عليها، بل عند حضور وقتها يثبته الله لها، ويؤديها، وتصير له الطاعات طبعا، وتخف عنه، وتزول مشقتها عليه، فيجد هو لوجوب أدائها راحة ولذة وشوقا ومحبة، سواء كان غائبا أم

1 ط: بحكمة.

حاضرا، الغالب عنه[1] الاستغراق في تجليات الأفعال، والصفات، أي الصفات فقط، لأن مقام الروح مقام تجلي الصفات، ومقام القلب مقام تجلي الأفعال، وتجلي الصفات مقام فناء وغيبة وذهول، فصحح غيبك عن الكون بحضورك مع المكون، وشهودك لمنة نفسك في الأعمال، بتحقيق الأفضال منه تعالى، لأنك أنت في هذا المقام مستغرق الأوقات في بحر التجليات، وصاحب هذا الاستغراق يغلب عليه الشهود، أي شهود الحقائق، حتى يذوق في شهوده، لا معطي ولا مانع ولا ضار ولا نافع إلا الله شهودا ذوقيا لا شهودا اعتقاديا، يعلمه ويفهمه فقط، وصاحب هذا المقام، قريب من حضرة الله، بعيد من وسوسة الشيطان، إلا أنه بقيت فيه بقية يسيرة من النفس الأمارة، وطبيعتها مهما غفل الإنسان هنا سها عن الله قادته إلى مألوفاتها.

فكن سيدي مشتاقا لحضرة ربك ولا تبدلها بحظوظ نفسك الفانية، واجتهد في طلب الإعانة من مولاك، ليخرجك من ضيق الفناء عن نفسك، إلى سعة البقاء بربك، تستريح من نصب السحق والمحق، وتدخل راحة الصحو والمحو، لأن صاحب الفناء محصور في فنائه، مقهور لعوالمه، لا يدري في أي واد يذهب، فاخرج يا سيدي بإرادة سيدك عن الذهول، ولا تكن واقفا ببابه، ناظرا للفرح به، لأنه مقام غرق، ويخشى على صاحبه القطيعة، فالخروج منه أولى لمن وفقه الله تعالى، والله واسع عليم.

وهذا باختصار فيما ذكرناه من أحكام الروح وما ذكر يكفي والله الموفق.

---

1 كذا ولعله: عليه.

الكـــلام في حقيقة الفناء:

وأردنا الكلام في حقيقة الفناء وسره وعوالمه، ومآل أمره، والله المستعان، وبه التوفيق، فافهم أيها السالك السائر إلى مالك الملوك، فإن للفناء ظنونا وشكوكا، وصاحبه مشكوك فيه، هل يفنى أو يبقى، والفناء مشتق من اسمه لأنه معدوم، لا أصل له، وصاحب الفناء والذهول هو، وما ذهل عنه فناء، فصار الفناء لا حاجة به للسالك، والبقاء خير له، وإن كان ولابد للسالك من الفناء والمرور عليه، فلا ينبغي له المقام فيه، لأنه مقام دهشة، وهيبة، وذهول.

فبدّل يا أخي أوصافك اللئيمة المتلونة، بأوصاف مولاك الحميدة المتمكنة، أي اطلب الله أن ينقلك من صفة الفناء إلى صفة البقاء، وحيث تتمكن أوصافك بحقائق أوصافه، تصير تسمع به، وتبصر به، وتبطش به، وتمشي به، وتنطق به، وتتحرك به، وتسكن به، كما جاء في كلامه القدسي، **"ما زال عبدي يتقرب إلي بالنوافل"**[1] الخ، ثم بعد يتبدل لك السمع فتسمع به دبيب النمل في ظلام الليل، على الصفا[2]، وتبصر من العرش إلى الفرش، وتبطش بقدرته إن أردت ما في الكون، وتمشي بإذنه إن قصدت موضعا في لحظة، وتنطق بإرادته ما شئت من علوم مكنونة، وهكذا إلى

---

1 رواه البخاري.

2 ط: الصفاء.

أن تصير خليفة الله في أرضه، وهذا كله من فضل لا إله إلا الله، والإكثار منها آناء الليل وأطراف النهار.

فعليك بكثرة الذكر والاجتهاد في لا إله إلا الله ترى لها من العجائب والغرائب ما لا يدخل تحت حصر، فافهم معنى ما ذكرناه من عجائب الفناء، وهو غريب، والفناء له ثلاثة وجوه فناء، وفناء الفناء، وفناء عن الفناء، فافن أيها الطالب بالفناء عن الفناء لتدخل عين الصحو، وتستريح من سجن المحو، والصحو هو عين الفناء، ويسمى عين اليقين عند أهل التحقيق، فعليك يا طالب البقاء بالخروج عن البقاء ليتجلى لك ربك بأسمائه الحسنى، وتتبدل هيبتك بالأنس، وتستريح من التلوين، ويستقيم سرك، لتحمل الأسرار الإلهية، وتطمئن نفسك، وتزكى، فحينئذ يخاطبها الحق بقوله ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾[1] الخ، وتجاوبه لبيك اللهم وسعديك، وتصير عند ذلك راضية بقضاء الله مرضية عند الله، وخلقه، وتكون من الحق قريبا، وفي دعائك مجابا، حتى إن أقسمت عليه في حاجة لأبرك بها في الحين، وأنت في هذا يهتز لاهتزازك العرش، وحملته ومن فيه، ويذكر لذكرك الكون ومن عليه، وتهيأ لك الجنة وتزين بحورها وولدانها، وتشتاق لك، وإياك أن يتجلى[2] لك شيء من هذا، وتظن أنه الغاية القصوى، وتقف عنده، فإن هذا كله فتن، وقواطع عن الحق، فلا تقف عند كون من الأكوان، سيدي، ولا تسرّ به، فإن المقصود أمامك، فلا

---

1 الفجر/ 27.

2 ط: يتخلّى.

تلتفت لشيء سواه، لأن الوقوف عند غيره أمن، والأمان هنا ممنوع، لأنه مكر، بدليل قوله تعالى **﴿فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾**[1].

فلا تأمن سيدي ما دام فيك نفس الحياة، ولا تفرح بعمل من الأعمال إلا أن يختم الله لك بالإيمان، لقوله عليه الصلاة والسلام "**إنما الأعمال بالخواتم**"[2]، وقيل الخاتمة هي الموت الاضطراري، وهو موت النفس عن شهواتها، وحياتها بالباقي الدائم، بأن لا يتحرك منها قدر رأس المخيط وإلا فصارت حية لا أمن لها، والموت الاضطراري أي على موته[3] دل عليه قوله صلى الله عليه وسلم "**موتوا قبل أن تموتوا**"[4]، والكلام في هذا الحديث يطول معناه، وما ذكرناه كاف وشاف للقلوب السالمة إن شاء الله.

---

1 الأعراف/ 99.

2 أخرجه البخاري

3 م: - أي على موته.

4 حديث مرفوع، قال ابن حجر غير ثابت.

البحث في ســـر خفاء الخفاء:

وأردنا البحث في سر خفاء الخفاء المؤدي إلى بقاء البقاء، وهو سر يرد على قلب السالك بعد رجوعه من المحو إلى الصحو، كطلوع الفجر الخالص، فينظر حينئذ إلى سماء القلب وكواكبه وقمره التي كان يستدل بها في دجاء[1] الليل وظلامه، وإذ بها قد غربت وغارت في أقطار[2] فضائها أي عوالم أفلاكها، ولم يظهر منها إلا القليل، فظن هذا أن النهار قد أقبل، وأدبر الليل بظلامه، فيا ليته من سعد إن دامت مطالعه، وأشرقت الشمس من بعد مغيبها، فغارت النجوم عند طلوع فجرها، وأنار ضياء الشمس بشعاع قبل طلوعها، فأظلم القمر وأخجل ضياؤه شعاع الشمس حتى كأن لا ضوء ولانور له، هذا معنى السر الأعظم الذي إذا دعِي به أجاب، وإذا سئل به أعطى، وهو سر الخفاء الموصل إلى البقاء بالله، وهذا مقام تجلي الصفات، وهو قريب من تجلي الذات، وهو مقام الأنس بالله تعالى، وهي مرتبة المقربين، وصارت حسنات الأبرار لهؤلاء سيآت، كما قال: "**حسنات الأبرار سيئات المقربين**"[3].

---

1 كذا في النسختين.

2 ط: أقصار.

3 أورده الألباني في الأحاديث الضعيفة.

فكن سيدي متأهباً[1] لهذا المقام العظيم، وصحح سرك بعدم رؤية الإخلاص في إخلاصه، ليزول الحجاب وتستريح[2] من الخطر، لقوله صلى الله عليه وسلم "**والمخلصون على خطر**"[3]، وأنت قد أشرفت على حقائق تجلي الذات، وهو تجلي غير التجليات المتقدم ذكرها، ولاحت لك بشائر الخلافة العظمي، وأردت الآن أن تلبس قفطانا، وهي خرقة يتوادها القوم بينهم، رضي الله عنهم، ولا يمكن له لبسها إلا على يد النبي صلى الله عليه وسلم، والشيخ رضي الله عنه، ويضرب طبل المشيخة على رأسه، ويسمع له صوت من أقصى المشرق إلىأقصى المغرب، ويكون في ذلك الصوت اسم صاحبه، يعني حروفا منقوشة في ذلك الصوت، فينتشر صيته، ويكون له ذكر في الأرض والسماء، أوّلا يذكر في الكون بالأعمال الصالحات، وثانيا يذكر عندهم بالخلافة عليهم، وهذا لم يذكر في الأرض إلا بعد ذكره في السماء، كما هو معروف من كلام الله عز وجل إلى جبريل عليه السلام في حق المحب، وإياك ثم إياك أن يخطر ببالك هذا وتدعيه من غير أن يظهر لك شواهده فتصير مدعيا لا ميتا ولا حيا، وإن يظهر لك منه شيء فانبذه وراء ظهرك، فإن ما قسم لك يلحقك من غير تتبع منك، وإن نظرت في ذلك أي وقفت معه قطعك وحرمك[4] وحجبك عن

---

1 متأهب في النسختين.

2 م: وتريح.

3 أورده البيهقي في الأحاديث الضعيفة.

4 في الأصل: أحرمك.

محبوبك، فاقطعه سيدي بعدم الالتفات له قبل أن يقطعك، واخرج عن كليات وصفك البشرية، ولا تبغ شيئا سواه أصلا، وأنت صرت قريبا من حضرة مولاك، فلا تذكر غيره في حضرته، ولا تلتفت يمينا وشمالا، لأن ذلك كله منك سوء أدب معه، وإن أسأت الأدب معه بضرب عنقك في محكمته، أو تسجن في حبس سلطنته مقيدا بسلاسل امتحانه، وصرت هالكا مع الهالكين، وإن فعلت ما ذكر من الأدب في حضرته، وشخصت ببصرك إلى إرادته، وأصغيت بإذنك إلى محكمات أمره، وصفا سرك لإلقاء تجلياته، كشف لك الحجاب عن بصيرتك وقربك منه، فأشهدك نور ذاته، وألهمك معرفة إنزاله، وعلمك آداب مملكته[1] فغيبك عن تجلي صفاته، وأحضرك بتجليات ذاته، فانكشفت شمس العيان، وغبت عن الدلائل والبرهان، فصرت متصلا بصفاته الأنسية، ومنفصلا عن ذاته الجمالية.

واحذر سيدي هنا زلت أقدام كثيرة بالظنون الفاسدة، فظنوا واعتقدوا أن اتصالهم بتلك الأوصاف شيء من خاصية الذات العليا، وهو محال في حق العبد الحادث العاجز، فصاروا بذلك ضالين مضلين، وتزندقوا والعياذ بالله، والله تعالى منزه عن ذلك، ومخالف للحوادث، فكيف وهو تعالى صفته لا تشبه الصفات، وذاته لا تشبه الذوات، فكن أيها السيد على حذر من هذا الخطر العظيم، ليصفو[2] لك موردك، وتقبل به على الله خالصا من الشكوك والظنون، والاعتقادات الفاسدة كلها، وإياك أن

---

1 م: مملكه.

2 ليصفى في النسختين.

يفضي بك شهودك إلى أن تنظر شمس المعارف، كما نظرت أولا لأن هذا نور تجلي نور الذات العليا، لأن هذا النور ليس كالأنوار المتقدمة، وشعاع هذا يعطي للناظر ظلمة، كالناظر إلى الشمس لا ينبغي لصاحبه أن يمعن النظر فيه ببصيرته، وإن فعل احترقت بصيرته، أو كليات أجزائه فيهلك، ولكن يعجز عند ذلك عن الإدراك، ويسلم الأمر له في ذلك، ويقول حينئذ العجز عن إدراكه إدراك، وهذا تجلي الذات يسمونه مقام الجلال والجمال، قال القائل[1]:

فكن سيدي بحبل جلال ذاته واثقا　　وكن بحال صفاته محتارا أو شائقا

وكما قال بعضهم:

رب زدني فيك تحيرا　　واختر من هذا الوصف ما تختار

واختر أن لا تختار معه واغتنم　　ما أراده لك هو الخيار

ودبر أن لا تدبر معه من الهمم　　وتدبيره لك هو القرار

فاسكنه واجعله لك منزلاً　　واغتنم به كل خير درار

فإن في ذلك خير الدارين كله　　إن تركت التدبير والاختيار

وإلا فأنت في قيد نفسك حاصلا　　لم تحصل سوى الفتن والأشرار

فكن سيدي مع مولاك حيث أنزلك، قال صلى الله عليه وسلم **"إن الله يترل العبد حيث أنزله من نفسه"**[2]، ولا تترل سيدي نفسك بنفسك لأن

---

1 - الشاعر

2 - [illegible]

في ذلك تعباً وخسراناً[1] بل كن قائما بإرادة ربك في كل الأمور تفز بقربه، وعليك أيها الكامل بالفناء عن رؤية الكمال، يحصل لك مقام الولاية الكبرى، ولا تلتفت في ولايتك لما يشغلك عنه، لأن الله تعالى تولى جميع أمورك، وكفاك همك، وجمع أشتاتك، فلا تدنس أحوالك بعد الصفاء لتثمر ولايتك له، وتخرج عن الرقية إلى الحرية، وتصير حرّا مالكا للعلويات والسفليات، ويستغيث بك الكون بأسره، وتصير إماما للرجال حساً ومعنى، أما الحس فهو اقتداء الخلق بك في أصول الاعتقادات البالغات، ومحبتهم وميلهم لك، الخ، وأما المعنى فهو التأثير الجاري على يدك معنى للكل، يعني من يرون كرامات، أو ترقياً[2] في المقامات وانكشافاً[3] للمغيبات، الخ، واحذر أن تقف عند شيء من ذلك، فيكون ذلك هو حظك، ويصير لك هو السبب في الحجاب، ويقطعك عن حضرة ربك، وترجع من حيث جئت[4] وهذا إن ذقت طعم نفسك أي حظوظها، وهذا المقام ليس فيه للنفس نصيب، يعني من الحظوظ النفسانية، وهي اصطلمت هنا أي هلكت وفنيت عن مألوفاتها حسا ومعنى، ورجعت بعد ذلك لإحساسها باستسلام الأمر لصاحبها، فأطاعته أين شاء صرفها، وإن ادّعيت هذا أي سرّ هذا المقام وزعمت

---

1 تعب وخسران في النسختين.

2 في الأصل: ترقي.

3 في الأصل: انكشاف.

4 ط: شئت.

أنك واصل له مع أنك ذائق لنفسك طعما، فاعلم أنك لست أهلا له.
وابك على نفسك، واندب ونح عسى الكريم يجود ويمن عليك بالانتقال
من انحطاط همتك إلى علو المرتبة، لأن مقام الكمال ليس فيه نقص،
وانتظارك فيه للمجازاة هو عين النقص بذاته، والكامل من زكت أحواله،
وحسنت أي كرمت أخلاقه، ورقت أسراره، وعلت منازله، ودامت
حضرته، ودليل ذلك أن تكون أفعاله كلها لله خالصة، بحيث لا يعللها
بشيء دونه، وصاحب هذا المقام لا ينتقل من هنا إلا بجذبة من جذبات
الحق، لأنه هنا عجز عن الإدراك والسير والتدقيق في المقامات كما كان
عليه أولا، وسار سيره هنا بسر سر السر ليس فيه إحساس ولا خبر
للنفس الناطقة، وإدراكه عجزه، ولذلك صارت جذباته ليست بسبب من
الأسباب المتعلقة بالوسائط الموصلة إليه، وإنما هو بالمسبب خالق الأشياء
لا غير، فمن ذلك صارت جذباته ربانية، رحمانية، لا تعرف لها إشارة ولا
تفضي لها عبارة، هنا فنيت[1] الإشارة، وهلكت العبارة، وهدمت
المقامات، واصطلمت المحسوسات، وغابت المكوّنات، وانعدمت المماثلة،
فقام نور الحقائق، ونادى بأعلى صوت رائق، يا هذا ها أنت نحن، ونحن
أنت، فلا فرق بين أنت نحن، ولا نحن أنت، فاستقم كما أمرت، ولا تتبع
الهوى، وهذا مجذوب بجذبات الحقائق اللدنية[2]، فينجذب جذبة واحدة من
الكمال إلى مقام كمال الكمال، بحيث لم يبق له اضطراب لحظ النفس

---

1 في الأصل: فنت.

2 ط: الدنية.

بشيء أصلا، وهو مقام مخصوص بخاصة الخاصة المقربين، الذين صارت لهم حسنات الأبرار سيآت، لقوله صلى الله عليه وسلم "**حسنات الأبرار سيآت المقربين**"، **ومن كان هذا حاله فله أن يتهيأ لحمل تجليات الجمال والجلال**، وعن قريب إن شاء الله يحصل لك هذا الفضل العظيم بحول الله وقوته، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وعليك أيها الأخ بملازمة الآداب[1] الشرعية، والمحافظة على الأوقات المفروضة، ودوام ذكر الورد والرواتب المحتومة، وعليك بأن تلازم شروطا أربعة، تعينك على السير والسلوك، الشرط الأول أن تصحب شيخا عارفا بأحوالك ظاهرا وباطنا، منهضا لغفلتك غائبا كنت أو حاضرا، مشفقا عليك رحيما، محسنا كنت أو مسيئا، مرشدا راغبا فيك، ساهيا كنت أو مستيقظا، والشرط الثاني أن تكون متبعا لأمره، وإن ظهر خطؤه، وأن تقوم بحقه غائبا كان أو حاضرا، وأن تحفظ حرمته ميتا كان أو حيا، والشرط الثالث تلزم نفسك السهر والاعتزال والجوع، والصمت، شيئا فشيئا بحسب الإمكان، والشرط الرابع أن تجلب الفكرة في ذكرك، والاعتبار في مصنوعات الله تعالى، لأن الذكر ينتج الفكر، والفكر ينتج الاعتبار، والاعتبار ينتج العلم، والعلم ينتج المعرفة، والمعرفة هي نجم المريدين، وقمر السائرين، وشمس[2] العارفين، وكل سائر يسلك بحسب مقامه، والشروط المتقدم ذكرها لابد أن يبني السالك أساس أحواله

---

11 م : الأدبات.

2 م: شمس بدون حرف العطف.

عليها، وإلا لم يستقم له حال، ولينظر أولا في حال الشيخ الذي يريد الأخذ عنه، هل هو سالِك مُسلِك، وراشد مُرشد، يصلح أن يسلك أم لا، وينظر في حال نفسه أيضا أفيه أهلية للسلوك قابل لذلك أم لا، ويدخل الصحبة بنية صادقة، وصدق خالص، وزهد بالغ، ويداوم على الجد والاجتهاد، ومكابدة النفس مع مخالفة الهوى، واتباع الأمر الشرعي، هكذا بالترقي حتى يسلك عن جميع المقامات، وآكد هذا الزهد في الدنيا لقوله صلى الله عليه وسلم "**حب الدنيا رأس كل خطيئة**"[1]، وقال شيخنا بن عزوز رضي الله عنه: "الدنيا حية إن قطع رأسها حلت للأكل، يعنون برأسها حبها، فمن زال عنه حبها لا تضره، ولا تحجبه، كما هو شأن الأكابر رضي الله عنهم، فانظر سيدي ما أعظم حب الدنيا في قلوب الراغبين، وما أحسنها في عيون الناظرين، وما أشهى زخرفها لمن طال أمله فيها"، يصدق على هذا قوله صلى الله عليه وسلم "**الدنيا حلوة خضرة**"[2].

---

1 أورده الألباني وابن تيمية في الأحاديث الضعيفة.

2 رواه مسلم.

ذم الدنيا ومدح الخارج عنها:

والكلام الآن في ذم الدنيا ومدح الخارج عنها يطول، فالدنيا حية مسمومة، وسمها مجموع كله في رأسها، ورأسها صغير الجرم، عظيم الخطر، فمن أزال رأسها أكل منها ما شاء، أو مسها، أو خالطها، ولا يضره ذلك، وإن لم يزل رأسها لم يمكنه مسها ولا مخالطتها ولا أكلها، وإن اغتر وآلفها وأعجب بحسنها، وأدام النظر إليها واستباحها[1] وخالطها، ولم يلتفت إلى سمها، فلابد أن تصرعه بصرعة، ويتمكن منه سمها فيهلك من حيث لا يشعر، فيصير مخذولا ممقوتا، فكذلك الدنيا لا يفلح من اشتغل بها وجعلها دار قراره، وألهته عن طاعة ربه، لقوله صلى الله عليه وسلم: "**الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما هو لله**"[2]، أو كما قال، والملعون في الحقيقة هو اللاهي بها، المتشاغل عن القيام بحق مولاه، لأنها مخلوقة اختبر بها الله عباده، ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم "**الدنيا مطية الآخرة**"[3]، فصار كل ما يوصل منها إلى الخير فهو خير، وبالعكس أي ما يوصل إلى الشر شر، فعليك أيها المريد بالخروج عن الدنيا حسا ومعنى، فأما الخروج حسا فهو نفض يدك منها، وترك التصرف فيها، وأما الخروج معنى فهو نزع حبها من القلب، ولا يتيسر نزع حبها في الغالب

---

1 م: واستبابحها.

2 أخرجه الترمذي والدارمي وابن ماجة.

3 حديث غير صحيح.

إلا بترك مخالطتها، أعني شيئا فشيئا حتى يظهر له اختيار الله في تلك النقلة، والخروج، ويجد بعد التعب راحة ولذة في القلب، ما لا يدخل تحت حصر، وهذا يوجد بالذوق[1] والشوق والصحو، لا بعدم المجاهدة، ولا بالادعاء والزعم، ولا يكون لأهل التقصير والبطالة المتبعين هوى نفوسهم الراضين عنها، كما قال شيخنا رضي الله عنه: محال أن يكون صيت لبطّال، وترك حب الدنيا لا يتيسر في الحقيقة إلا بمعرفة الله تعالى، لا بنفس العبد، لأنه لو كانت مشيئة العبد تنفذ من غير مشيئة الله لما حصل لأحد تعب ولا مجاهدة نفس، ولا غبن أصلا، بل جعل الله تعالى للخلق اختيارات وأسبابا ومرادات، وخلق ذلك واختراعه حقيقة لله القادر على ما يشاء، فصار العبد يتحرك أو يسكن في مراداته التي يسره الله إليها، وربما ظن بعض من لا نور معه أن له تأثيرا في فعله، أي وهم القدرية، فظنهم وزعمهم وادعاؤهم باطل من كل وجه، كما بينه سيدي عبد الله ابن أبي جمرة رضي الله عنه في الفرق التي قال فيها صلى الله عليه وسلم "**ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة**"[2] الخ، فالواجب على العبد أن يختار ما اختاره الله له، ولا يدبر معه في ملكه، وهذا هو اللائق به، وأنت أيها العبد المملوك لا تنهمك في حب الدنيا الفانية، وتترك الآخرة الباقية، والله يقول ﴿**وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا**﴾[3]،

---

1 م: بالذق

2 رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة والحاكم.

3 الشورى/36.

بل ارحل من الدنيا ولا تستوطنها، واجعل الآخرة أقرب منها، ومن نفسك، لأن الفاني بعيد، والباقي قريب، لقوله تعالى ﴿**مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ**﴾[1]، ولأن من زاد مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت، وأنت حيث خرجت لهذا العالم مضت أيامك، وانقضت عوائدك، ولو طالت مدة حياتك، ولابد من النقلة من أيام قصار إلى أيام طوال، واعتبر من أقرانك، وجيرانك أقاموا فيها كما أقمت، وشهدوا[2] ما شهدت ثم رحلوا منها وأنت تنظر، فلابد أن تسير حيث ساروا، وعن قريب ترحل حيث رحلوا، فالحذر الحذر من الدنيا وزينتها، لأنها غرارة مكارة، لا يدوم سرورها، ولا تنقطع شرورها، فرحها حزن، وزيادتها نقص، فالمغرور من آمل فيها، واتخذها قرارا، والعاقل من زهد فيها، ورغب في الآخرة، ولا تنظر أيها الموفق في غرة ظاهرها، وتعرض عن عبرة باطنها، بل انظر لعاقبة أمرها يهن عليك ما تكدر منها، ولم تطمئن لما صفا منها لأنها هي الحاجبة لك عن الحضرة الإلهية، وانظر قوله صلى الله عليه وسلم "**الدنيا حلوة خضرة**"[3]، أي في عين الواقف مع حظوظ نفسه، أي فيها حيث ترك الاعتبار والنظر إلى عاقبتها، وقوله صلى الله عليه وسلم "**الدنيا جيفة قذرة**"[4]، أي في بصائر أرباب القلوب الطالبين

---

1 النحل/ 96.

2 م: وشاهد.

3 رواه مسلم.

4 لم نعثر عليه في أي من كتب الحديث.

الخلاص من شرها، ومن شر نفوسهم، نظروها ظاهرا وباطنا، فوجدوها دار بلاء ومحن، ومعدن أكدار وهوان، فانكشفت لهم حقيقتها فظهر لهم قبحها وخستها، فاستحقروها وزهدوا فيها، واشتغلوا بعبادة مولاهم، وأخلصوا العمل لله تعالى، فهذا مقام الأبرار الذين قال الله في حقهم ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾[1]، لأن الأبرار يتنعمون بعبادة ربهم في الدنيا، ويرجون الجزاء يوم القيامة، لأنهم لم يزالوا في حظوظ النفس، إلا أنهم في المجاهدة والمخالفة، والغالب عليهم الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة، وبذلك نالوا مقام الأبرار، وأما المقربون فهم أناس مقبولون عند الله وعند رسوله، والخلق جميعا يصدق عليهم قوله صلى الله عليه وسلم **"لا تزال طائفة من أمتي قائمين على الحق لا يضرهم من خالفهم إلى يوم القيامة"**[2]، لأنهم زهدوا في الدنيا والآخرة، والمقامات، والكرامات، والوصال، والكمال، حتى عن نفوسهم، وانفردوا بالباقي الدائم الذي لا آخر له، ولا أولية له، هؤلاء الواحد منهم يستغيث به الكون جميعا، وعند ذكرهم تنزل الرحمة، وهي الأمطار والأرزاق، الخ، ومن هؤلاء تكون الغوثية الكبرى، ويمد منها للخلق أسرار[3] ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، والغوث لا يكون إلا من نسله صلى الله عليه وسلم، وهو الخليفة الأكبر، والملك الأعظم، لقوله صلى الله عليه وسلم **"ليس منا من لم يولد**

---

1 الانفطار/ 13.

2 أخرجه ابن ماجة وصححه الألباني.

3 ط: أسراراً.

مرتين"[1]، وهذا الحديث وجدته في كتب الشيخ بن عزوز رضي الله عنه، يعني كتب لي كتابا وقال لي فيه صرت ولدا على الحقيقة، لقوله صلى الله عليه وسلم **"ليس منا من لم يولد مرتين"**[2]، فأردت أن أتكلم[3] في بعض ولادة القلب الموروثة بين القوم رضي الله عنهم بالفتوحات والكشف الرباني، والعيان،الخ، وولادة الصلب الموروثة بالإرث الحسي، وكلاهما حسن، والحمد لله على ذلك، لأن النبي صلى الله عليه وسلم ولد مرتين، ولادة حسية وهي ولادة[4] الصلب، وتنوع منها الشرف الحسي، وولادة معنوية وهي ولادة القلب، وتنوعت منها أحوال سنية، وولد مرتين، ولادة حسية وهو خروجه من بطن أمه إلى الدنيا لجريان الحكمة عن يده حسا، وولادة معنوية من جبريل عليه السلام لظهور البشارات الظاهرة، والباطنة منه، لأهل الحقائق الربانية، فأحببت أن أذكر شيئا من بعض سر الولادة وهو يأتي إن شاء الله، والله الموفق للصواب لأنه صلى الله عليه وسلم[5] ولد من صلبه أولا، وولد من قلبه ثانيا، فصار نسله صلى الله عليه وسلم الظاهر والباطن قائما إلى يوم القيامة، فالظاهر عندنا الآن سلسلة الشرف المنسوبة لأولاد الصلب كفاطمة رضي الله عنها والحسن

---

1 حديث ضعيف

2 حديث ضعيف

3 ط: نتكلم.

4 ط: أولاد.

5 م: – لأنه صلى الله عليه وسلم.

والحسين، الخ، وتفرعت منهم فروع للخلافة كما هو مذكور، والولادة الثانية باطنية لا يعلمها إلا الله ورسوله وأهلها، فصارت[1] الطائفة التي ذكرها صلى الله عليه وسلم من هذه الولادة أي الثانية، والله أعلم، وقيل الخلافة امتدت من علي أو من أولاده أي أولاد فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، والمشهور المتفق عليه من فاطمة وأولادها، وحقيقة ذلك راجعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله أعلم.

فمن ولد مرتين فهو من نسله حقيقة، وأراد بذلك الولادة القلبية الربانية التي يتولد منها نور الإيمان المعبر عنه بالإشارة، والعبارات السرمدية، ولذلك عبر عنه صلى الله عليه وسلم بقوله "مرتين"، والمراد به ولادة القلب، كما أن الصوفية عندهم ولادة القلب أمكن من ولادة الصلب، وعندهم ولد الصلب خلق من ماء الشهوة، يعني نطفة، وحيث سواها ونفخ فيها من روحه، وجعل لها السمع والبصر والفؤاد، وركب فيها الشهوة البشرية، ويسلط عليها النفس والهوى والشيطان، والدنيا اختبارا له، ليميز منه الخبيث من الطيب، فصارت عندهم هذه الولادة سرا[2]، فأمرها إلى الله، أين شاء صرفها، وولد القلب عندهم خلق من نور الإيمان، وترقى في المقامات السنية، وزكت أنفاسه، وحسنت أحواله، وأشرقت نهايته، وعلت همته، وفنيت بشريته، وبقيت تجلياته، فهذا عندهم صار أمكن من ولد الصلب، لأنه ولد مرتين، ويدخل في لفظ حديث

---

1 م: صارت.

2 ط: سواء.

عيسى عليه السلام "**ليس منا من لم يولد مرتين**"[1] ، أي من لم تكن له ولادتان ليس من نسلنا، والمراد في قول نبينا عليه السلام لم يلد يعني أن من يلد مرتين ليس بخليفة، وكلام عيسى من لم يولد مرتين ليس بولد القلب، وعبارات الأنبياء مختلفة في المعنيين، وعبارة نبينا أرفع العبارات، لأنه صلى الله عليه وسلم عبر بعبارة الأب، وعيسى عليه السلام عبر بعبارة الابن، فانظر رحمك الله ما أعظم مترلة الأب من الابن، والنبي صلى الله عليه وسلم أب الجميع، ونور الأنبياء والأولياء خلق من نوره، ولذلك قال "**ليس منا من لم يلد مرتين**"[2]، أي ليس من نسل حقيقتنا في المقام الأعظم من لم يلد من صلبه ومن قلبه، لأن شأنه صلى الله عليه وسلم ذلك، فعبر عنه، لأن الأنوار كلها خلقت منه، ليس هو خلق منها، ولذلك عبر عيسى بالمولود أدبا منه، مع نبينا صلى الله عليه وسلم، وعبر نبينا بالوالد تعظيما لشأنه، ورفعة لقدره على غيره، فصارت العبارتان في حقه صلى الله عليه وسلم، إلا أن العبارة الواحدة منهما تبين معنى الأخرى، والله أعلم.

وهذا معنى الولادتين، يعني الولادة الجسمانية والولادة الروحانية، وتناسلوا منه صلى الله عليه وسلم جميعا، فصارت الولادة الروحانية للطائفة التي نص عنها صلى الله عليه وسلم، والولادة الجسمانية للقطب، لأن كل عصر لا يخلو من هذه الطائفة، وكل طائفة لابد لها من قطب، وأجمعوا

---

1 حديث ضعيف

2 حديث ضعيف

على أن القطب لا يكون إلا من نسله صلى الله عليه وسلم، فأخذ القطب نصيبه من الفريقين، أي من الروحاني والجسماني، فصارت هذه الولادة موروثة بين القوم، ولا يترل مقامها إلا واحد، وهو الغوث المذكور آنفا، والله أعلم.

والقطب المذكور يولد مرتين، أولا بدليل حديث عيسى عليه السلام، ويلد مرتين بدليل حديث نبينا عليه السلام، والطائفة المذكورة تولد مرتين فقط، وبقي السر الروحاني موروثا[1] بينهم بولادة الصلب، وولادة القلب بخلاف القطب، ولد وولد والله أعلم بغيبه، ولذلك صار المعنيان في حقه صلى الله عليه وسلم، لأنه ولد مرتين، وولد مرتين يعني ولد مرتين خروجه من صلب أبيه أولا، وبروزه من نور الله، أي نور من جبريل عليه السلام، وما أتاه من الوحي، والإلهامات، الخ، فصارت الولادة[2] الباطنية للخلافة الكبرى، والولادة الظاهرية لعامة الخلق، وولد مرتين يعني أولاد الصلب كفاطمة وغيرها من الأولاد، ويدخل فيهم الحسن والحسين، لأن النسل الظاهر والباطن تنسل منهما أولا، والولادة الثانية منه صلى الله عليه وسلم وهو بروز الإيمان منه لأمته، كإقبال النهار للكون، وإدبار الليل عنه، والنهار هو انتشار أنوار الإيمان في قلوب المؤمنين وبثه في صدورهم، والليل هو ظلمة الجهل والكفر، الخ، فصدر منه هذا صلى الله عليه وسلم كانفلاق الصبح، ثم كإشراق الشمس، ثم كاستوائها في كبد

---

1 م،ط: موروث.

2 في الأصل: الولاية.

السماء، ثم وقفت شمس نهاره في كبد السماء، لم تأفل و لم تغب بسحاب.

والابن[1] كالشمس على ظاهرها، بل شمس نهاره باقية مستضيئة على من طلعت عليه، أي من اتبع الامر والنهي إلى يوم القيامة، وهذه الولادة المعبر عنها بقوله صلى الله عليه وسلم: "ليس منا من لم يلد مرتين"، والنبي صلى الله عليه وسلم أخذ هذا عن جبريل عليه السلام، وجبريل أخذه عن الله تعالى وأتى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم ترقيا له، يعني أخذه منه شيئا فشيئا إلى أن بلغ أعلى المقامات، وهي أجل مرتبة النبوءة، وصار محتويا على علوم خصصه الله تعالى بها دون أنبيائه ظاهرا وباطنا، فصارت الظواهر منه شرائع للمتبعين له، والبواطن حقائق منه[2] للمقربين، فببركاته صلى الله عليه وسلم[3] ورثت منه هذه الأمة هاتين الخصلتين العجيبتين الجامعتين لخير الدارين، يعني الحقيقة والشريعة، فصارت الشريعة سبيلا[4] إلى الحقيقة، والحقيقة سبيلا إلى الشريعة، أي لا تستقيم إحداهما إلا بالأخرى، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم "**شريعة بلا حقيقة زندقة، وحقيقة بلا شريعة فسق**"[5]، والمراد بذلك لا تستقيم الشريعة إلا بالحقيقة، ولا الحقيقة إلا بالشريعة، فصارت الولادة الباطنية المعبر عنها بما تقدم هي

---

1 م: ولأجرك.

2 ط: من

3 م: – فببركاته صلى الله عليه وسلم.

4 م: سببا.

5 لم نعثر عليه في أي من كتب الحديث

الحقائق الربانية، المأخوذة من الصدور، لا من السطور، وهو علم موروث بالحقائق، لا بالدقائق، يشهده كل عارف لبيب، ويذوقه كل شائق نجيب، وفائدة هذا السر المصون محجوبة عن الموصوفين بحظوظ أنفسهم، وإن بلغوا في العلوم والمجاهدات أشد مبلغ، مع أنهم ذائقون من طبع نفوسهم ذوائق، و لم يشهدوا لهذا المنوال سرا، و لم يذوقوا له طعما أصلا، وهذه الولادة التي تولدت منها الحقائق الربانية، وأخذت من صدر إلى صدر، وهكذا إلى أن تقوم الساعة، لا يضرهم من خالفهم، الحديث، والخليفة يبرز من هذه الطائفة وهو خليفة الله في أرضه، وقلبه على قلب نبينا صلى الله عليه وسلم، كما هو مذكور، يعني كل قلب من قلوب الأولياء على قلب نبي من الأنبياء، وهذا أعظم الأولياء ومركزهم، وكيف لا يكون قلبه على قلب محمد صلى الله عليه وسلم؟ بل الأمر كذلك، لأنه هو القائم بمقام الأمر والنهي ظاهرا وباطنا للخلق، وبه استقام الدين، مع فساد الزمان أي أهله، ونفس واحد من هذا أرجح من عمل الثقلين، يعني بأنفاسه استقامت الشرائع، وبأحواله استقامت الحقائق، وبسره استجيبت الدعوات، وبروحه استقام الكون بأسره، وبذاته استقامت الذوات، أي الأجرام كلها حتى النباتات، الخ، وهو قطب رحاهم، أي رحا الثقلين جميعا، يعني الإنس والجن، وهو ليس تلحقه إشارة، ولا تدركه فصاحة، ولا تحيط به عبارة، بل هو مغموض في وسط الناس، لا يعرف له قدر، ولا يحصره عد، لا يعرف قدره إلا بارئه ومصوره لا غير، وعسكر الاولياء أي الدائرة تدور عليه، وهو واحد فريد وسطهم، ليس

لأحد من ذلك جلسة معه، بل كل منهم له مقام وهو مقامه مخصوص به في نفسه، لا يقدر أحد أن يضع قدمه في مرتبته حسا ولا معنى أبدا، وإن وقع في النادر لبعض من منحه الله تعالى من تلك المرتبة الأحدية، فيبقى في موضعه الذي أقامه الله فيه شاخصا ببصره إلى تلك المرتبة، ويشهد المنة لله إن جعله أهلا لهذا المقام من غير اختيار منه، وأشهده علامة ذلك، وهيأه من قبل أن يترله، لأن هذا المقام مخصوص بصاحبه، وبالذي يليه، أي أراد نزوله، والغير لا يشهد له أثرا لأنه نور أطلس، لا يقدر الناظر يبصر إليه من علو مرتبته، وقوة شعاع نوره، وإن أمعن الولي النظر في هذا المقام تلاشى واضمحل إلا أن رحمه الله، وإلا فيهلك.

ونرجع إلى الذي يلي هذا المقام، أي الشاخص إليه فيبقى كذلك إلى أن ينتقل الغوث من الدنيا فحينئذ يترل المقام، ويتمكن في تلك الرتبة العالية، ويصير أهلا لها، ويقوم هو بالأحكام المذكورة آنفا والدائرة عددهم معلوم مشهور لا ينقص ولا يزيد، ومددهم يتزايد في الكون لا يفسده زمان ولا يغيره شيطان، وهم النجباء والنقباء والبدلاء والأوتاد والأقطاب والغوث، وعامتهم أهل العدد، أي عامة المسلمين، ويكنون بأهل العدد لأن عدد الدائرة لا يكمل إلا منهم، وإلا توقف العدد المذكور، والعامة التي يكمل بها العدد هي طائفة موجودة منذ خلقت الدائرة إلى انقضاء الأمر لا يشعرون بنفوسهم أهلا لذلك، وحيث ينقص منهم واحد، أي من الدائرة، يدفعون واحدا من تلك العامة المعدودة بإذن الله ويكمل به العدد، وهي طائفة معلومة في علم غيب الله، إلا أن الواحد الذي يرفعونه

تارة يجدونه في المعصية كشرب الخمر وغيره، وتارة يجدونه محفوظا من المعاصي، وهكذا حال عددهم، والله أعلم.

إن قلت كيف تكون مجاهدة لهؤلاء العامة، أي عامة المسلمين التي يكمل بها عدد الدائرة؟ قلت نعم عنايتهم سبقت جنايتهم، إن فعلوا جناية في النادر لا تضرهم جنايتهم، بل هم محفوظون بحفظ الله حتى تأتيهم العنايات، وتعبير السادات بنقلة الرجل من المعصية إلى الطاعة تشريف لعصاة أمة محمد صلى الله عليه وسلم، لأن الرحمة واسعة، والرب كريم، وبهم قام الكون ومن عليه، وكل أحد من هذه الطائفة له عوالم، يتصرف فيها كيف شاء أدناهم في التصريف أهل العدد، يعني أقامهم الله لصرف نفوسهم بخرق عادات النفس في المجاهدات، وهم العوام الذين منزلتهم قريبة من منزلة الأبرار هم الذين يعملون الأعمال الصالحات، ويرجون الثواب عليها، يعني أهل الدائرة إن فقد منهم واحد[1]، أي انتقل من الدنيا يجلبوا[2] واحدا من هؤلاء العامة أي عامة المسلمين، ولو من عصاة أمة محمد صلى الله عليه وسلم فيضعوه في مرتبة ذلك المفقود من الدنيا، هذا إن سبقت له مشيئة من الله فافهم، يعني إن انتقل الغوث من الدنيا يأت واحد من الأقطاب السبعة، ويقوم مقامه كما ذكر، ويأت واحد من الأوتاد الأربعة في موضع القطب، وينتقل واحد من البدلاء وينزل مكان الوتد، ويرجع آخر من النجباء ويقوم مقام البدل، ويأت واحد من

---

1 م: واحدا.

2 كذا في ط، م.

النقباء، ويقوم مكان النجيب، ثم بعد ذلك يكمل العدد من عامة المسلمين، وهكذا صفتهم منذ أقامهم الله إلى أن يقضي الله أمرا كان مفعولا.

أما تصريف عامتهم كما ذكرناه أولا، وتصريف الخاصة منهم في عالم الملك وعالم الشهادة وعالم المثالات، وتصريف خاصة الخاصة منهم، يعني في عالم الروح وعالم الغيب، وعالم السر، وتصريف الغوث في عالم سر السر، وعالم الخفاء، وعالم خفاء الخفاء، وله مدخل في عالم البقاء يفهمه بإلهام من الحق ليحسن المقام في ذلك شفقة ورحمة عليه، هذا من غير تصريف ولا تكييف ولا إدراك ولا إحاطة منه، بل ذلك فضل ورحمة ومنة من الله تعالى لعبده العاجز الضعيف، ومفهوم تصريف العوالم نبينه لك إن شاء الله، ويظهر لك تصريف كل واحد من هؤلاء الطائفة بحول الله وقوته.

أما تصريف العامة في عوالم النفس بخرق العادات من نفوسهم بالجد والاجتهاد والمخالفات، الخ، وأما تصريف الخواص في عالم الملك وهو الكون، وعالم الشهادة وهو مشاهدة ما في الكون الظاهر بعين الرأس. وعالم المثال وهو معنى مثالات ذلك تظهر له، أي يناديه الكون بأسره ويسميه باسمه، يعني يا ولي الله أنت كذا وكذا وفينا كذا وكذا، ونحن كذا وكذا، وغير ذلك من عجائب أسرار الكائنات ويصير تصريفه في تلك المثالات والأسرار مشاهدة وذوقا، ومرورا عنهم إلى المقصود، وإدبارا عن ما يبرز له منهم من العجائب والغرائب، وإقبالا على مولاه

بكليات أحواله، هذا مقارب للتصريف المتقدم، ولكن هذا فيه خرق العادات من الكرامات والمقامات بحيث لم ينظر في سيره سوى المقصود وهو الله.

وأما خواص الخواص فتصريفهم في عالم الروح بالتنعم في حضرة الله تعالى، معنى وتصريفهم في عالم الغيب غيبتهم في الحضرة عن استحسان أعمالهم وأفعالهم الباطنية حتى لم يروا الدقيقة منها في ذلك، وتصريفهم في عالم السر هو اصطلام حواس تلك العوالم المذكورة، وانفقاد رؤية النظر إلى اليسير منها في ذلك السر، حتى لم يفقدوا ما يفقدوا من ذلك. وأما القطب أي الغوث فتصريفه في عالم سر السر انفراده بقدرة الله تعالى واطلاعه على علم الله، أي غيبه وملاكه لعوالم الله، وتجلي شمسه لخلق الله، وتصريفه في عالم الخفاء هو التأثير الجاري منه لأسرار الخلق كافة، أي المدد الحقيقي الكائن من الحق إلى الخلق، الجالب بسرعة[1] من ظلمة الجهل إلى نور الإيمان، الخافض من الفرش إلى العرش، الخ، وتصريفه في عالم خفاء الخفاء هو عالم مكنونه في علم غيبه، وهي أم الكتاب لا يعلم ذلك إلا الله، وأهل هذا المقام أي مقام الغوثية فقط، هو رجل واحد من هذه الطائفة، والمراد بذلك يعني الغوث له عوالم يتصرف فيها، مخصوصة به وحده، لا يشاركه فيها مخلوق أبدا، وهذا العلم اتخذ من رسول الله صلى الله عليه وسلم[2]، وهو أخذه عن الله عز وجل ليلة أسري به، وكان

---

1 م: سرعة.

2 م: – رسول الله صلى الله عليه وسلم.

منه قاب قوسين أو أدنى، فاستفاد منه صلى الله عليه وسلم هذا العلم المكنون وأخفاه بأن لم يأمر به هو، ولم يأمره الله بتبليغه، لأن الخلائق كلها انتهت دونه أي دون هذا العلم والنبي صلى الله عليه وسلم خص به دون غيره من الأنبياء، والحكمة في ذلك أنه هو أولهم في الخلقة وآخرهم في البعثة، ولذلك خصصه ببعض هذا العلم دون الغير، ليحصل له حكمة التمييز بذلك عن غيره، ولو لم يؤمر بتبليغها، ومع هذا التخصيص الذي خصه الله به من العلوم دون سائر خلقه، يصدق عليه قوله تعالى ﴿**وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾[1]، والخطاب هنا عام في الأنبياء والرسل وأهل العلم كافة، يعني أن العلوم الصادرة منهم، المأخوذة من الصدور، أو من السطور، أو من الملك، فهو علم قليل بالنسبة إلى علم الله، لافتقارهم بقدر الحاجة إليه لا غير، ولذلك خاطب الله تعالى نبيه عليه السلام بهذه الآية وعممها لأهل العلم، كل أحد يعلم أو يُعَلِّم بحسب حاله، وعلم غيب الله لم يدخل تحت حصر، والقليل منه بحسب الإمكانات كاف.

وأما العلوم الصادرة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وما بلغه لأمته حسا ومعنى، فهي أخذها بالوحي من جبريل عليه السلام شيئا فشيئا، حتى تم الدين بالكتاب والسنة، يصدق عليه قوله تعالى ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي**﴾[2]، إكمال الدين هو الكتاب، وإتمام

---

1 الإسراء/85.

2 المائدة/3.

النعمة هي السنة، والله أعلم.

وأما العلم الذي ذكرناه لم يرد في كتاب ولا سنة، وإنما اختص به صلى الله عليه وسلم دون غيره، وتقرر في ذهنه سرا لا يطلع عليه إلا الله ورسوله، يصدق عليه قوله تعالى ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ﴾[1]، وقيل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومفاتح الغيب بيده، وكيف من عنده المفاتح لا يفتح له الباب؟ بل يفتح له ويطلع على ما في مكنون البيت، هذا مثال لعلم الله الكائن في أم الكتاب الذي لم يطلع عليه أحد سواه، ما عدا رسول الله صلى الله عليه وسلم، اطلع على بعض من تلك العلوم تعظيما لقدره، وتشريفا لسيادته، فهذا العلم الذي ورثه القطب أي الغوث[2]، فالوجود بأسره من مدده صلى الله عليه وسلم، واختص به هذا الرجل دون غيره، من الأولياء، لأن كل من يقوم بهذا المقام يختص به، لحكمة أجراها الله على أيديهم، لا يعرف قدر ذلك منهم إلا الله سبحانه، وهكذا شأنهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وما عدا هذا من العلوم فهي مسطرة في االلوح المحفوظ بقلم الباري، بحيث لم يبق شيء من أمر الدنيا والآخرة من قبل أن يخلق الكون وبعد خلقته إلا وسبق في علمه، أي كتبه في اللوح المحفوظ لقوله صلى الله عليه وسلم **"كتب القلم وجف بما هو كائن"**[3]، أو كما قال، وقوله تعالى ﴿**هُوَ**

---

1 الأنعام/59.

2 م: – أي الغوث.

3 أخرجه أحمد وابن حجر في فتح الباري.

قُرْآنٌ مَّجِيدٌ، فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾[1]، يعني ما كان وما هو كائن منزل في القرآن، أي الكتاب، ولوح محفوظ هو اللوح المذكور، وما خلقه الله مكنون فيه، أي موجود فيه محفوظ لا تلحقه عوارض، ولا تغيره، سوى حكم الله النافذ في علمه المعصوم، أي أم الكتاب إن شاء الله، بدل ما في اللوح، أي محاه وألزمه أم الكتاب، أي أثبته بدليل قوله تعالى ﴿يَمْحُو اللّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾[2]، يمحو الله ما يشاء يعني في اللوح، ويثبت في أم الكتاب، ولذلك صار اللوح بين عيني الولي دائما ينظر له، ويستفيد منه، حكما وعلوما، لم تنحصر، وفي بعض الأحيان يرى فيه كذا، ويجدد النظر بعد ذلك فلا يرى شيئا، لأن الله محاه وأثبت مثله في أم الكتاب، ولذلك كناه الله بالحفظ، ولم يقل فيه معصوما، لأن العصمة أرفع من الحفظ، واقدر منه، كما هو مفهوم معلوم مشهور في حق الأنبياء والأولياء، لأن الأنبياء قامت بهم العصمة، والأولياء قام بهم الحفظ، فانظر شتان ما بين هؤلاء وهؤلاء، وهذا هو العلم الناطق الذي يشهدونه، الأولياء بعضهم بالدلائل، وبعضهم بإلهام من الحق، وبعضهم بقرب من الله، الخ، كل أحد على قدر مشربه، بدليل قوله تعالى ﴿شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ﴾[3] إلى قوله ﴿وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ﴾[4]، والمراد بأهل العلم أهل معرفته، القائمون باتباع

1البروج/21،22.

2 الرعد/39.

3 آل عمران/18.

4 نفس الآية السابقة.

الأمر والنهي، الذين شاهدوا الحق ظاهرا وباطنا بحيث لم تحجبهم الكثرة في الوحدة، ولا الوحدة في الكثرة، فهؤلاء مشاهدتهم أعلى المشاهدات، والله أعلم بغيبه، ولولا خيفة الإطالة لبينا هنا مناسبة كل مقام حتى يتميز المدعي لذلك من غيره، ولكن الاختصار أولى وأقرب وأسلم، وما ذكرناه يكفي إن شاء الله لمن كان له قلب سليم والله الموفق.

ونرجع للكلام المتقدم ذكره في هؤلاء الطائفة، أعاد الله علينا من بركاتهم بمنه وفضله وكرمه وجوده إن شاء الله آمين، يعني عامة الأولياء هم الزاهدون في الدنيا، العابدون لله، وهؤلاء هم الأبرار، وأما الخواص فهم المحبون المخلصون في أعمالهم لله، وأما خواص الخواص فهم الصديقون المقربون، وأما الخليفة أي الغوث فهو قطب رحاهم، ومجمع قواهم، وبه استقام الكونان الدنيا والآخرة، وعليه الدائرة تدور، وأردنا أن نبين نبذة من بعض فضائل كل منهم والله هو الفتاح ذو القوة المتين، وهذه الطائفة كل واحد منهم مخصوص بمقام وعوالم يتصرف فيها باختلاف أحواله، وحسب إمكانه، لقوله تعالى ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ**﴾[1]، أي اعبدوه وتقربوا إليه بقدر استطاعاتكم[2] في الأعمال الصالحات، وتصريفهم في العوالم بخرق العادات في الأحوال بخروجهم من تلونات النفس شيئا فشيئا حتى تطمئن قلوبهم، ويسكن اضطرابهم، ويتمكن سرهم بالحقيقة المحض الذي لا إشكال فيه ولا شبهة، وهذا تصريفهم في العوالم، لأن ما سوى

---

1 التغابن/ 16.

2 م: استطاعتكم.

الله كله يسمى عالما، والعوالم تختلف باختلاف أشخاصها، لا التصريف الذي يشهده القاصرون، الذي هو أدنى، فهم على حسب زعمهم، وأعمى بصيرة[1]، يعني مرادهم التصرف حيث كان هو التصريف في الكائنات بالتأثير الجاري على أيديهم، يعني برفعهم الشيء وخفضهم له، إلى غير ذلك، مما يؤدي إلى الاستدراجات والعياذ بالله، وقليل من يسلم من هذا الاعتقاد الفاسد، والخطر العظيم، لأن فيه نوعا من أفعال القدرية حتى ينسب لنفسه في ذلك بعض ما يناسب العبودية، ويكون له دسيسة، ومكرا، فيهلك من حيث لا يشعر، بل لا يكون التأثير الجاري في الكون على يد ولي حتى يتولى الله سياسته، في كل الامور، ويكون الله هو الذي يغير عليه من غير أن يشعر هو، بشيء من الغيرة، ولا المغار عليه، يعني إغارة منه تعالى أن يرى في قلب وليه غيره، فكفاه ربه كل المآرب له ولغيره حتى يصير الولي مهما أشار لشيء إلا قضي سرعة، ولا قال لشيء كن إلا كان، الخ، وهذا كله يجري على يديه ظاهرا على رؤوس الأشهاد كرامة له، واطمئنانا لقلوب العباد له، وقوله صلى الله عليه وسلم "**ما كانت معجزة لنبي إلا وهي كرامة لولي**"[2]، أي من غير أن يكون هو ناظرا لهذا بباطنه، ولا[3] واقفا مع استعماله معها بأن يكون عنده هذا عدمه ووجوده سواء، بل المقصود الذي جرى عليه الكتاب والسنة أن

---

1 كذا في الأصلين.

2 لم نعثر عليه في أي من كتب الحديث.

3 ط: – و

يعبد الله ولا يشرك به شيئا حتى ينتقل من الدنيا، ويصدق عليه قوله تعالى ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾[1]، وقوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[2]، وتصير هذه غيرة منه تعالى على أوليائه، وشفقة ورحمة عليهم، حيث أهلهم لحضرته، وغيبهم عن رؤية غيره، وحيث توكلوا عليه كفاهم قدر حاجاتهم إليه فقط، لقوله تعالى ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[3]، وهذا معنى التصريفين المذكورين[4].

أما التصريف الأول فهو الصواب عند أهل العلم بالله، أي تصريف الأحوال بخرق العادات من النفس شيئا فشيئا، يعني بالجد والاجتهاد، ومراقبة الأنفاس، الخ، حتى يؤول تصريفه إلى مصرفه وهو الله، أي يصل إليه بتفويض الأمر له، ثانيا وهذا هو اللائق في حقهم والأهم منهم، وما عداه من الاعتقادات الفاسدة بالقلب، فهو باطل ويودي إلى العلل الباطنية، وفساد المجاز عما هو مندرج في كتبهم، لأن التصاريف كلها بيده أي بقدرته وكيف يكون لغيره مشاركة في ذلك بل هذا محال، وإن وقع ونزل للعبد من هذا شيء فليشهد المنة في ذلك لله، إن صيره أهلا لذلك من غير اختيار منه، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وإن لم يُظْهِر له من هذا شيئا فليحمده، ويشكره أن ستره بلطفه، وجرده من كل فتنة،

---

1 الحجر/ 99.

2 الذاريات/ 56.

3 الطلاق/ 3.

4 م: – وهذا معنى التصريفين المذكورين أما.

ومكر، ودسيسة، واختار له الله تعالى ذلك، بل الواجب في حق هذين الفريقين الافتقار والاضطرار إلى الله، من غير أن يعتمدوا على حال من الأحوال أصلا، فيصح لهم المقام، وإلا فالعكس، ومعنى التصريف كما قالت العرب فلان صرف حاله أي قضى كذا وكذا، والله أعلم.

كذلك المريد الصادق يتصرف في نفسه، ومكابدة هواها، وهدم عوائدها إلى أن تزكى، وتصير طوع يديه، ويصدق على المعنيين قوله تعالى ﴿وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾[1]، وظاهر الآية يدل على أن الإنسان لا ينبغي له أن يزهى[2] لشيء تحبه نفسه، ولا يغضب لشيء تكرهه نفسه، لأن كل ذلك اختيار من الله، وما اختاره الله لا ينبغي التردد فيه، ولا المخاصمة، وأنه اختاره الله لحكمة، وما صدر منه كله خير، وربما سلط عليك البلاء والامتحان اختبارا منه، ليميز منك الخبيث من الطيب، ويبين صدقك في معاملاته من الكذب، مثل الحديد والذهب والفضة لا يلين ولا يخرج منه[3] الصدأ إلا بالنار، كذلك المؤمن لا يصلح ولا يجيء منه شيء إلا بموالاة المصائب عليه، إن صرف أمره في ذلك كله[4] لله، وصبر ورضي بما قضاه عليه، فذلك مؤمن حق، ولا يخلو هذا من الخير أبدا، وإن لم يصبر على اختيار

---

1 البقرة/ 216.

2 م: يفرح.

3 ط: منهم.

4 ط: كلها.

الله عند عدم اختيار، وجزع مما قضاه الله عليه، ونازع نفسه في ذلك بالاهتمام في التدبير تاه في ظلمات الجهل، وطاش عقله، فيما ليس يدركه، وعاش في الغبن المحض، وانقضى عمره في غير مرضاة الله.

وهذا وأمثاله يصدق في حقهم قوله تعالى ﴿**إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً**﴾[1]، وربما فتح لك باب الإجابة في الدعاء، وانقادك لك الكرامات طوع يديك، حتى إن قلت للشيء كن فيكون، ومن الكرامات المشي على الماء، والطيران في الهواء، والاطلاع على الضمائر، وطي الأرض، الخ[2]، وهو لك استدراج مكر، ووقع هذا بكثير من الأولياء والسادات، فغلطوا في صدقهم، وادعوا هذا من نفوسهم، ووقفوا مع الحظ العاجل، وتركوا النعيم الآجل، حتى وقعوا في الزندقة، والعياذ بالله، باتباع الهوى، وعدم اتباع المشروعات، فهووا إلى أسفل سافلين، ولم تنفعهم الكرامة ولا الوقوف معها، ويصدق عليهم قوله صلى الله عليه وسلم "**الخير كله في الاتباع والشر كله في الابتداع**"[3]، بدليل قوله تعالى ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا**﴾[4]، ظاهر الآية يدل على أن الإنسان إن كان متبعا للأمر والنهي، مداوما على الطاعات،

---

1 الفرقان/ 44.

2 ط: – الخ.

3 لم نعثر عليه في أي من كتب التاريخ.

4 الحشر/ 7.

مخالفا لعوائد نفسه[1]، فذلك دال على إكرام الله له، ولطفه به، وإن كان محجوبا عن خرق العوائد والكرامات، فهذه الكرامة أجزته وكفته ولو في كل مقام كرامة، أو لم تكن، فهو دليل على هدايته، ونور بصيرته، وإن كان مثلا مبتدعا تاركا للأوامر والنواهي واقفا بالبدع التي استبدعها من نفسه من الاستدراجات المذكورة آنفا، لم يثبت منه شيء، كما ذكرناه بدليل قوله تعالى **﴿مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾**[2]، وقال صلى الله عليه وسلم **"كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار"**[3]، الحديث أو كما قال، وعليك أيها الطالب بمراقبة مولاك سرا، ولا تشوب مراقبتك برؤيتك للغير، فإن انتظارك للغير يحجبك عن مشاهدة حضرته، ويعطلك عن السير إلى الوصول إليه، وكيف يتأتى لك مشاهدته، وتصفو لك الرؤية لذلك، وأنت معك قلب يتقلب في الأحوال؟ وهذا من المحال في حقك أن يكون لك قلبان، قلب تشاهد به ربك، وقلب تشاهد به حظك، بدليل قوله تعالى **﴿مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾**[4]، القلب قلب واحد وهو له وجهان، إن سد أحدهما بان ما في الوجه الآخر كالمرآة مثلا، يعني إن أعرض أي أدبر عن الكون وأقبل على المكون بكلياته بأن له وجه المرآة، وظهر له فيها كل قبيح وحسن، وفرق بذلك

---

1 م: النفس وصحح بالهامش.

2 الأحزاب/ 4.

3 أخرجه النسائي وابن خزيمة.

4 نفس الآية السابقة.

الضياء الحق من[1] الباطل، ما هو حق أثبته للحق، وما هو باطل أزاله، حتى يصير لا يرى في مرآته إلا الحق، فعند ذلك يصير يرى الحق بالحق، بعدما كان يشهد الحق في الخلق، والخلق في الحق.

فهذا مقام خواص الخواص، ويسمى حق اليقين، وإن صار لك وجهان، وجه للحق، ووجه للباطل، يخشى عليك أن تدخل في لفظ الحديث، يعني قوله صلى الله عليه وسلم **"لعن الله ذا الوجهين"**[2]، وإن قصدت في زعمك تحصيل الدارين، أي إن أردت بقصدك أن تأخذ نصيبك منهما الاثنين[3]، يعني الآخرة بالأعمال الصالحات، والدنيا بفعل الأسباب فيها، هذا من أكبر المشاق عليك، وأهمها، وإعماء البصيرة منك، لأنك كذبت بالوعد والوعيد، وجهلت ما جاء به الكتاب وجاءت به السنة، أما ما جاء به الكتاب فقوله تعالى ﴿**وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا**﴾[4]، والآية المتقدم ذكرها والآيات الواردة في هذا المعنى كثيرة، وأما ما جاءت به السنة فقوله صلى الله عليه وسلم **"ضدان لا يجتمعان"**[5]، و[6]قوله صلى الله عليه وسلم **"من عرف دنياه أضر بآخرته، ومن عرف**

---

1 م: – من.

2 أخرجه مالك والبخاري ومسلم وابن حبان.

3 م: الاثنتين.

4 هود/ 6.

5 لم نعثر عليه في أي من كتب الحديث.

6 م: – و.

آخرته أضر بدنياه"[1]، أو كما قال و[2]قوله صلى الله عليه وسلم "**خلقت لكم الدنيا لتعبروها لا لتعمروها**"[3]، أي لتمروا عليها لا لتتخذوها دارا، وتسكنوها قرارا.

وإن[4] قلت أوجب الله علينا الأسباب في الدنيا، والتصرف فيما نحن فيه منها، لأنها خلقت لأجلنا، ونحن خلقنا لأجلها، نعم الجواب[5]على ذلك.

اعلم أن الله تعالى لما أن خلق الدنيا وتم خلقها أخرج فيها الخلق، أي خلقهم وجعل لهم الأرض قرارا، والسماء بناء، وركب الشهوة في أهل الأرض، وأجرى الشهوة في النفس القائمة ببنية العبد، والخلق جميعا، ثم بعد ذلك أخرج لهم الأرزاق المقسومة لهم في الأزل، وزخرف لهم الدنيا بزينتها، وطرد الشيطان من رحمته، وسلطه عليهم، وخلق الهوى في داخل النفس هبوبا كالريح العاصف، فصارت الدنيا بحرا، والنفس مركبا أي سفينة، والهوى ريحا والشيطان رئيسا، وأعوانه بحرية، أي كل واحد من أعوانه له مرتبة في ذلك المركب، يوجهونه حيث شاءوا، والريح تجري بذلك المركب، أي وجهوا وجه المركب حيث شاءوا، وهذا مثال لأهل الدنيا في مركبهم والشيطان رئيسهم، وهو أعمى بصيرة، وكيف الأعمى

---

1 أخرجه أحمد وابن حيان.

2 م: – و.

3 لم نعثر عليه في أي من كتب الحديث.

4 م: – وإن.

5 م: – نعم الجواب.

يقدر على قود المركب والأمواج تضرب بعضها بعضا، من قوة الريح.
تجري السفينة في البحر على غير دليل، فتغرق السفينة ومن عليها.
فينكسر المركب، وأهله في ظلمات البحر، ولا يدري أهل المركب في أي
واد يذهبون، ويهلكون مع من هلك في ذلك الشأن، والكلام هنا يطول.
ولكن يرجع كلامنا على خلقة الدنيا وأهلها، وأما الحكمة في الأسباب
فيها وعدم ذلك يعني لما أن خلق الله الدنيا خلق فيها النفس والهوى،
وحب الدنيا والشيطان، اختبارا للعبد فيها ليميز الله الخبيث من الطيب
بذلك لا غير، فصارت النفس تأمر بالسوء، لقوله تعالى ﴿**إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ**﴾[1]، والشيطان يأمر بالفحشاء لقوله تعالى ﴿**الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ**﴾[2] الآية، والهوى يجري بينهما بتلك
الأسباب الواقعة لهما في ذلك، لقوله تعالى ﴿**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ**﴾[3]، والإنسان مفتون، واقف باتباع ذلك، لقوله تعالى ﴿**إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ**﴾[4]، هذا دليل على أن الإنسان لا ينبغي له
الوقوف مع اتباع الهوى فيما تأمره به نفسه بالسوء، وهو الحرص على
الدنيا وطول الأمل والرغبة فيها، ولا يصغي باذنه إلى وسوسة الشيطان،
فإنه لا يأمر في ذلك إلا بالفحشاء والمنكر، ويخالف النفس وعوائدها لأنها

---

1 يوسف/ 53.

2 البقرة/ 268.

3 الجاثية/ 23.

4 التغابن/ 15.

الواسطة للشيطان، ولا يجعل تدبيره هو السبب في الوصول إلى قضاء حاجته في جميع أموره في هذه الدنيا، والشيء المطلوب منه أن يتناول[1] المباح بيده، ويتكلم في ذلك باللسان أو ألجأته الضرورة لذلك، والقلب متعلق بالله فقط، وكان فعله صلى الله عليه وسلم هكذا حتى قال "**السبب سنتي، والتوكل حرفتي**"[2]، بدليل قوله تعالى ﴿**رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ**﴾[3]، والإنسان إن شغله سبب عن ذكر الله، أو ألهاه عن طاعته، فهذا ليس بسبب ممدوح بل هو مذموم، وأعماله فيه معلولة مدخولة، من حيث الشغل بذلك السبب، وليس يدخل هذا في لفظ الحديث المتقدم، وإنما هي وصف رغبة ومحبة في الدنيا، يصدق عليه قوله صلى الله عليه وسلم "**من أحب شيئا أكثر من ذكره**"[4]، وقوله "**حبك للشيء يعمي ويصمي**"[5]، وأصل الحب الميل للمحبوب بشيء حل في الصدر، أي وقع في القلب باختلاج القلب والجوارح إلى ذلك المحبوب، وهذا هو الحب الذي قال فيه يعمي، والحب هنا عام على الإطلاق، يعني الحب حيث كان دنيويا أو أخرويا أو ربانيا يعني ما

---

1 م: يناول.

2 لم نعثر عليه في أي من كتب الحديث.

3 النور/ 37.

4 رواه الديلمي في الأحاديث الضعيفة

5 حديث ضعيف

أحببت شيئا بقلبك إلا ردك عن غيره، أي أعماك بحيث لا تبصر ولا تسمع ولا تلتذ بشيء دونه قط.

فانظر أنت سيدي في أي حب كنت، وقس ذلك بميزان عقلك، ما الراجح فيه؟ أنت رق له، وما المرجوح أنت مالكه، وهكذا كن مع محبوبك في السر والعلانية، ولا تحب شيئا غيره، ولو الأعمال الصالحات لا تمل إليها ولا تعتمد عليها بأن تشهد المنة لنفسك فيها، وهذا من أكبر العمى والصمم، وهو عين الحجاب بينك وبين مطلوبك، لا تلتفت إليه سيدي لئلا يكدر عليك وقتك الحاضر فيه، أنت مع ربك، لأن الصوفي ابن وقته، لا يتعدى طوره، أي الوقت الذي أقامه الله فيه معه، لا يخطر بباله ولا يحدث في سره وقت آخر غير اختيار الله له فيما شاء، وما لم يشأ، والسبب هنا لا ينافي الاختيار عندهم، والمراد بذلك أن الصوفي لا يختار مع اختيار الله شيئا، لأن ما اختاره الله هو اللائق في حقه، والواجب في عمومه، أي عموم أحواله، فصار السبب الظاهر لا ينافي التوكل الباطن، ولا يخل به، كما كان[1] صلى الله عليه وسلم يفعل الأسباب الظاهرة كخدمته لأصحابه، أو طحنه مع خادمه، أو خصفه لنعله، أو غير ذلك مما فعله كثيرا، يصدق في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم "**خديم القوم سيدهم**"[2] الحديث، وهذا كله واختياره وتوكله في الباطن صحيح، لا يزلزله سبب، ولا يغيره حجاب أبدا، فصارت هذه الطائفة محتوية على

1 م: كمال.

2 لم نعثر عليه في أي من كتب الحديث.

هذا الشأن، واتباعهم كذلك إلى يوم القيامة، فهذا هو السبب الممدوح شرعا كما دل عليه الكتاب والسنة في الكلام المتقدم ذكره، ولا يكون الصوفي صوفيا حتى يحضر مع نفسه والكون أولا، ويذهل عن نفسه والكون ثانيا، ثم يغيب فيهما ثالثا ثم يغيب عنهما جميعا رابعا، ثم يرجع إليهما خامسا، وهذا هو مقام الصحو، وهو عين البقاء، ثم يتصرف في المحسوسات ظاهرا لا يحجبه شيء عن شيء، ثم لا يشغله شأن عن شأن يصدق[1] عليه قوله تعالى ﴿**كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ**﴾[2]، وقيل هو صاحب هذا المقام، أي كل وقت ولحظة وسنة وذرة لا يفوته شأن، والشأن يطلق على كثير، وهي تجليات الحق لهذا العبد، أي تجلي الذات الذي لا سبيل لأحد غيره لذلك، وهو باق في تجليات عديدة لا تكييف لها ولا انحصار، ولا ينقطع عنه ذلك ولو بعد الموت، كما قال شيخ الطريقة وإمام الحقيقة سيدي مصطفى البكري نفعنا الله به آمين: "السلوك ينقطع، والتجلي لا ينقطع ولو بعد الموت"، وهكذا صاحب هذا المقام من تجل إلى ما لا نهاية لذلك.

وأما ظاهر الآية فدال على أن الله كل يوم هو في شأن، يعني كل يوم، أي كل وقت وحين وزمان، الخ، وقدرته وأفعاله وإرادته مصرفة في الحادثات، وهذه الأمور كلها قضاها الله بقوله كن فكان الكون، ومن عليه ومن فيه أولا وآخرا، بدليل قوله صلى الله عليه وسلم "**جف القلم**

---

1 م: - يصدق.

2 الرحمن/ 29.

بما هو كائن"[1]، فبقيت القدرة موثرة في ذلك بحكمتها النافذة في سابق علمه، وبقيت الذات الجليلة متزهة عن ذلك، متجلية بأنواع التجليات. تجل لا يشبه تجليا أبدا سرمدا، وهذا أقرب فهم من الأول، لأنه لو كان له شأن يفعله الآن في وقت أو زمان أو مكان معين مع عدم فعله في سابق علمه، لكان له عجزا في ذلك أو بخلا أو اضطرارا لحاجة دون حاجة، ولو كان على هذا الوصف لكان له حاصرا[2] ولو كان له حاصرا[3] لكان له قاهرا وهو القاهر فوق عباده، تعالى ربنا وجل عن ذلك، فكذلك العبد إن منحه الله بهذا التجلي العظيم لا يبقى في تجل واحد، بل التجلي الذي يخرج منه يدق في عينيه، أي يصغر ويتوب منه، ويستغفر بدخوله إلى تجل آخر أعظم منه، كما كان يفعله صلى الله عليه وسلم، حتى قال "**أتوب في اليوم سبعين وأستغفر**"[4]، يعني بذلك صلى الله عليه وسلم الخروج من مقام أسفل إلى مقام أعلى منه، وهذه توبته صلى الله عليه وسلم يعني أن تجلياته أكبر التجليات وأعظمها حتى كان في اليوم يمر على سبعين مقاما في تجليات الحق تعالى، هذا معنى استغفر أو أتوب والله أعلم، لا كما يفهمه القاصرون يعني توبته من الذنوب، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لا ذنب له حتى يستغفر منه ويتوب، بل ذنبه حسنات وحسناته تجليات،

1 أخرجه الترمذي في نوادر الأصول.

2 م: حاصر.

3 م: حاصر.

4 لم نعثر عليه في أي من كتب الحديث.

يصدق عليه قوله صلى الله عليه وسلم "**حسنات الأبرار سيآت المقربين**"[1]، وحسنات الأبرار هي أفعال البر الصادرة منهم، مع رؤية الثواب عليها، فصارت هذه للمقربين سيآت، إن خطر ببالهم حسنة فهي سيئة في حقهم، وانظر سيدي ما أعظم هذا الأمر؟ كيف جعل حسنات هؤلاء سيآت، وسيآت هؤلاء حسنات، فصار للمقربين سيآت بلا ذنب، وحسناتهم بلا مجازاة فرأوا الذنب على سيآتهم معاتبة الحق لهم، ورأوا الثواب على حسناتهم القرب منه، فصارت سيآتهم حسنات، وحسناتهم تجليات، وهذا المقام ورثته هذه الطائفة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنه صلى الله عليه وسلم كان عند خروجه من مقام كامل يعده سيئة يتوب منه، ودخوله إلى مقام أكمل منه حسنة يحمد عليها، وهذا شأنه صلى الله عليه وسلم في حياته، وبعد وفاته، لأنه صلى الله عليه وسلم حي لا يموت، يداوم على ما كان يفعله من أمور الطاعات في الدنيا تعظيما لحقه، وتمييزا له عن غيره، فهذا الفضل العظيم صدر لخاصة هذه الأمة، وفازوا به ببركاته صلى الله عليه وسلم، وكيف لا يكون له؟ وهو أعظم وأرفع من هذا، وهو صاحب المقام المحمود واللواء المعقود، أي المشهود، ولولاه لم يخلق كون الوجود، والحمد لله أن من علينا بسوابغ نعمه الظاهرة والباطنة، النعم الظاهرة هي الكتاب المترل على لسانه، المعجز لكل من تكلم فيه، والباطنة هي السنة المحتوية على الأمر والنهي،

---

1 رواه الألباني في الأحاديث الضعيفة

لأن كل ما بطن في الكتاب أي خفي اظهرته السنة لنا واوضحته، ولله الحمد والشكر أن جعلنا من أمته، وهدانا لاتباع سنته، وألهمنا إلى ما جاء به بمنه وكرمه إن شاء الله آمين.

الكـــلام في العقـــل:

وأردنا الكلام بعد هذافي العقل وأعوانه، والشيطان وأعوانه، اعلم أن الله تعالى لما أن خلق الإنسان بإيجاد حكمته، ركب فيه العقل والسمع والبصر، فجعل السمع يقود له المسموعات، والبصر يقود له المبصرات، بشيء وقر في الصدر معنى، ثم بعد ذلك خلق الله الشيطان أي أخرجه من الجنة، وأنزله إلى الأرض، وطرده[1] من رحمته، ولعنه إلى يوم الدين، وقال في ذلك ﴿**فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾[2] إلى قوله ﴿**إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ**﴾[3]، وقال الله في ذلك ﴿**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ**﴾[4]، أي عبادي المخلصين ليس لك على قلوبهم وإخلاصهم سبيل، فأنظره الله لذلك، ومكنه من بني آدم، لا يفارق منهم أحدا طرفة عين إلى يوم القيامة، سواء كان مطيعا أو عاصيا، فأقام الشيطان وأعوانه، واستولى على قلوب الغافلين المتبعين لهوى نفوسهم، وأخذ حظه منهم بحسب إمكانه من الخلق، وصار يأتي كل واحد من الباب الذي هو فيه، ويحاجه بالكتاب والسنة، ويقول له قال الله كذا أو قال النبي كذا، أو يحاكيه في ذلك بما يوافق مراده وهواه، والأمر بخلاف ذلك، أما المبتدي

---

1 ط: أطرده.

2 الحجر/ 36.

3 الحجر/ 40.

4 الحجر/ 42.

فيأتيه من باب الرجاء، ويقول له لا تخف من عقابه، وسوء عذابه، لأنك أنت عبد ضعيف، لا تقدر على شيء، والله رءوف رحيم، قادر عليك، وهو محركك ومسكنك، ورافعك وخافضك، الخ، وأنت لا تكلف نفسك ما لا تطيق، امتثالا لقول ربك ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا﴾[1]، فإن أصغى لهذا القول منه تكاسل على الطاعات، وفتر عن فعل الخيرات، وغفل عن ذكر الأوراد، وتمادي في الشتم والغيبة في أعراض العباد، ثم أتاه من باب آخر، وقال له يسعك الوقت في قضاء حوائجك بل أخر وقت الصلاة إلى وقت آخر، وحيث تقضي مآربك اقض صلاتك، واذكر وردك، الخ، حتى إن أصغى له وحضر وقت القضاء، وأراد الإنسان أن يقضي صلاته أتاه من باب الخوف، وضيق عليه المسالك، وشدد عليه وقال له الله شديد العقاب، وأنت ضيعت حقوقه في أوقاتها وأنت اليوم أردت أن تقضيها، وأي وقت أنت قاض؟ وإن قمت لقضائها ضيعت حقوق نفسك وأهلك، والقضاء كثير عليك فاتركه، واشتغل بدنياك أولى لك، وأصرف أمرك له كما كان عليه غيرك من الخلق، إن شاء عذبك، وإن شاء رحمك، ولا تدري من هو المقبول، يعني العاصي والمطيع، والله جائز له أن يرحم العاصي، ويعذب المطيع، وأنت لعل عمرك يطول، وترجع إلى التوبة، وتتوب إليه، ويغفر لك ما تقدم من ذنبك، وما تأخر، الخ، وإن أصغى لهذا صمت أذنه، وعمت

---

1 البقرة/ 286.

بصيرته، وترك الطاعات كلها، ووقع في الزندقة المحض.

وأما المتوسط فيأتيه من باب النصيحة، ويدخل عليه من باب الخوف، ويقول له أخوف ما أخاف عليك من العجب والرياء والسمعة، الخ، وأنت رجل مقبول محبوب عند الله، وعند خلقه، واللائق في حقك أن تخفي أعمالك، وتخمل نفسك، وتفعل المباحات المسقطة لك من أعين الناس، كما كان يفعله الصالح قبله، ألم تسمع قول النبي صلى الله عليه وسلم "**ويل لمن أشارت له الأصابع ولو بخير**"[1]، وقوله تعالى ﴿**وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً**﴾[2]، وقوله صلى الله عليه وسلم "**العمل لأجل الناس شرك وتركه لأجلهم رياء**"[3]، وأنت الآن لم تزل بعيدا من الإخلاص لا تقدر أن تفك نفسك من هاتين الخصلتين، بل اترك عنك العمل لأجلهم، وأخفه حتى تنساك الخلق، وتسقط من عينهم، ويخلص عملك لله، وتزكي نفسك، فعند ذلك يتقوى إيمانك، ويعظم يقينك، ويفوح طيب أحوالك السنية للخلق، ويشتهر أمرك عندهم من غير اختيار منك، فحينئذ تخرج عن الكون ولا بأس عليك في شيء أصلا، حتى إن أصغى لهذه الوسوسة العظيمة أخفى عمله، وخمل نفسه، وفعل المباحات في الشرع، حتى إن فعل شيئا من المكروه أتاه، وقال له أنت رجل موحد، ومتكل على مولاك، ومفوض أمرك إليه، لا تدبر معه فيما يقضيه عليك

---

1 لم نعثر عليه في أي من كتب الحديث.

2 الكهف/ 110.

3 لم نعثر عليه في أي من كتب الحديث.

خيرا كان أو شرا، وأنت لا حركة لك ولا سكون بل هو محركك ومسكنك، ألم تسمع قوله تعالى ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[1]، وأنت توكلت عليه، وصار هو حسبك في كل الأمور، لا يهمك شيء غير حضور ربك لا غير، يكفيك ما أهمك فإن أصغى لهذا القول وقع في الحرام المحض، والشرك بالله، في ترك العمل لأجل الخلق، ثم أتاه من باب القنوط فقال له كيف تفعل هذا وأنت تزعم أنك رجل صالح وقريب من مولاك، وتركت الأمر والنهي، وتبعت الهوى والشيطان حتى أشركت به، في عملك، ووقعت في الفحشاء والمنكر، والله تعالى قال ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء﴾[2]، وقال عز من قائل ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ[3]﴾[4]، الله الله لست أنت من أهل الله، وغضب عليك الله، وكيف الحيلة هنا والسبب؟ فإن أصغى وأذعن له، أخرجه من نور الإيمان، وأدخله ظلمة الجهل، ورجع إلى أسفل سافلين، نعوذ بالله من ذلك.

وأما الخواص فيأتيهم بواسطة النفس، وهو من خارج القلب ولا يقدر أن يدخل في قلب المخلص السالك، بل يأتيه من جهة النفس لا غير، ويكلم

---

1 الطلاق/ 3.

2 الأعراف/ 28.

3 ط: – لمن يشاء.

4 النساء/ 48.

الشيطان النفس، ويقول لها أنت نفس زكية[1] راضية مرضية، سالكة خالصة، وسلكتِ عن الكائنات، ولم يبق لك إلا الله فقط، وصرت أنت هو وهو أنتِ، وتتصرفين في الكون بإرادته ما شئت، وكيف شئت، والكون صار بأسره في يدكِ، ولا يفوتكِ منه شيء، واحمدي ربكِ أن ملككِ جميع ذلك، واشكريه على نعمه بالتحدث بها، قال تعالى ﴿**وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**﴾[2]، فحدث عن البحر ولا حرج، وهذا الكلام منه كله خدع للنفس، والنفس هنا صارت زكية[3] واطمئنت بالحق، وصار يأتيها من جهة الإخلاص، ورؤيته له لا غير، لقوله صلى الله عليه وسلم "**المخلصون على خطر**"[4]، وأتاها من خاطر الإخلاص، وعرض[5] عنها ما ذكر أولا حتى إن أصغى لهذا الخاطر[6]، ووقف معه ونظر في إخلاصه بعين الرضى واستحسنه، جاءه وقال له أنت مخلص حقا، ودعوتك مستجابة لا ترد قط، وصار لك تأثير في الكون مع مولاك، وميزك عن أقرانك وفضلك عليهم، بعلو مرتبتك، وصرت من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ولا تحزن ولا تخف من غيره، وأنت خفته فخافك كل شيء، فافعل ما شئت في دنياك، ولا يضرك غيره، وأنت خرجت عن الكون،

---

1 م: زاكية.

2 الضحى/ 11.

3 م: زاكية.

4 أورده البيهقي في الأحاديث الضعيفة.

5 م: وأعرض.

6 م: م: الخطر.

وصرت في حضرة المكون، فإن أصغى لهذا بباطنه فسد إخلاصه، وتزلزل يقينه، وبطل اعتقاده، يعني أوصافا ليست[1] هي في حقه، بل هي من حق ربه، ويرى المنة له على غيره في إخلاصه، ويتبدل له مشاهدة ربه بمشاهدة حظوظ نفسه، ويهبط إلى سجين الطبيعة، بشهود المنة لنفسه، فيما ذكر، أعاذنا الله من ذلك، وأما الكامل المكمل فليس له عليه سبيل، بدليل قوله تعالى ﴿**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ**﴾[2]، لأن الكامل يسلم شيطانه أو يسلم هو من شيطانه، يصدق عليه قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها حين غضبت "**جاءك شيطانك، قالت له أليس لك شيطان؟، قال بلى، ولكن دعوت الله فأعانني عليه فأسلم**"[3]، أو كما قال، فصارت هذه كرامة للكامل المكمل لا يضره شيطان أبدا، بل أيس منه، وهذا هو المتفق عليه، والله أعلم.

فصار الكامل من أمته لا يقربه شيطان، ولا يضره بوسوسة قط، سواء كان مناما أو يقظة، ونور هذا الكامل صار يحرق الشيطان من بعد، حتى يصير الشيطان يسلك طريقا غير التي سلكها الكامل، كما وقع لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، يعني مهما رآه الشيطان في طريق إلا فر منه إلى طريق آخر، وله ضراط.

---

1 م: ليس.

2 الحجر/ 42.

3 أخرجه مسلم والنسائي.

وكما وقع لإبراهيم ابن أدهم رضي الله عنه حيث نام في المسجد، ورجل يصلي بقربه، فأتى الشيطان وقال لأحد أعوانه أدخل ووسوس لذلك[1] المصلي كي تبطل[2] صلاته، فقال له العون لا أقدر مخافة أن يحرقني نور النائم، وهو إبراهيم ابن أدهم، فانظر سيدي ما أعظم حرمة الله، حيث عظمها لكامل، وقام بالحدود الظاهرة والباطنة، عظمه الله، ورفع قدره، وأنار سريرته، وأقامه[3] بين أظهر خلقه حجة على أعداء[4] الدين، ومردة الشياطين، حتى صار جليسه محفوظا من وسوسة الشيطان، وسوء الشقاوة، وقال في ذلك صلى الله عليه وسلم "**هم القوم لا يشقى جليسهم**"[5]، فاجتهد سيدي وجدّ في السير تجد، واستلحق[6] عسى أن[7] تلحق، بأثر هؤلاء السعداء، وتقعد مقعدهم، وتستريح من همّ سجن طبيعتك، والمؤمن ما دام في المجاهدات والمخالفات هو[8] في السجن، لم يبرح منه، بدليل قوله صلى الله عليه وسلم "**الدنيا سجن المؤمن**"[9]،

---

1 م: ذلك.

2 م: لتبطل.

3 م: وأقام.

4 م: الأعداء.

5 رواه الترمذي والبخاري.

6 م: واسحق.

7 م: – أن.

8 م: وهو.

9 أخرجه ابن ماجة ومسلم والنووي والترمذي وابن حبان وأبي يعلى.

والمؤمن هو الذي آمن وأيقن بمعرفة الله، وجاهد نفسه وكابدها، ولم يخرج عن حظوظ نفسه، وهذا مؤمن حق، ولكنه لم يخرج عن سجن الطبيعة، والسجن معناه[1] ضيق، يحصل في الصدر لأمر يخالف مراد النفس، دنيوي أو[2] أخروي، أو ديني، الخ، فينقبض له الإنسان، ويتحسر عن فواته أو عن وقوعه أو عن فعله، لا يستريح إلا عند دخول البسط عليه، فيجد عند البسط سعة وانشراحا، حتى يخشى عليه من سوء الأدب، أي الخروج عن حد الأمر، ولذلك اختار أهل الحقيقة ليل القبض للمريد، على نهار البسط، لما في القبض من قمع النفس وكسر شهواتها، واجتماع الهمم لِهَمّ واحد، وهي حرارة تنشأ في الصدر، ويثور منها غبار أظلم، فيشوب على النفس مكائدها ودسائسها، ولا يظهر للنفس في تلك الظلمة إلا الحق، فتخنس حينئذ، وتخمد نيرانها، ويبطل اظطرابها في الجأش، فالواجب على الإنسان عند ذلك التسليم لقبضه، ولا ينازع نفسه في ذلك، حتى يزول عنه القبض بدخول البسط عليه، وحيث يدخل عليه البسط يجب في حقه الحذر من البسط، والتسليم له، حتى يأتيه القبض، وهكذا يتردد بين الحالتين ويستريح بعكسهما[3] إلى أن يقضي الله أمرا كان مفعولا، ويختار القبض على البسط، لأن الله تعالى يحب كل قلب حزين، ويكره القلب المبسوط، كما قال موسى عليه السلام في مناجاته: أين نجدك يارب؟ قال

---

1 م: + هو.

2 م: وبدل أو.

3 م: بعكسها.

نه يا موسى تجدني عند المنكسرة قلوبهم، والعبد لا يخلو[1] من هاتين الخصلتين، إما أن يكون منقبضا لأمر نقصه، أو منبسطا لأمر راده، وهذا شأن الأبرار، لأنهم مقيمون في السجن أبدا للموت، إلا أن يتخلصوا من رقبة الغير، عبيدا لله فهم أحرار اتسعت صدورهم، وانشرحت وانفسحت بنور الله، فصاروا مع الله لا مع غيره، في كل حال، وانسلبت منهم الظواهر والبواطن، بحيث لم يبق في سرهم شيء غير الله، وهؤلاء قاتلوا أعداءهم بسيف المجاهدات، ورمح المخالفات، وقُتِلوا أي استشهدوا بسيف المحبة، وكفنوا بثوب المشاهدة، وعطروا بطيب المحاضرات، وقبروا في فناء الأسماء والصفات، وحيوا بعد الموت، وأخرجوا من أرض الفناء إلى صحو البقاء بالله، لقوله ﴿**مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى**﴾[2]، يعني منها خلقناكم أي لا إله إلا الله، أي أخرجناكم منها، أي بسببها من العدم إلى الوجود، وفيها نعيدكم أي فيها أفنيناكم حتى لم يبق لكم إحساس لغيرها، ومنها نخرجكم تارة أخرى، أي نخرجكم من عدم الفناء إلى وجود البقاء تارة أخرى، وهو البقاء بالله يصدق عليه قوله تعالى ﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ**﴾[3]، وهذا شأن المقربين الذين لم يكن لهم سجن في الدنيا أبدا، بل السجن صار مقيدا لهم، وملكوه على الإطلاق من

---

1 م: يخل.

2 طه/ 55.

3 التوبة/ 111.

حيث هو، ومن أين يأتي السجن لهؤلاء الطائفة، لأنهم خرجوا عن إحساس الملك والملكوت، أي فنوا وبقوا بمالك المالك، والملكوت، وهو الواحد الأحد الفرد الصمد.

ثم نرجع إلى البحث المتقدم ذكره في شأن العقل وأعوانه، والشيطان وأعوانه، والله الموفق إن شاء الله، يعني أن العقل له جنود، وهو الأمير فيهم، ووزيره العلم، وخليفته العمل، ومركبه التقوى، وحاجبه أي حافظه وحارسه الإخلاص، ودليله المعرفة، أي الذي يستدل به في ظلمة الفيافي، وعسكره الحياء، وجنده الحضور، وخادمه الاجتهاد، وسلاحه الطهارة، وقوته لذة الإيمان، وشرابه المحبة، ودرعه المخالفة، وحصنه المحتوي عليه الذكر، وهو لآ إله إلا الله، ورباطه الحقيقة، يعني الأبراج التي في مناكب الحصن وهي[1] الجهات الأربع، الخ، فقام أمير الجيش وهو العقل، ونادى بأعلى صوته يا خيل الله اركبي، فركب الأمير، وركب الوزير، وهو العلم، وركب الخليفة، وهو العمل، وأقبل الأمير بوجهه على الوزير والخليفة، وقال لهما لا أخذلكما الله، أنتما اليوم أمراء الجيش، إن استقمتما أنتما استقام جندكما، وهزمتم العدو، وإلا فتهلكا ويهلك الجيش، ونهلك، أنا[2]، قم أنت أيها الوزير وسر أمام الجيش، والخليفة خلفك، ويتبعكم الجند وأعوانه، وأنا ناظركم، والذي يشكل عليكم ندبره لكم في الحين، لأني أنا أعقل لكما الأمر كله، وأنتم قوموا بالحرب

---

1 م: وهم.

2 غير واضحة في ط، م لعله استعمل ضمير المفرد ليؤكد ضمير الجمع.

ومجاهداته، وأنا أقوم لكم بمعقولات ذلك جميعا، وإن صح مركبي وهو التقى صح حربكما، أنتما، أيها العلم والعمل، واستعينا في حربكما بالإخلاص، ولابد لكما من الدليل يمشي أمامكما، وهو المعرفة، ليمهد لكما الطريق، ويوضح لكما المعالم، وتكونا على بصيرة في حربكما، واستعينا بوزير العسكر وهو الحياء، لأن جنده عظيم، والأعظم منه جند الحضور، فدبر العقل أمر الجيش، وأصلح شأنهم، وقال لهم عليكم بالحصن ادخلوه من بابه، وبابه لا إله إلا الله، ووسط الحصن، الخ، الحقيقة الإلهية، أي معنى لا إله إلا الله وإن دخلتم الحصن اغلقوا الباب عليكم، وهو نفي ما سوى الله تعالى وإثبات وحدانيته، وإن دخلتم حصنكم انهضوا أمير الصدر وهو القلب، وأيقظوه من غفلته، ليستحضر مذكوره، وعلى قدر عملكم فيه يضيء لكم ظلامه، وتستنير لكم الطريق للحرب فيه، واجعلوا حراسا على الثغور الأربعة، وهي السمع والبصر واللسان والشم، وآكدها[1] البصر، لأنه هو مرمى الشيطان، اجعلوا على البصر جند الحياء، وهو أعظم الجنود، وعلى السمع الحاجب وهو الإخلاص، وعلى النطق أي اللسان الحضور، وعلى الشم جند المخالفة، وأنا أحرس لكم أمير البيت، وهو القلب، لئلا يغفل عن ذكر المحبوب، فتسترقه النفس، وتظلمه بشهواتها، ودونكم، والنفس فضيقوا عليها مسالكها بجند من المخالفة، ولا تفارقوها بالمخالفة طرفة عين، والنفس هي واسطة الشيطان، وأسرار الباطن كله تأويها إليه، وهو يدبر على النفس من داخل البيت وخارجها،

---

1 م: وآكدهم.

وهي أبدا داخل البيت، لا تفارق القلب طرفة عين بحظوظها، وأنتم أعموها بالمخالفة لها، ولا تتبعوها لهواها أبدا، وإن سكنت لكم في بعض ما أردتموه من الطاعات، وأذعنت لا تأمنوها ولا تقبلوا كلاما منها بل كونوا منها على حذر، إنها أمارة بالسوء، وتأتي الإنسان على وفق مراده، وتدرعوا بالمخالفة لينهزم عنكم جيش الأعداء، وهو الشيطان وأعوانه، ثم بعد هذا أقبل الشيطان على القلب بجنوده ونادى في أعوانه وهم جند الهوى واتباع الشهوات وحب الدنيا، وقال لهم دونكم صديقتكم النفس، زينوا لها الشهوات حتى تستحلي المرعى فيها، وإن استحلت المرعى في حظوظها زوجوها من الهوى بتفكر زينة الدنيا ومحاسنها، ليسوقها الهوى إلى[1] أي واد شاء، وأملوها بحب الدنيا، وحرّصوها[2] عليها، ورغبوها فيها، وذكروها طول العمر، وأنسوها موتها، والنفس مجبولة على الشهوات، وهي سفلية تسفل بصاحبها، وتحبكم وتحبونها[3] ومهما قابلتم لها مرادها إلا[4] مالت لكم، وأقبلت عليكم بكلياتها، والغالب جندكم على جند العقل، لأني اطلعت على قلب صاحبكم ووجدته فارغا من الإيمان، وضعيف يقين، وناقص عقل، وأنتم الآن جندكم قوي على جند الإيمان، والإيمان ضعف، وما بقي منه إلا اسمه، لا يدهشكم أمر العقل

---

1 م: في.

2 م: وأحرصوها.

3 م: وتحبوها.

4 ط: – إلا.

وجنوده، لأن النفس مفارقة له، وهي في أيديكم، وإن صلحت لكم النفس صلح لكم الأمر كله، بحيث لا يبقى للعقل وجنوده نصيب، فتكلمت النفس ولبتهم بالفرح والسرور، واتباع الأمر، وقالت لهم إني ضامنة لكم في عمى القلب وصماه[1] بحيث لا يسمع للحق نداء، وتشوب عليه مراده، وتكدّره عليه باتباع الشهوات، وأنتم عليكم بتفكري وتذكيري في هواي، ولا تغفلوا علي، وفاكروا العقل بالغفلة والنسيان للطاعات، وعدم اتباع المأمورات، وإن استيقظ من نومة غفلته، وتنبه من سوء جهالته، أخش عليكم سوء العاقبة، لأنه هو أمير جيش الإيمان، والإيمان نور يطلع في القلب، فإن استقر نور الإيمان في القلب تقوى العقل عليكم، وغلبكم الحق، من حيث لا تقدرون[2] عليه، والله تعالى قال ﴿**بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ**﴾[3]، فيقوم الشيطان فيسكن الصدر فيخنس فيه، ويضع منقاره على رأس القلب، ويوسوس[4] إليه بوفق مراده، والنفس تزين له اتباع الهوى، والشيطان يغويه وينسيه الذكر والصلاة والصيام، الخ، ويذكره المعصية وجميع الحظوظ، فيحس العقل بهذا، ويقوم ينادي بصوت خفي للوزير وهو العلم، ويقول له أخبر الخليفة وهو العمل، وأقبلوا علينا

---

1 م: وصماية.

2 م: تقدروا.

3 الأنبياء/ 18.

4 م: ويوسوسه.

بجندكما هذا أمر حدث[1] في المملكة، وخشينا أن يرهقنا طغيانا وكفرا، فقوما بأجمعكم، واحملوا معكم السلاح والدروع للحرب، وكونوا من عدوكم على حذر، ولا تتهاونوا في الثغور، واحرسوها لئلا يدخل عليكم منها، فتهلكوا أي احرسوا البصر بالغض من محارم الله، والاعتبار في مصنوعات الله، واحرسوا السمع بالإصغاء لذكر الله، والصمم عن ما نهى عنه، واحرسوا اللسان بذكر الله، والكف عن الغيبة في خلق الله، واحرسوا الشم عن المشمومات بطيب نسيم الإيمان، وإياكم والغفلة عن هذا، لأن هذه الثغور هي التي يدخل عليها الخير والشر، وقدموا جند المخالفة للنفس، فيدخل عليها من باب المجاهدة، وابعدوا أنتم ويقوم كل واحد منكم بقاعدته، لا يقرب النفس أحد إلا المخالفة أولا، ولا يظهر أحد منكم للنفس سوى المخالفة، وأخفوا أمركم سرا، وأرسلوا الوزير وهو العلم يراقب المخالفة، ويحرّصها لئلا تصادف غير محل اتباع الحق، وأرسلوا العمل ثانيا، يراقب العلم ويحرّصه لئلا يعلم شيئا[2] غير الله، وأرسلوا الصدق يراقب العمل، لئلا يبقى فيه خلل فيفسده، وأرسلوا الإخلاص يراقب الصدق لئلا يبقى فيه كذب، فيكون افتراء على الله، وأرسلوا الحضور يراقب الإخلاص لئلا تكون فيه رؤية للغير[3]، وأرسلوا

---

1 م: أحدث.

2 م: شيء.

3 كتب في الهامش: لعله "وأرسلوا الفناء يرساقب البقاء" الخ.

الإخلاص يراقب الفناء لئلا يكون فيه وجود، وأرسلوا البقاء[1] يراقب فناء الفناء لئلا يكون فيه بقية لغير، وعمروا أوقاتكم باتباع الأمر والنهي.

وبعد هذا أخبرت النفس الشيطان وقالت له سمعت لمة في الصدر، وضيقا في الأمر، ومخالفة في الحال، وهالني[2] خوف شديد من ذلك، قم أنت وجنودك للقتال، وتزود لهم من الزاد ما أمكنك، لأن هذا الأمر أهالني وأدهشني، وتكدر به عيشي، وانقطع عني نصيبي، فآت بمكائدك وحبالك وانصب شبكك وحيلك، عسى ولعل تكيد هذا الأمر من قبل أن يهجم علينا، وارده فتخرق أنت ومن معك، وينهزم جيشك فتخمد نيراني[3]، ويبطل اضطرابي، وتحبط دسائسي وأمكاري، ويتبدل شري خيرا، ويتقوى إيمان العقل، فنتنبه كلنا، ونسلم له الأمر، في ملكنا، ثم يتحير إبليس اللعين لهذا القول، ويتزلزل إيقانه، ويكبر همه، ويتعاظم جهله، ويأتي بما عنده من الحيل والحبائل، ويصيح عند ذلك صيحة منكرة في الصدر، ويصول صولة عظيمة حتى يذل جيش العقل لذلك، ويرهب لتلك الصولة، وهذا كله[4] وجيش العقل ثابت بمكانه، ثم بعد ذلك يصول نور العقل صولة عظيمة، ويُنصر على الشيطان وأعوانه، لقوله تعالى

---

1 كتب على الهامش: لعله: "وأرسلوا فناء الفناء يراقب البقاء لئلا.." الخ.

2 م: وءالني.

3 م: نراني.

4 م: وكله.

﴿**وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ**﴾[1]، فيقوم العقل وجنوده من ههنا، ويقوم الشيطان وجنوده من ههنا فيتلاقى الصفان للقتال، وتشتد الحرب بينهما، ويحمى الوطيس، ويرجع نهارهما أظلم من ليلهما، فقام أمير الجيش وهو العقل، وأضاء السراج، وهو القلب، وتقدم الوزير والخليفة والحاجب فهجموا على الجيش هجمة واحدة، فأخرجوه من المملكة، فبقيت النفس في جنب صاحبها، فانقلب عليها الإخلاص، فغطها بشبكة المخالفة، فسكنت، وانقادت لاتباع الأمر، وقام في البيت عسكر الإيمان، وصارت الكرة لهم أي لله ولرسوله، ودخل الملك القرية، وأفسد حكم من كان فيها لقوله تعالى ﴿**قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ**﴾[2]، وهذا شأن النفس والهوى، والشيطان، وحب الدنيا، والعبد المسكين يجري بينهما في هذه الدار إن وفقه الله تعالى، وأهله لطاعته، واختاره لخدمته، يوقد في قلبه مصباحا، ملكوتيا، من نور الإيمان، ويرى بذلك عيوبه بحيث لم يخف عليه من مكايد النفس والشيطان شيء أبدا، وينظر بنور ربه الحق حقا، والباطل باطلا، وهكذا مدة عمره في مكابدة النفس حتى ينتقل من هذه الدار، وهي دار الفناء إلى تلك الدار وهي دار البقاء، ولذلك سمي جهاد النفس جهادا أكبر لقوله صلى الله عليه وسلم "**رجعنا من الجهاد الأصغر**"[3]،

---

1 آل عمران/ 123.

2 النمل/ 34.

3 رواه البيهقي.

وهو جهاد السيف في الكفار إلى الجهاد الأكبر وهو جهاد النفس بالمكابدات والرياضات، الخ، وتوفيق الله وهداياته[1] لعبده العاجز الضعيف، لهما علامات تدل على ذلك تيسير الطاعات، واستغراق البدن في العبادات دأبا، واستهتار اللسان بالذكر سرا، وجهرا، وخلع العذار في عوائد النفس طبعا، ومخالفة النفس تارة بتارة، ومحاسبة الأنفاس سرا، واتباع الكتاب والسنة قولا وفعلا، وهذا دليل على ثبات قدم المريد في طريق الحق لا محالة، وصدقه في العبودية، وإلا فالعكس.

وأنت أيها المسكين الغافل لا تغرك صور الأعمال الظاهرة، وتنسى معاملة ربك بالباطن، وهذا من أكبر الغرور وأعظم الشرور عليك، والله تعالى لا ينظر لصور العبد، ولالعمله، ولكن ينظر إلى قلبه، لقوله صلى الله عليه وسلم "**إن الله لا ينظر لصوركم ولا لأعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم**"[2]، ويصدق في ذلك قوله تعالى ﴿**لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾[3]، أو كما قال ابن عطاء الله في الحكم "ما كل[4] مصل مقيم" الخ، وعليك بتصحيح الإرادة في القول والفعل، ظاهرا وباطنا، يصح لك مقام السير والسلوك إلى مالك الملوك، ويحيي سرك في عالم الملكوت، وتشهد من عجائب غيبه ما يسر قلبك، ويبهر عقلك، أما

---

1 ط: وهداته.

2 رواه مسلم.

3 الحج/ 46.

4 م: كان.

صحة إرادة الظواهر فهي اتباع الأمر والنهي في الأعمال الصالحات، يعني اجتناب المنهيات واتباع المأمورات، لقوله تعالى ﴿**وما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا**﴾[1]، وهذا شيئا فشيئا تأنيا، حتى تخف عنك مشقة العمل وتعبه، ويصير لك حالا طبعيا من غير تكلف ومشقة وعناء، وأما صحة إرادة الباطن فهي أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، يعني تعلق قلبك بالله، وتصرف همك له، وتفوض أمرك إليه، في كل الأمور، وتثق به سرا، لأن الأعمال الظاهرة لا تخفّ مشقتها إلا بصرف معاملتها للباطن، ومعاملة الباطن لا تخف مشقتها وتعبها إلا بصرف سر القلب إلى الروح، ومعاملة الروح لا تخف مشقتها إلا بصرف سرها إلى الفناء، ومعاملة الفناء لا تخف مشقتها إلا بصرف سره إلى البقاء، ومعاملة البقاء لا تخف مشقتها إلا بصرف سره إلى وحدانية الذات الجليلة، ومعاملة الذات لا تخف مشقتها إلا بصرف الأمور كلها لله وهو العجز عن الإدراكات والإحاطات، والخوض في ذاته الخ.

وهنا كلّ اللسان، وعمى القلب، وهمد العقل، وقصر النظر، وصم السمع، وقل السير، والسير لا يكون إلا للمقصود، والمقصود هنا حصل، واضمحل الرسم، وبقي الاسم، وما[2] بقي إلا تجليات الحق فقط، ولم يبق للعبد هنا إلا اسم القرب، والوصول إليه لا غير، وقربه هو عين حجاب الذات، لأن القرب من الذات بعد، والبعد منها قرب، ومفهوم ذلك يعني

---

1 الحشر/ 7.

2 م: ولا.

أن الإنسان إذا قرب من حضرة الله بعد، أي كلّ وعجز عن التكليف، والإحاطة، والعلم بذلك، واضمحل رسمه، أي خطراته[1]، ومعقولاته، وعلمه، وبقي اسمه أي اسم صفة العبد الحميدة متصفة بصفات الذات العلية لا غير، والله أعلم.

وهذا معنى تصحيح الإرادات الخفية، والجلية، ولا تنتج النهايات إلا بتصحيح البدايات، فإن استقامت البداية أشرقت النهاية، وإن صدقت معاملة البواطن، استقامت معاملة الظواهر، وإن حسن اعتبار البصائر في الآثار، استنارت السرائر بشمس معرفة الذات، ولا يصدق لك مقام المعرفة إلا بحسن التعرف، ولا تتأتى لك معرفته وهداية سبيله إلا بالمجاهدات في طاعته، واتباع أمره لقوله تعالى ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[2]، أي مع المجتهدين في طاعته، ولنفوسهم مخالفون.

فعليك سيدي بحسن معاملة الباطن مع الكريم، يتكرم عليك بحسن معاملة أدب الظاهر، وإن كثرة العمل في الظاهر وحسن اتقانه مع عدم حسن أدب الباطن، تكثر أعداده وتتراكم مشاقه ويقل إمداده أي زيادته، ويكثر على النفس تعبه، ويثقل عليها عمله، حتى تمل، وتكل العمل، وترتكب البطالة، ما الشأن أن تعمل العمل وتحسن اتقانه لله، وترى نفسك فيه أنت العامل له، وتقف عند كثرة عملك بالتعجب

1 م: حضراته.

2 العنكبوت/ 69.

والاستغراب منك، وإنما الشأن أن تعمل العمل لله خالصا حيث أمرك،
وأن تراه هو المتفضل به عليك حيث هداك ووفقك، ولولا توفيقه وهدايته
لما اصطفاك لخدمته، ولا أهّلك لعبادته، وأن لا ترى لنفسك في ذلك منه
شيئا، بل تراها في حق الله مقصرة، أمارة بالسوء، وأفعالها كلها شر
محض، ولا يصدر منها إلا النقص والخسران، وإنما الشأن أن تحسن المعاملة
لله بالظاهر والباطن، وتلتذ بذلك غاية اللذة، وتقف عند كون تلك
الحلاوة معتمدا عليها، ناظرا الزيادة فيها، فارحا[1] بأصولها، مبسوط
الصدر لحضورها، قائما لذاتها، مسترقا لخدمتها، وإنما الشأن أن تحسن
صدق المعاملة لله ظاهرا وباطنا، وأن لا ترى في معاملة سرك حظا لنفسك
قط، في لذة الطاعات، لأن كل ما تلتذ به النفس، وتستحسنه، فهو حظ
لها عاجل، وما كان فيه حظها كان فيه حتفها، أي هلاكها، وربما يكون
حظها العاجل في الدنيا وفاء لصاحبها في الدنيا، بحيث لم يبق له مجازاة في
الآخرة، لأنه طلب من مولاه وقصد الحظ العاجل، والتذ به، ونسي
المعجل، وهو الله تعالى، فأعطاه إياه، بحيث لم يبق له من المؤجل شيء،
سوى مواهبه الكريمة إن تفضل والله أعلم.

ما الشأن أن تخلص عبادتك لله وترى نفسك أنك مخلص فيها له، وإنما
الشأن أن[2] تتخلص من إخلاصك، وترى أن لا ترى أنك مخلص، وهذا
شأن الأحباء الأصدقاء، ليس الشأن أن تتصدق وتجود على الخلق بما أنعم

---

1 كذا في ط، م.

2 م: – أن.

الله عليك من حطام الدنيا، وترى نفسك في تلك العطية أنت المعطي لها والمتفضل بها، بل الشأن أن تغيب عن عطيتك برؤية محركك لها، ومسخرك إليها، بحيث لم تر لنفسك في ذلك حظا ولا قدرا ولا جاها أبدا، ما الشأن أن تقبل العطية من يد أحد وتشهدها منة، وترى له المنة عليها والفضل، وتنسى المعطي المتفضل الجواد الكريم عليك، وإنما الشأن أن تقبلها أو تقبضها من الله وتشهد أن الله هو معطيك إياها، لا العبد المتسبب في إخراجها لك، وإنما المنة للذي قسمها لك في سابق الأزل، وحيث كان وقت إباها أخرجها لك من سبب من الأسباب، المتعلقة بقدرته لا غير، ولا تغتر بالفقر، وتنظر في فقرك، وترى أنك مفتقر إليه مضطر له، ويجتمع عليك فقران فقر الدنيا وفقر الآخرة، أما فقر الدنيا فعدم[1] الثقة بالرزق، وأما فقر الآخرة فعدم الاستعداد لها، وإنما الفقر احتياج الباطن إلى الله تعالى الغني عمن سواه، وحصول الاضطرار في ذلك ظاهرا وباطنا، ومعنى هذا سواء حصل له غناء الظاهر وهو المال، وغناء الباطن، وهو الثقة بالله في كل الأمور، على أنه محتاج مضطر فيهما جميعا، بحيث لم ير لنفسه منة فيما حصل له منها، وكذلك إن افتقر في الظاهر من المال أو في الباطن إلى الله، لا ينظر في أحدهما مثلا، وإن نظر إلى أحد الفقرين صار غنيا بما نظر إليه، هذا هو فقر الدارين لا محالة، والله هو الغني الحميد، ولا تغتر بما أنعم الله عليك من تيسير الطاعات، ووقوفك في باب العبادات، وتلتذ بكثرتها منك، وتقف عند حظوظ

---

1 م: عدم.

نفسك في ذلك، ولا تدري ما عاقبة أمرك في تلك المعاملات، هل قبلها منك الملك أم ردها عنك، فانظر ما السبب في ذلك وما الحيلة؟ وكيف يحصل لك الفرح بأمر يعجبك ظاهره ولا تطلع على ما بطن فيه من الخير والشر؟ فإن ذلك من المكر والغرور، والعياذ بالله، حاصله اللائق بك هنا الحزن والانقباض والانكماش، وعدم الفرح بما أنت عليه، لأنك لا تدري هل يدوم عليك ذلك أم يسلب عنك، قال تعالى **﴿فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾**[1]، ويصدق عليه قوله صلى الله عليه وسلم "**أسرع ما عند الله زوال النعم**"[2] أو كما قال، وأنت أيها المسكين لا تغتر بالإنعام، وتنسى المنعم المتفضل عليك، وهذا وصف المغترين ونعوقم، من هذا كثيرة لم تحص، ولكن ذكرنا بعضها على سبيل التبرك، وفيه كفاية لمن أذعن، والله الموفق للصواب.

---

1 الأعراف/ 99.

2 لم نعثر عليه في أي من كتب الحديث.

الكـــلام في الاغتـــرار:

ونرجع للكلام هنا في الاغترار والبحث فيه باختصار، والله المستعان، نعم أيها المحب فلا تغتر في زعمك أنك محب لله ولرسوله، وتدعي المحبة من غير أن تصادف محلها، وتحدث نفسك بصدق الوعد معهم، والثقة برجائهم، وأنت بخلاف ذلك، يصدر منك هذا وأنت منكب على دنياك، متبع لهواك، منتهك لحرمة مولاك، ضامر على أسرار السوء بسرك، كيف يكون لك حال معهم وأنت منعكف على أفعال الشر، وتزعم أنك على خير وهدى من الله؟ ألم تسمع قوله تعالى على لسان نبيه حيث قال ﴿**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله**﴾[1]، فانظر سيدي إن كانت لك فيهم صحبة صادقة، وصلاح فالح، هل أنت متبع لأمرهم أم لا؟ نعم إن كنت متبعا لأمرهم حقا، فانظر وميز أمرك حقيقة، إن وجدت لنفسك ميلا لغيرهم، واتباعا لحظوظ نفسك، وإطلاق الجوارح في المنهي عنه، والادعاء باق[2] فيك، فأنت الكاذب في صدقك، المفتري على ربك، المحجوب بادعائك، وإن نظرت في حالك وميزت أمورك ووجدت الغالب في حقك اتباع الأمر والنهي، ونظرت في نفسك ثانيا ووجدتها مملوكة لك، منقادة لميزان الشرع، مع أنك مجاهد فيها، ومخالف لها في

---

1 آل عمران/31.

2 ط، م: باقيا.

غالب أمرك، مداوما على الذكر والطاعات، مخلصا لعبادتك في الله، حاضرا معه، تاركا لغيره، فأنت الصادق في ادعائك حقا، والمبشر بحسن العاقبة، ويرجى لك الفضل والخير أجمله[1] بمنه وكرمه إن شاء الله، وعليك بالتأني في أمور الطاعات، ولا تتوغل في الإكثار منها، بل خذ منها الأوسط، قال صلى الله عليه وسلم "**خير الأمور أوسطها**"[2]، ولا تشدد على نفسك في الدين، فيغلبك الدين، لقوله صلى الله عليه وسلم "**إن الدين يسر، ولن يشاد أحد الدين إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة**"[3]، فقوله[4] إن الدين يسر أي الإيمان ميسر لمن دخله بشهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله، ولا يعسر عنه الدين بعد دخوله في الإيمان، لقوله تعالى ﴿**وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**﴾[5]، ظاهر الآية يدل على أن الدين لا يعسر على المؤمن حيث أسلم أمره لله، وانقاد للإيمان، ودخله ممتثلا لأمر الله ورسوله، يعني من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر لن يغلبه الدين بعد ذلك، لقوله صلى الله عليه وسلم "**ولن يشاد أحد الدين إلا**

---

1 ط: + أجمله.

2 أخرجه ابن جرير في تفسيره.

3 أخرجه البخاري.

4 م: فقولوا.

5 الحج/ 78.

غلبه"[1]، أي عند دخولكم في الإيمان، أي الأعمال الصالحات، أي لا تشددوا على نفوسكم بكثرة العمل فيه، من غير أن تقفوا على حد العلم بذلك، لقوله صلى الله عليه وسلم **"لا يحل لامرئ أن يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه"**[2] أو كما قال، والعمل يحتاج إلى علم يقوم به وينويه، لأن الإنسان إن دخل في العمل أولا لا ينبغي له أن يتعدى المفروضات والسنن، والاجتهاد في لا إله إلا الله سرا وجهرا، حتى يأخذ نصيبه منهما، ويتمكن نورهما في الباطن، وتخف مشقتهما على القلب، ثم بعد ذلك يأخذ في النوافل ما أمكنه، بحسب طاقة النفس، ولا يشدد عليها في التطوع، بل يأخذ من كل شيء وسطه كما كان يفعله صلى الله عليه وسلم، يعني كان يقوم ما شاء الله وتيسر، وينام ما شاء الله وتيسر، ويأكل ويشرب ما شاء الله وتيسر، قال صلى الله عليه وسلم **"كلوا واشربوا في نصف البطون"**[3]، وكان صلى الله عليه وسلم يقوم، وينام، ويصوم، ويفطر، ويأكل، ويترك، وهذا منه كله تشريع لأمته صلى الله عليه وسلم، وتيسير في الدين، يشهد لذلك قوله تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ، قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً، نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً، أَوْ زِدْ عَلَيْهِ**﴾[4]، ومن فعل هكذا في كلية أحواله، وتأنى في الأمور شيئا فشيئا لم يغلبه الدين، يعني

---

1 رواه البخاري.

2 لم نعثر عليه في أي من كتب الحديث.

3 لم نعثر عليه في أي من كتب الحديث.

4 المزمل/ 1،2،3،4.

يأخذ من النوافل بعد الفرض بحسب طاقته، ولا يهمه قليل العمل مع أداء الحقوق الواجبة عليه، ويكفي العاقل اللبيب الفطن[1] القليل من العمل مع مراعاة الباطن، وزوال كدراته، وما يشوش عليه في عبادته، وهذا شأن الصادقين الأبرار الذين اشتغلوا بصيانة بواطنهم وصفاء قلوبهم ومراقبة حضرة ربهم، عن كثرة الأعمال الظاهرة، واستحسانها في نظرهم، فهؤلاء تيسر لهم الدين، ولم يغلبهم قط، لأنهم شغفوا بحب محبوبهم، واتصفوا بصفاته الحميدة، وتخلوا عن أوصافهم الذميمة الردية، بحيث لم يعتنوا بكثرة الأعمال الظاهرة، وتتبعوا اللائق بأحوالهم، ونظروها بنور بصائرهم، فصار القليل من العمل في حقهم كثيرا[2]، والكثير يتضاعف أضعافا متضاعفة، كما أن غيرهم الكثير من العمل في حقهم قليل، لما أن شددوا على أنفسهم الدين، شدد الله عليهم، فغلبهم الدين، وتعسرت عليهم الأعمال، مع عدم علمهم بأي شيء تعسر عليهم الدين، فأشكل عليهم الأمر، ولم يأتوا الدين من باب اليسر، بل أتوه من باب العسر، فتعذر عليهم الطريق، وأخذوا الأعمال من غير بابها فلم يتأت لهم الدخول لخفة مشاقها، والوصول إلى تمكن لذتها، فحصلت لهم مشقة الدين، والحرج فيه، فغلبهم الدين، وولوا على أدبارهم نفورا، واستدبروا، وهذا معنى قوله **"ولن يشاد أحد الدين إلا غلبه"**[3] والله أعلم.

---

1 م: الفطن.

2 م: كثير.

3 رواه البخاري.

قال صلى الله عليه وسلم "**فسددوا، وقاربوا، وعليكم بالغدوة والروحية، وشيء من الدلجة**"[1] الحديث، يعني فسددوا أي ايتوا بالسداد، والصلاح، واليقين، وهو صلاح الباطن ومعاملة السر في إخلاصهم لله تعالى، وصلاح الظاهر بإتقان عمل الجوارح في اتباع المشروعات، فالسداد الظاهر هو زينة الجوارح بالأعمال الصالحات، واستغراقها في محاسن العبادات، واجتنابها للمنهيات، وفعلها للمأمورات، والسداد الباطن إقبال القلب على الله تعالى، وإدباره عن غيره، وحسن معاملة السر لله كشفا، وإيقان الروح بالتنعم في حضرة الله حالا، ومراقبة السر، والخفاء فناء، وفناء الفناء في البقاء بقاء، وهو سر عجيب لمن أهله الله لفهمه، وصلاح حاله، منحنا الله وإياكم مما منحه به[2] بمنه وفضله آمين، وقاربوا أي إن لم تقدروا على السداد وصلاح الحال فقاربوا منه، أي خذوا منه قدر كفاية حالكم، وما أمكنكم منه، بقدر استطاعتكم فيه، يعني قاربوا الأعمال الظاهرة بالتأني في الأمور تارة بتارة، كما تقدم ذكره، حتى يتمكن منكم السداد والصلاح، فيصير لكم العمل حالا روحانيا، وتخف عنكم مشقة العمل وتعبه، وقاربوا الأعمال الباطنة، بتفويض الأمر لله والثقة به، والتوكل عليه، قال تعالى ﴿**وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ**﴾[3]، فعند ذلك يحصل له القرب من معاملة الباطن، وما بطن فيه

---

1 أخرجه البخاري

2 م: – به.

3 الطلاق/ 3.

من السر العجيب، وأبشروا أي أبشروا بالخير والصلاح والفلاح، والبشارة هنا دالة على حصول الفرح بما اقتضته الحكمة المتقدم ذكرها قبل، يعني لما أن حصل تيسير الدين، وتمكن الإيمان من القلب، حصل السداد المذكور، والقرب منه، وبعد هذا صدرت البشارة وأبرزت، لقوله عليه الصلاة والسلام "**وابشروا**"، أي أبشروا بما أتاكم منه من الكرم والجود، وصدق المعاملة منكم له، والبشارة لا تكون إلا عند زيادة خير وحصول غرض، والغرض هنا حصل، وهو المقصود من العبد، أي قربه من الله، وغاية البشارة هنا أن يكون القلب مستبشرا برضاء الله، وحافظا لحدود السر عن أن يخطر به غير الله، لا البشارة التي يحصل منها الفرح والسرور على مجازاة الأعمال والثواب عليها، وإنما هذه بشارة مذمومة، لم تثبت لصاحبها، والذي لم يثبت لم يكن ببشارة، وإنما البشارة هي التي قال فيها صلى الله عليه وسلم "**وابشروا**" هي البشارة التي يمتد مزيدها، ويتعاظم قدرها، ويكثر خيرها، وينقاد لها ظاهر العبد وباطنه، والبشارة لها وجوه كثيرة، ولكن اختصرناها، وما ذكرنا يكفي لمن كان له قلب.

قوله "**وعليكم بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة**" عليكم بالجد والاجتهاد في هذه الأوقات الثلاثة، وحرض على هذه صلى الله عليه وسلم كثيرا فضلا عن غيرها من الأوقات امتثالا لقوله تعالى على لسان نبيه "**عبدي اذكرني ساعة بعد الصبح وساعة بعد العصر أكفك ما**

بينهما"[1]، يشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم "**لأن أجلس بعد صلاة الصبح أذكر الله إلى أن تطلع الشمس ونصلي ركعتين أحب إلي مما تطلع عليه الشمس أو خير من الدنيا وما فيها**"[2]، أو كما قال، ولذلك حرض صلى الله عليه وسلم عليهما دون غيرهما لأن الغدوة هي أول النهار، فينبغي له التحرز[3] عما يشغله في أول وقته ليتهيأ لخدمة نهاره، ويحاسب فيه نفسه بقدر إمكانه في الحال، والروحة هي وقت آخر النهار، فلينظر فيما إذا استدبر يومه، بماذا يكون اختتام عمله فيه، يشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم "**إنما الأعمال بالخواتم**"[4]، يعني أن الأعمال لا يتم نتاجها إلا عند الخواتم، والخاتمة هو آخر ما يكون عليه الإنسان من العمل، وعاقبة أمره، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم "**عليكم بالغدوة والروحة**" لأنهما هما مبادي الإنسان ونواهيه في الأمور التي هو عليها، وقيل الغدوة هي مبدأ الإنسان في أول عمله، والروحة هي منتهى ما كان عليه من العمل، وروحته في ذلك أي راحته من ذلك العمل الذي كان عليه في النهار، واستقباله لأول وقت استقبله من ليله، واختتمه بآخر وقت من نهاره، ولم يقل فيهما صلى الله عليه وسلم بشيء من الغدوة

---

1 أخرجه الترمذي.

2 لم نعثر عليه في أي من كتب الحديث.

3 م: – التحرز.

4 لم رواه البخاري.

وبشيء من الروحة، لأنه نبه فيهما على الفعل الكلي ما أمكن، بحيث لا[1] يتهاون الإنسان فيهما جميعا، ولا يتراخى بالفعل فيهما إن أمكنه، لئلا يفوته فضلهما العميم، وخيرهما الجسيم، لأنهما وقتان جامعان للخير والشر، ومهما غفل الإنسان عن أحدهما إلا فاته فضل الآخر، لأنه لم يتمكن حاله من الأول، ولذلك لم تتم له فائدة الوقتين، ولا يتم نتاج الأول إلا بالآخر، ولا الآخر إلا بالأول، والعمل الآخر أقوى من العمل الأول، أي أرجح منه خيرا كان أو شرا، يشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم "**إنما الأعمال بالخواتم**"[2]، والعاقبة التي كان عليها الإنسان، أي الخاتمة لا شك أنها أقوى وأرجح من الأول، لأن الأول لا يدري صاحبه ما آخره، والآخر عرفه وتحقق عاقبته، فليحسن الإنسان عاقبة أمره في كل الأحوال، ويأخذ في الأعمال الصالحات الظاهرة والباطنة مدة عمره، بحسب حاله وما يطيقه، وهكذا إلى أن يقضي الله به أمرا كان مفعولا، وقال صلى الله عليه وسلم "**شيء من الدلجة**"[3] أي شيء من الليل لا كله، أي خذوا من الليل شطره أو ثلثه إلى غير ذلك مما قال فيه لنبيه ﴿**قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً**﴾[4] الآية، والإقامة هنا فيه بما أمكن الإنسان من الطاقة، وقيل الشيء الذي هو من الدلجة هو موافق الإنسان في حاله من

---

1 م: – لم يتهاون

2 رواه البخاري.

3 رواه الألباني في صحيحه.

4 المزمل/ 2.

القيام يعني هو أول الليل أو وسطه أو آخره الخ، والكل سواء، والمتفق عليه وما عليه الجمهور ثلث الليل الآخر، يشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم "**يتزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول هل من داع فاستجيب له وهل من تائب فأتوب عليه**"[1] الخ، ولذلك رجحه أهل الحق على غيره وحرضوا عليه كثيرا لما فيه من الفوائد العجيبة، والاغتنامات[2] الفاخرة، والأسرار الباهرة، ما ليس في غيره من الأوقات، وفيه تجتمع الهمم للسالك، وتظهر وسوسة الصدر، ويكثر الاعتبار في مصنوعات الله، ويجد في ذلك لذة عظيمة، ما لا يجده في غيره، ولذلك اختاره أهل الصوفية، واغتنموه لهم، ولغيرهم من المريدين، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم "**وشيء من الدلجة**"، واتفق جمهور أهل الحقيقة على أن الشيء المطلوب من الليل المذكور هو ثلث الليل الآخر، والله أعلم.

فعليك يا طالب السير والسلوك بالأخذ في الأعمال القلبية والبدنية كما تقدم ذكره، واستسلام الأمر كله لله، والبدنية كما تقدم اتباع الأمر، واجتناب النهي، الخ، ولا ترض بالسفساف من الأعمال المودي إلى انحطاط همتك إلى أسفل الطبيعة، وهو مأمنك من العمل إلى الله، يعني هو أن تشهد عملك وصالح فعلك من نفسك إلى الله، وهذا منك فعل خاسر، وربما يؤدي بك إلى الانقباض والانكماش، وهو الحزن، ويورث

---

1 أخرجه الترمذي.

2 م: والاغتنام.

لك الخجل والخساسة من نفسك حتى ينسيك فضل ربك وإحسانه، ويذكرك إساءتك وخساسته، فيتمكن منك القنوط وسوء الظن بك، وبما أنت فيه، ويسوء ظنك بالله وبرسوله، فتترك العمل لأجل ما انطوت عليه نفسك من الجناية، فهذا شأن عامة الخلق، أي كثير من المجتهدين العابدين الزاهدين غرهم هذا، وصرفهم عن طريق الحق، ولم يشعروا بماذا صرفوا عما كانوا عليه، وأما العارفون فذاقوا الشهود وعاينوه بنور بصائرهم، يعني شاهدوا الأمور كلها من الله إليهم لا من نفوسهم إلى الله، وهم أتوا الأمور[1] من بابها، وحيث صدقوا في معاملتهم إلى الله تحققوا الأمور منه وعاينوها، من باب أولى، وخرجوا عن فضل نفوسهم، وانتهوا[2] إلى فضل الله ومنته، فتحققوا بذلك كشفا، يعني شاهدوا الإحسان[3] والفضل والجود كلها من الله، والإساءة وكل ما برز منهم من الأوصاف الذميمة من نفوسهم، فقابلوا إحسان ربهم بخوفهم منه وحزنهم لذلك الخير، مخافة منهم أن يكون ذلك استدراجا ومكرا لهم، لأنهم لم يطلعوا على ما أوجب لهم ذلك، فعاينوه من الرب سبحانه حيث أنعم عليهم من غير أن يحتاج منهم إلى عمل يكون سببا لذلك، بل رحمته أوجبت لهم ذلك لا عملهم، يشهد لذلك قوله تعالى ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[4]،

---

1 م: الأبواب.

2 م: منتهى.

3 م: الأحسن.

4 الأعراف/ 156.

والرحمة تحتمل الوجهين، يعني تعم العاصي، والمطيع، والكافر، والمومن، ومعنى "**وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ**" أي عمت واحتوت كل شيء من معلوماته، والعموم هنا يفيد الكل، يصدق عليه قوله تعالى ﴿ **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾[1]، ظاهر الآية يدل على أن الله وقف قدرته على مشيئته في خلقه، إن شاء عذب الطايع، وإن شاء رحم العاصي، يشهد لذلك قوله تعالى ﴿**لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ**﴾[2]، كذلك الإنسان لا ينبغي له التعجب من أعماله، ولا يستحسن من أفعاله شيئا، ويرجو[3] عليهما الثواب حتى يخلص عمله لله، ويصدق فيه إليه، لا لأجل جزاء يرجوه منه، ولا عقاب يخافه عليه، لأن العقاب والجزاء خلق من خلق الله مثلك، مملوكان في قبضة قدرته، أين شاء صرفهما، لقوله صلى الله عليه وسلم "**لا تأثير لشيء من الكائنات**"[4]، لأن الضار والنافع في الحقيقة هو الله لا غير، وأما المحسن أي العامل لله الصادق في أفعاله، الخالص في أحواله، فيدخله رحمته، ولو بأدنى سبب، وهو إخلاص السر لله والعلانية، وإن قلل العمل في الظاهر، فهو كثير في الباطن، كما تقدم، يشهد لذلك قوله تعالى ﴿**إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[5]،

---

1 يس/ 82.

2 الأنبياء/ 23.

3 م: يرجى.

4 لم نعثر عليه في أي من كتب الحديث.

5 الأعراف/ 56.

ظاهر الآية يدل على أن رحمة الله قريب من المحسنين، أي الطائعين العاملين بصدق المعاملة لله سرا وجهرا، والإحسان هنا صدق السر في معاملته الحق، مع وفق إرادة الظاهر في اتباع الكتاب والسنة، وهذا معنى إحسان العبد، وأما مقابلة العبد لإساءته وخساسة نفسه فهو الواجب والأهم، على المريد أن يسيء الظن بنفسه، ويحسن الأدب مع مولاه، ويقابل نفسه بعدم الرضى في كل حسن وقبيح، بحيث لا يرضى عليها في شيء تحبه أو تكرهه[1] قط، ويقابل مولاه بحسن الأدب، وهو حسن الظن به في كل ما قدره عليه خيرا كان أو شرا، والإنسان تجري به المقادير كيف شاءت، ولا يليق به المخاصمة في ذلك، بل التسليم هنا أولى وأسلم للجميع، وعليك أيها المريد بتصحيح إرادتك بإرادة ربك، وصدق العزم والجزم فيها بلا ريب، لا تحدث نفسك بشيء تريده منها، يعني لا تحدث نفسك بالأمر الذي أردته أنت منها في الوقت، بل حدثها بصرف مرادها إلى ما أراده الحق منك في الوقت الذي أراده منك هو، لا الوقت الذي أردته أنت من نفسك، لئلا يلبس عليك الطريق، وينكر عليك الوارد، ويكدر عليك قوت الروح، ويسلب عنك اختيار ربك، ويقتر عليك الأعمال أي يشددها عليك فتنسى بهذا إرادة ربك، ويقل فهمك عن الله، ويبطل سيرك في الطريق، لأنها أظلمت[2] عليك بالسبب المتقدم، وهو حديث النفس، وانقيادك له، وينفر منك وارد الحق، لأنه صيد عزيز،

---

1 م: تكره.

2 م: ظلمت.

موحش[1] من الخلق، لا يرضى بشيء يدخل عليه غير الله، ويتكدر عليك عيش الروح، أي قوتها الذي يقوم ببنيتها، وهو لذة الإيمان، لأن الروح لا تتمعش إلا به، ويسلب عنك الاختيار أي اختيار الله تعالى يسلبه منك اختيار نفسك، والتحدث به والرغبة في تدبيره وتتقتر عليك الأعمال، أي يشتد عليك أمرها، ويتعاظم خطرها، يعني تدق[2] في نظرك الأعمال أي تصغر، ويصير الكثير منها قليلا، والقليل كلا شيء، فيصير حمل ذلك على النفس ثقيلا، فيضعف العمل لأجل ذلك، ويتركه مللا منه، لأنه إن ترك العلم من حيث العمل، لم ينفعه عند ذلك العمل، والعلوم هنا من وجوده كثيرة، ونأتي بوجه واحد[3] منها باختصار، وما سنذكره فيه يكفي لمن أذعن إن شاء الله.

الجواب في ذلك والعلم هو علم لا إله إلا الله، لأنها هي أول علم في الدين، أوجبه الله علينا أولا، يشهد لذلك قوله تعالى ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**﴾[4]، أي فاعلم يا محمد لا إله إلا الله، أي معنى لا إله إلا الله، وهو علم حقيقة وحدانيته الأزلية القائمة بذاته، السرمدية في ديمومته، المحيطة الشاملة بنفسه، التي ليس لها ابتداء ولا لها انتهاء،الأول في وحدانيته، الآخر في ديمومته، الظاهر في وجوده، الباطن في بقائه، قال تعالى ﴿**هُوَ**

---

1 م: متوحش.

2 م: يدق.

3 م: – واحد.

4 محمد/ 19.

﴿**الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ**﴾[1]، والكلام هنا يطول ذكره في معنى لا إله إلا الله، ولكن نأتي ببعض ما اطلعنا الله عليه في ذلك، والله الموفق للصواب وإليه المرجع والمآب.

ومعنى قوله تعالى "**فَاعْلَمْ**" أي اعلم يا محمد العلم النافع الذي لم يعلمه أحد قبلك، ولا بعدك، أنه أي هو لا إله إلا الله، لا معبود على الحقيقة إلا الله، وعلّمه تعالى معنى وحدانيته في قوله "**اعْلَمْ**"، وألهمه الأدب في حضرته بقوله " **أَنَّهُ**" وأحسن معاملته معه في السر، بقوله " **لَا إِلَهَ**" وسلك به سبيل النجاة إلى عظيم إجلاله وقدرة حكمته، بقوله "**إِلَّا اللَّهُ**" وأكمل الدين وأتمه بمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فصارت شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله هي أول علم في الإسلام، ولا يتم الإيمان إلا بشرط ذكرهما أولا سرا وجهرا، إلا إذا عدم النطق بهما لضرورة شرعية منعته من النطق بهما، فالتصديق بالقلب كاف ويجزي كما نصوا عليه في ذلك، وبلا إله إلا الله عرف الإسلام، وبلا إله إلا الله عرف الدين، وبلا إله إلا الله عرف الإيمان، وبلا إله إلا الله عرف الإحسان، فامتاز أهل لا له إلا الله بخير الدارين، خير الدنيا وهو الإيمان بالله وبرسوله، واليوم لآخر، والتنعم بذلك، وخير الآخرة دخول الجنة، والنظر إلى الله تعالى، علّم أهل لا إله إلا الله بالعلم الذي ليس بعده علم، وبمعناها، وأداء ىروطها الواجبات ما أمكن، وبلا إله إلا الله حصل اليقين والنور في قلب

---

[1] الحديد/ 3.

المؤمن، وزال بذلك ظلمة الجهل والأغيار، ما لم يحصل في غيرها من الأذكار، قال صلى الله عليه وسلم "**أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله**"[1]، وقال صلى الله عليه وسلم "**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله**"[2]، فانظر سيدي هذا الفضل العظيم كيف عصمت دم قائلها وماله، وهذا هو الفضل الأول الذي تفضل الله به على المؤمنين، ويشمل هذا حتى المنافق لأنه إن قالها بلسانه تعصم منه ذلك، هذا وقلبه مدبر على الإيمان عصمته ونال من بركاتها وفضلها ما لم ينله غيره ممن لم يقلها، فما بالك بالمؤمن كيف يكون حاله إن قالها وعلم بمعناها، والعلم كله محصور في لا إله إلا الله وكذلك العمل، ولولا لا إله إلا الله لم يكن علم ولا عمل، لأن الفقه والتوحيد منها نشآ وتنوعا[3]، ولا إله إلا الله أول العلم فيهما[4] لقوله تعالى "**فَاعْلَمْ**"، أي اعلم العلم الذي هو توحيد الأفعال والأسماء والصفات، وأعظمها توحيد الذات الجليلة، أي اعلم ذلك وتفقه في الدين، والتفقه لا يكون إلا بعد علم لا إله إلا الله، يعني بعد أن عرفه بأفعاله وصفاته وذاته وأسمائه، عرف نفسه بما يليق به من العبودية في أمور الدين، قال تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ، قُمْ فَأَنذِرْ، وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ، وَثِيَابَكَ**

---

1 رواه مالك في الموطأ.

2 رواه البخاري والترمذي.

3 م: نشأ وتنوع.

4 م: فيهم.

فطهر، والرجز فاهجر، ولا تمنن تستكثر، ولربك فاصبر﴾[1]، يعني أن العلم هو السبب في العمل، ولا يتأتى عمل لأحد إلا بعد العلم به، أي بما يقوم به من العلم، والعمل هو روح العلم أي قوته، وبه يتمعش العلم، وتقوم بنيته، لأن العلم بلا عمل كالجسد بلا روح، ولا يجيء منه شيء، وكذلك العمل إن عدم معه العلم لا يجيء منه شيء، والعلم والعمل كالروح والجسد، لا تقوم الروح إلا بالجسد، ولا يقوم الجسد إلا بالروح، يشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم **"شريعة بلا حقيقة زندقة، وحقيقة بلا شريعة فسق"**[2]، ولا يشوب العمل إلا عدم العلم بحكمه[3]، وكذلك العلم[4] لا يشوبه إلا عدم العمل به، فالواجب على الإنسان أن يعمل العمل لله، ويخلصه له، عسى يفقهه[5] في دينه، ويعلمه كيفية عمله، ليخرج عن تلبس الأعمال، ويستنير باطنه، ويخرج عن ظلمة الجهل، لقوله صلى الله عليه وسلم **"ما اتخذ الله وليا جاهلا إلا وعلمه"**[6]، فعليك بالإخلاص في العمل، وحيث يتيسر له العلم تخف عليه مشقة العمل، كما تقدم لقوله صلى الله عليه وسلم **"من يرد الله به خيرا يفقهه**

---

1 المدثر/ 1-7.

2 لم نعثر عليه في أي من كتب الحديث.

3 م: بمحكمه.

4 م: + مثلا.

5 م: يفقه.

6 لم نعثر عليه في أي من كتب الحديث.

في الدين"[1]، أي يفهمه العلم بأحكام الله، ويطلعه على حقيقة قدرته حتى يصير عمله موافقا لعلم الله، وعلم الله موافقا[2] لعلمه، فبذلك تحصل نتيجة العلم والتفقه فيه معنى، بأن لا يكون العمل مخالفا للعلم، ولا العلم مخالفا للعمل، فحينئذ يصح له الوقوف بالباب، والسير في الطريق، والسمو في المرتبة، أي العلو والقناعة بما يجري عليه من القدر والمدد الجاري من غير توقف، والهداية لاستقامة الحال، وإدمان المجاهدات، يشهد لذلك قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[3]، أي الذين جاهدوا أنفسهم في مرادنا واختاروا اختيارنا على اختيار نفوسهم، لنهدينهم سبلنا، لنوفقنهم[4] بوفق مرادنا، واهتداء أقدارنا، سبلنا أي اختيارنا وتسييرنا، ظاهر الآية يدل على أن الإنسان إن جاهد نفسه وكابدها وخالفها عن مرادها في مراد الله، يوفقه الله لهدايته، وييسر له طاعته، ويسلبه اختيار نفسه، والذي لم يجاهد نفسه و لم يخالف هواها، يشق عليه اجتهاده أي يعسر عليه، ويقل إمداداه، أي الزيادة، ويكله إلى وفق مراد نفسه، فسيبقى حينئذ في السجن الطبيعي، تتراطم عليه الأحزان، وتتقوى وتكثر خواطره، ويكون مشوش الخاطر، متفكرا في فقد الإيمان من قلبه، فيحب الإيمان، ولا يقدر يسلك طريقه، وربما يجاهد نفسه في بعض

---

1 رواه البخاري ومسلم.

2 م: موافق.

3 العنكبوت/ 69.

4 ط: لنوفقهم.

الأحيان في طلب ذلك، ويرغب، غيرة منه، ويجاهد نفسه بوفق مراد حظوظها، وينتظر في اجتهاده ماذا يبرز له، وماذا يكون له مع الله وخلقه، ويبقى على هذه الحالة زمانا، حتى إذا لم يظهر له ما يوافق مراده، تكاسل في العمل، ورجع القهقري، مدبرا عن الحق مقبلا على الباطل، يشهد ذلك قوله تعالى ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ**﴾[1]، ظاهر الآية يدل على أن الإنسان إن دخل في العمل لأجل أن يجازيه الله على ذلك العمل كان مذموما، وإن دام على عمله راجيا الفضل من ربه آجلا يعني في الآخرة، ولم يطلبه منه في العاجل، وهي الدنيا ودام في الأعمال الصالحات، واكتفى بالعمل في الدنيا دون الثواب عليه عاجلا، وتحقق بأن الله ادخره له في الآخرة امتثالا لقوله تعالى ﴿**جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[2] في الدنيا فهذا مقام شريف محمود، وهو مقام عامة الأبرار، وأما إن عمل أحد العمل لأجل أن يكون له جاه وقدر في الدنيا، ورفعة وشأن، وأكثر العمل، واعتزل عن الناس، وقام وصام وخالف بعض عادات النفس، لأجل هذا الجزاء المشؤوم عليه مع أنه يدعي العمل لله لا يكفيه ذلك الادعاء، ولا ينفعه عمله، وحيث عمل العمل لأجل حظ نفسه، وكله الله إلى ذلك وخلاه في قيد النفس أسيرا[3] في مملكتها، ذليلا

---

1 الحج/ 11.

2 الواقعة/ 24.

3 م : مسجونا أسيرا في عزها، ذليلا في غنائها، فقيرا في صحتها، سقيما من حيث

في عزها، فقيرا في غنائها، سقيما في صحتها، من حيث لا يشعر بذلك، حتى إن طال به العمل، ولم يحصل له ما أراده من حظ نفسه، رد إلى البطالة، ووقع في الزندقة والعياذ بالله، وهذا من يعبده على حرف خسر الدنيا والآخرة، يعني خسر الدنيا من الأعمال الصالحات، وعدم وفقه لمراد الله، وخسر الآخرة يعني كثير السيآت قليل الحسنات، كثير العذاب، قليل الرحمة، كثير الحسرة والندامة، قليل المرتبة في دار المقامة، وهي الجنة، وهذا شأن أهل[1] البطالة المتبعين لهوى نفوسهم، وقتلوا في جدها، ذلك هو الخسران المبين أي البين الواضح الذي ليس بعده خسارة إلا خسارة الكفر أعاذنا الله من ذلك بمنه وكرمه إن شاء الله.

وأما طالب الكمال فلا[2] يحتاج لهاتين الخصلتين جميعا بل طالب المسلكة منهما، والمراد في ذلك أن هؤلاء إن عمل أحدهم العمل ينظر في عمله أولا بالعلم المطابق للكتاب والسنة، ما وافق الشريعة والحقيقة أثبته له، وما خالفهما أزاله ولم يثبته لنفسه أبدا، وينظر[3] فيه ثانيا هل يكون عمله على طلب الجزاء المعجل أو المؤجل أو لله خالصا إن وجد لنفسه رؤية لذلك، أو لبعض منه سعى في الخلاص معه، وأزاله بحول الله وقوته، ولا يسكن جأشه إلا إن ثبت ذلك العمل لله وأخلصه إليه، وينظر في إخلاصه ثالثا هل يجد له إعجابا بذلك، أو فرحا به، أو اعتمادا عليه، واستئناسا

---

1 م: – أهل.

2 م: لا.

3 م: انظر.

بإخلاصه، حتى إن وجد شيئا من ذلك خرج عنه وأخلصه لله، بحيث لم يبق لرؤية نفسه في الإخلاص رؤية، وهذا مقام الكمال من المقربين. منحنا الله من فضله آمين.

وأنت أيها المحب لا تترك الذكر لعدم حضورك فيه، كما قال ابن عطاء الله رضي الله عنه في الحكم: "عسى يرفعك من ذكر مع وجود غفلة، إلى ذكر مع وجود يقظة، ومن ذكر مع وجود يقظة إلى ذكر مع وجود حضور، ومن ذكر مع وجود حضور إلى ذكر مع وجود غيبة[1] عما سوى المذكور"، الخ.

فاذكره على الغفلة سيدي ولا تفتر ولا تتهاون في الذكر، وكن مستهترا فيه بالقلب واللسان سرا وجهرا، حتى يقول الناس مجنون، لقوله صلى الله عليه وسلم "**اذكروا الله حتى يقولوا مجنون**"[2]، فإن للذكر بركات وأسرارا، وأنوارا[3] لا تدخل تحت حصر، ولا إله إلا الله أشرف الأذكار وأعظمها وأسرعها لخرق الحجب الظلمانية، وهي أفضل الأذكار لقوله صلى الله عليه وسلم "**أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله**"[4]، فعليك سيدي بذكر لا إله إلا الله، والإكثار منها آناء الليل وآناء النهار، تأخذ منشور الولاية، وهي أول علامة دالة على ولايتك، وعلو

---

1 م: غفلة.

2 رواه ابن حبان.

3 م: أسرار وأنوار.

4 رواه مالك في الموطأ.

منزلتك، فعليك بها مع عدم الالتفات لغير الله، ومجاهدة النفس، ومخالفة هواها، مع حضور معناها، والتلقي لوارد الحق منها، والصبر على مشاق الرياضات، والتسلي عن أكدار الدنيا، والتخلي عن الأوصاف المذمومة، والتحلي بالأوصاف المحمودة، والقناعة بما قسم لك من المقدور، والرضا عن الله فيما قضاه عليك، وابتلاك به، واتصف سيدي بهذه الأوصاف السنية، ما أمكنك الوصول إليها، بالتأني بالأمور، والترقي تارة بتارة، حتى تستغرق في العبادات والأذكار حسا ومعنى، وتمتزج الكلمة المشرفة بدمك ولحمك، حتى يصير بدنك كله يذكر معك، حتى شعرك بالشعرة، والثياب التي هي فوقك أي لابسها تصير لك العبادات خلقا وخلقا، والذكر نارا ونورا، نار[1] تخلية من الذنوب، ونور[2] تحلية كلبس الثوب، كما أشار لذلك سيدي عبد الرحمان باش تارزي رضي الله عنه في الرحمانية، ثم بعد تخلية الذنوب منك تتحلى بتقوية الإيمان، ويشتعل في قلبك مصباح ملكوتي، كما نص عليه سيدي عبد الرحمان المذكور، في الرحمانية، أي نور قد أوتي للقلب، ويضيء لك بذلك النور مشارق القلب ومغاربه، وجوفه وقبلته، وتشتغل أنت بتنقية عيوبك بذلك النور المذكور، وتنخرق لك الحجب الظلمانية بلا إله إلا الله، لأن حجب الأغيار وهي الظلمة، لا يخرقها إلا ذكر لا إله إلا الله، وحيث تنخرق لك الحجب، ترى لذكرك عجائب وغرائب، من أسرار ملكوت الله، ما يبهر

---

1 م: نارا.

2 م: نورا.

عقلك، ويرغبك في حضرة ربك، ويزهدك فيما سواه، ثم بعد هذا ينتقش اسم وحدانيته في قلبك، ويصير ذكرك قلبيا، حيث عرفت نفسك ذكرت ربك، وحيث ذكرت ربك عرفته، وحيث عرفته كلّ لسانك عن النطق بها، لقوله صلى الله عليه وسلم "**أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه**"[1]، يشهد بذلك قوله صلى الله عليه وسلم "**من عرف ربه كلّ لسانه**"[2] الحديث، فتنفرد بالاسم المفرد، وهو الله الله، ويصير ذكرك الله على الإطلاق، وترجع نفسك هنا لوامة، بعدما كانت أمارة بالسوء، صارت تلوم عليك في الخير والشر، وذكرك في هذا المقام اسم الجلالة، وهو الله، فإن هذا المقام حجبه الأنوار، ولا يخرق هذا الحجب إلا الاسم المفرد، وهو الله.

فاذكر سيدي على العموم، مع لوازم شروطه وأدبه، فانظر الرحمانية تجد كل ذلك مفصلا على حد السواء، وهكذا يكون حالك في كل مقام، حتى تسلك عن جميع المقامات، وينتهي حالك إلى غاية المقصود، وحصول المراد، وتزكي نفسك وتطمئن بالحق، وهكذا حجب الأسرار لا يخرقها إلا الاسم هو هو هو، وكذلك مقام الوصال لا يخرق حجبه إلا اسم حق حق حق، وكذلك مقام الكمال لا يخرق حجبه إلا اسم حي قيوم، وكذلك حجب مقام القطبانية لا يخرقها إلا اسم القهار، وهو حجب نور الذات العلية، وهنا فنيت[3] العبارات، وذهبت الإشارات، وفنى

---

1 قال النووي ليس بثابت.

2 قال النووي ليس بثابت.

3 ط، م: فنت.

الرسم، وبقي الاسم، وهكذا تدريج المقامات في الترقي شيئا فشيئا حتى يسلك عن جميعها، والحجب التي هي بين العبد وربه سبعون حجابا، وقيل سبعون ألفا، لقوله صلى الله عليه وسلم "**بين العبد وربه سبعون حجابا أو سبعون ألف حجاب لو كشفها السالك لحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره**"[1] أو كما قال، والحجب في الحقيقة حجب الذنب، وهي التي حجبت[2] العبد عن ربه، وأما الله فمنزه عن ذلك لا يحجبه شيء عن شيء، بل هو موجود قبل كل شيء، وموجود في كل شيء، وموجود بعد كل شيء، وهو الظاهر في كل شيء، وهو الباطن في كل شيء، وهو الأول في كل شيء، وهو الآخر في كل شيء، لا يحجبه شيء عن شيء، وهو القاهر فوق كل شيء، وكل حجاب من الحجب المذكورة له اسم مخصوص يقطعه، ولا يقطعه غيره، فكن سيدي مشغولا بالذكر، بأن لا تلتفت لغيره، حتى يمتزج بك، وتغيب بالذكر عن الذكر، في الذكر، هذا بسلوك المقامات كما ذكر، وبجذبة من جذبات الحق، كما قيل ان لله نفحات، تعرضوا لنفحات الرحمان، والتعرض هنا لنفحات الله لا يكون إلا بالتلقي لواردات الحق.

فعليك سيدي باصطياد الوارد في السكتة الأولى في ابتداء الذكر، والآخرة في انتهاء الذكر، والمتفق عليه عقب الذكر، وغير ذلك من الواردات، التي

---

1. لم نعثر عليه في أي من كتب الحديث.
2. في الأصل: حجبت.

ترد على قلبك، فعليك بالحض[1] عنها، والتلقي لها[2] ليفيدك من ذلك في لحظة ما لا تفاده في عبادة ثلاثين سنة، فعليك بحفظ حرمتها بالتلقي لها، والتسليم لواردها يتصرف فيك كيف يشاء، وبالواردات تحصل الفوائد والمقاصد، والنفحة اتخذت[3] هاهنا من الواردات الإلهية التي تحصل في القلوب من أنوار الغيب، وهي مواهب ربانية لدنية تحصل لمن أهله الله لحضرته، واصطفاه لولايته، وقربه وأدناه منه بمنه، وفضله، وهي مواهب تطرق السالك وتأخذه في أسرع من طرفة العين، وتجذبه جذبة واحدة بإذن الله بأدنى سبب، في أول بداية، وتنتهي به إلى نهاية السالك، أي انتهاء المقصود، وهو الله، ولا يشعر بنفسه إلا وهو جالس في مقعد صدق، عند مليك مقتدر، ولذلك قال بعض الحكماء بداية المجذوب نهاية السالك، يعني بداية المجذوب عند أول جذبته مر في لحظة من المقام الأول إلى مقام الكمال، في أسرع حين والسالك بخلاف ذلك يعني مدة حياته، وهو في الجد والاجتهاد والمخالفة والرياضة يمر على المقامات شيئا فشيئا حتى يسلك عن جميعها، وينتهي أمره إلى الله بتدقيق المقامات، ومحاسبات الأنفاس الخ، فصار المجذوب بدايته هي نهاية السالك، يعني أول ما يبتدي منه الوصول إلى المقصود، أي مبدأه في ذلك هو نهاية السالك فيكنى المجذوب بالتدلي، والسالك بالترقي، يعني المجذوب يرجع من الانتهاء

---

1 م: بالحظ.

2 إليها.

3 م: + من.

متدليا، فيصادف السالك راقيا، إلى ذلك الانتهاء الذي تدلى منه المجذوب، وهو نهاية السالكين، فصارت بداية هذا نهاية هذا، إلا أن السالك أحق منه في المقامات، وأدق في الأنفاس النفيسة، وعارف[1] معرف بالكتاب والسنة، وهذا لم يزل الآن متدليا في ذلك، غير أنه لم تحصل له مشقة في تلك الدقائق، كما حصلت للسالك أولا، بل خف عنه تعبه، وصار عليه سهلا ميسرا، يعني يمر على الطريق في تدليه حتى يحصل له العلم بها، والتفقه في أحوالها، بسرعة، فعند ذلك يتمكن منه الأمر الحقيقي، و[2]يصير مجذوبا سالكا محققا طريق النجاة، صادقا في أحواله، مصدقا بوعد ربه، وهذا[3] معنى النفحة، والمجذوب بها، شتان بين الفريقين، لأن المجذوب جذبته الحقائق الإيمانية الربانية إلى حضرة وحدانية الذات الجلالية، من غير تكلف مشقة في كثرة الأعمال، ولا مجاهدة نفس في الرياضة إلى غير ذلك مما فيه جد واجتهاد، وإنما وجدوا ذلك بأدنى سبب، وهو التعرض لنفحات الله بقلب سليم، وعمل خالص، وصدق محبة، ونية صادقة، وقد حصل لهم هذا في الفضل العظيم، والخير الجسيم، والبرهان العميم، والفوز الدايم المقيم، في أسرع لحظة بالسبب المذكور، وهو التعرض لنفحات الله بالوصف الذي ذكرناه، يعني بنور يحصل في القلب، لا بكثرة الأعمال، الذي لم يحصل للسالك بالمجاهدات والمكابدات والرياضات

---

1 م: عرف.

2 م: - و.

3 ط: وهذه.

والمخالفات، طول عمره، لأن السالك يجتهد في كثرة الأعمال الظاهرة أولا، من صلاة وصوم وقيام واعتزال، وغير ذلك من الاجتهادات البدنية، فهذا السالك سبقت أعماله أنواره، ولا يحصل له نور اليقين إلا بعد العمل، ثم بعد دخوله في العمل والاجتهاد يقدح نور الإيمان في قلبه، بتفكر واعتبار، أو علم يحصل له في العقل، وغير ذلك مما يرد على السالك المجتهد في أحواله، وبحسب إمكانه في الإيمان يسير في الطريق، مع أنه ناظر للأعمال، متشوف للجزاء عليها في أول ابتدائه، فيتعذر عنه السير، ويعسر عنه الفهم، في مشكلات أمره، بحيث يتيسر له العمل في الظاهر، وينشط إليه مع خفة وجدها في الباطن يفرح لذلك، ويسر باطنه، ويعتمد على حسنه وإتقانه وكثرته، وإن ثقل عنه العمل مثلا تعسرت عنه أسبابه يحزن لذلك، وينقبض باطنه، ويأخذه الكمد في ذلك، حتى يكاد يرمي نفسه على شواهق الجبال، وهذا الكمد سببه خجل يحصل في الباطن، فيقل له عمل الظاهر، أي يثقل بسبب ذلك، وهكذا السالك يتردد بين الحالتين، تارة في القبض، وتارة في البسط، من مقام إلى مقام، حتى يتبدل له القبض بالهيبة، والبسط بالأنس، فتخف عنه أكثر المشاق،التي كان يجدها قبل، ويبقى في المجاهدة كذلك ما شاء الله، ثم يرتحل من هناك إلى مقام أعلى منه، وهو مقام الكمال، فتتبدل هيبته بالجلال، وأنسه بالجمال، فيبقى ما شاء الله هنا قليلا، ثم تجذبه نفحة من نفحات الحق، من هذا المقام إلى مقام كمال الكمال، فينظر فإذا هو في مقام عظيم النور، قوي الشعاع، عظيم الخطر، سريع بإذهاب البصر،

نوره أطلس ليس فيه أثر، ولا خبر، ولا تعبير، فيخجل لذلك سره، ويتلاشى رسمه، ولا يشهد في ذلك إلا مشهد نور اسم الذات الجليلة، فيتداركه الله بلطفه، ويعلمه الأدب في حضرته، بالغيبة عن غيره، والبقاء في الحضرة السنية، وهذه الجذبة التي أتته عند انتهاء حاله، ونقلته بلطف من الله وحام إلى بقاء حضرته الذاتية المحض، هي الجذبة التي نقلت المجذوب نقلة واحدة من غير سبب موصل إلى ذلك، غير لطف الله، وجوده في ابتداء أمره، وانتهت به في أسرع من طرفة العين إلى غير ذلك الانتهاء، أي انتهاء السالك، ولذلك قالوا بداية المجذوب نهاية السالك، ولذلك قال بعض الحكماء تسبق أنوار المجذوبين أعمالهم، وتسبق أعمال السالكين أنوارهم، فحيث صار العمل لهؤلاء سابقا لنورهم، انحجبت عنهم الأنوار، وانكشفت لهم الأوزار، بشيء وقر في صدورهم، لحكمة أرادها الله منهم، فصاروا لا يرون في مقتضى أحوالهم إلا الأعمال، كما تقدم في سبب ذلك، فطال بهم السفر لأجل ما انتظروه في غير المقصود وهو الله، كما تقدم والله أعلم.

وأما المجذوبون لما أن سبقت أنوارهم أعمالهم بالسبب المتقدم ذكره معنى عند ابتداء التعرض للسبب يجذبهم الحق إليه، جذبة إلهية تهوى بهم في أسرع من حين إلى حضرة الله، أي تجليات الذات، وهو انتهاء السالكين المتقدم ذكرهم، وهذا معنى الفريقين، وكلهم على استواء واحد، وتقويم من الله، وهدى، والله أعلم، منحنا الله من بركاتهم وأعاد على جميعنا من فضلهم ومنّهم، وهو على ذلك قدير، وبالإجابة جدير.

الكلام في سالك مقامات التدريج:

ونرجع للكلام في سالك مقامات التدريج، وكيفية أحواله، وما يجري عليه من أقدار الإرادات السابقة في قدم الأزل، اعلم وفقك الله أن السالك هو المجتهد في العبادات بأنواع المجاهدات، تارة مع نفسه بحظه، وتارة مع ربه بتركه لذلك، تارة هكذا وتارة هكذا، إلى أن يقضي الله أمرا مفعولا، والسالك في سلوكه له حضرات عديدة، يستعد من كل حضرة هو داخلها إلى حضرة أعلا منها، يعني عند ابتداء أمره بالعبادات، والتهيئ لحسن معاملة الباطن، يحصل له الفكر في باطنه، والاعتبار في مصنوعات الله تعالى، وهذا أول حضور حضره مع الحق بعقله في عبادته، لقوله تعالى ﴿**أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ**﴾[1]، لأنه نظر الأشياء ثم بعد نظره تيقن بالدليل أنها مصنوعة لله عز وجل، ثم بعد تيقنه علم أنها دالة على صانعها وخالقها ومالكها، وهذه الحضرة يسميها أرباب المكنة والتمكين علم اليقين، يشهد لذلك قوله تعالى ﴿**كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ**﴾[2]، حتى إن حصل العلم واليقين في القلب يتقوى إيمان الباطن في الصدور، ويشاهد في سره مشاهد نورانية، وتطرقه في تلك المشاهدات حضرات مع الحق، يعني يرى الخلق في الحق، عكس ما كان عليه أولا،

---

1 الغاشية/ 17.

2 التكاثر/ 5.

يعني يستدل بالحق على الخلق، فيرى هنا الأفعال كلها صادرة من الحق، كما كان يراها أولا صدرت من الخلق، وهذا يستدل بالحق على الخلق، فيرى الحق في الخلق، والخلق في الحق، وهذه تسمى حضرة الأفعال، وهذا مقام عين اليقين لقوله تعالى ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾[1]، فيتحقق الأمور كلها من الله إلى الله، لا فاعل على الحقيقة إلا الله، فيغمره وجود حضرات الأفعال، ويهوي به إلى تمكن الحقائق الإلهية، وهنا تفنى صفاته البشرية أي الذميمة في صفة الحق القديمة الحميدة، ويعاين حق ذلك بالكشف والعيان، ويشاهد مقام الإسلام كشفا، ومقام الإيمان حالا، ومقام الإحسان عيانا، فتصير عبادته إسلاما، وإيمانا وإحسانا، فيعبر عن مقام الإسلام بالدليل وهو علم اليقين، وعن مقام الإيمان بنور الأسماء والصفات، وهو عين اليقين، وعن مقام الإحسان بنور تجليات الذات وهو حق اليقين، ومجمع هذا الخير في هذه الثلاثة مقامات، فمقام علم اليقين للعوام، ومقام عين اليقين للخواص، ومقام حق اليقين لخواص الخواص، وكل مقام من هؤلاء المقامات له عين من عيون الله، ينظر بها صاحبها أحواله، وتنكشف له بتلك العيون عجائب وغرائب، لا يحمل ثقلها إلا هو، وهذه الأمانة التي عرضها الله على السموات والأرض والجبال فابت على حملها، ولم تقدر على ثقلها، فحملها الإنسان لقوله تعالى ﴿إِنَّا عرضْنا الْأمانة﴾[2] الآية إلى قوله ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾[1]، أي معرضا

---

1 التكاثر / 7.

2 الأحزاب / 72.

للمحن والمعاطب، والقواطع، وجميع البلايا والسموات والأرض والجبال لم تقدر على ذلك كله، ولم تطق حمل هذه الأثقال، سراء كانت أو ضراء، فلطف الله بها، وخفف عنها هذه المشاق لطفا منه، وشفقة ورأفة بخلقه، يشهد لذلك قوله تعالى حيث قال له موسى ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَـكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾[2]، ظاهر الآية يدل على أن نور الألوهية حيث نزل أي حل بالجبل لم يستقر مكانه، أي دكّ وهلك من الهيبة والعظمة، بحيث لم يطق حمل ذلك، ولم يقدر عليه، وحيث دك الجبل خر موسى صعقا، والسر في ذلك أنه لما أن طلب موسى الرؤية في غير وقتها، فسلط الله عليه الصعقة تأديبا له، وتربية لحاله، وحيث فاق من غشيته نال بغيته معه، واطمأن قلبه بربه، وقوي إيمانه، وانشرح صدره لحمل الأمانة، وهو سر الألوهية، فأغناه ربه بمشاهدة قدرته في تلك الصعقة، عن رؤية الذات، وصارت له بدلا من الرؤية، فصار حاملا لهذا السر شيئا فشيئا حتى حصل له الكمال معه، واتصف به معنى، وصار أقرب إليه من نفسه إلى جنبه، ومن نور بصره إلى بصره، فعند ذلك قوى باطنه لحمل هذا السر الإلهي، وزال عنه الضعف، فصار قلبه محلا لتجليات الحق سبحانه دائما، وهذا دليل على ان هذا السر الماصون[3] لا يطيق حمله إلا الإنسان الكامل، وغيره لم يطق ذلك

---

1 الأحزاب/ 72.

2 الأعراف/ 143.

3 ط، م: كذا ولعله: المصون.

لأنه سر عظيم لا يحمله إلا من عظمه الله واصطفاه، من بين خلقه، وإلا فيهلكه من الهيبة كما هلك الجبل وغيره، والإنسان في حالة ضعفه لم يطق حمل هذا السر، وإذا تجلى له ربه دك وهلك من الهيبة، حتى إن ثبت قلبه مع الحق، وانتقل إلى الرتبة الكاملة ثبت مع الله، وحمل سر التجليات، بحيث لم يهلك منه شيء قط، بحول ا لله وقوته، وهذا شأن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، واتباعهم، وشأن الأولياء كذلك وأتباعهم، كما مر بيانه في ذكر الولادة الموروثة من آدم إلى الأصلاب، ومن صلب إلى صلب، ومن قلب إلى قلب، إلى أن تقوم الساعة كما هو مذكور في سيدي عبد الرحمان باش تارزي، في إرث الولادة، بدليل قول عيسى عليه السلام "**ليس منا من لم يولد مرتين**"[1]، ولقوله عليه السلام "**لم يلج ملكوت السموات والأرض من لم يولد مرتين**"[2]، وهكذا إلى أن قال في الأنبياء فمنهم من أتباعه كثير، ومنهم من أتباعه قليل، وكذلك الأولياء فمنهم من أتباعه كثير، ومنهم من أتباعه قليل، ومنهم من هو عقيم، الخ، أو كما قال[3]، والله أعلم.

1 لم نعثر عليه في أي من كتب الحديث.

2 لم نعثر عليه في أي من كتب الحديث.

3 ط، م: ما قال.

العيـــون:

ونرجع للعيون المذكورة وهي عين حضرته، وسر حقائقه فبعلم اليقين يتوصل إلى عين اليقين، وكلهم عيون، غير أن كل عين تبصر بقدر نورها ويقينها كما ذكرناه، وعين اليقين هي العين الكاملة المزيلة للتلبسات كلها، والظنون القادحة في الباطن، بحيث لم يبق للحق إشكال في السر ولا تلبس، يشهد لذلك قول الأعرابي لرسول الله صلى الله عليه وسلم حيث جاءه وطلب معه الكلام في شأن المعجزتين المخلوقتين من قبل خلق آدم عليه السلام، وشاهد منه ذلك، وقال له: أمدد يدك يا رسول الله أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك محمد عبده ورسوله صلى الله عليك وسلم لا شك بعد عيان، ولا كفر بعد إيمان، فسر المصطفى صلى الله عليه وسلم بإسلامه، وقال فقهوا الأعرابي.

فانظر سيدي لمعنى هذا السر العظيم ما أجل مقامه، وما أعظم قدره عند الذائقين طعمه، العارفين أحكامه المحققين نزوله، وهذا معنى حضرات السالك[1] في سيره، لأن كل مقام له حضرة، وكل حضرة لها لذة، وكل لذة لها فناء، وكل فناء له بقاء، وكل بقاء له دوام، ودوام حضرة تجليات الذات أعلى الحضرات، وأرفع الدرجات، وأعظم القربات، وهذا هو مقام حق اليقين، لقوله تعالى ﴿إِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾[2]، وهو أرفع مقامات

---

1 م: السالكين.

2الحاقة/ 51.

السالكين، وسدرة انتهائهم، أي منتهى أمرهم، والمقامات تختلف باختلاف المراتب والأحوال، كل له مقام، وكل مقام له مقال، فمنهم من يكون محجوبا، ومنهم من يكون مكاشفا، ومنهم من يكون محققا، ومنهم من يزول عليه الحجاب، فيكون مكاشفا ومشاهدا ومحققا، يعني فالمكاشف هو الذي انكشفت له صعائب نفسه، واشتغل بتنقية عيوبه، والمشاهد هو الذي شاهد الحق حقا، والباطل باطلا، والمحقق هو الذي تفتقت له حجب الأسرار، وتمكن سره من الحقائق المكنونة في علم غيبه، وبقى بالحق روحانيا مع الروحانيين، فهذا عبارته أعلى العبارات، وإشارته أرفع الإشارات، وتجلياته أمكن التجليات، وقربه أحق القربات، لأنه قريب من الحق، بعيد عن الباطل، أي فانٍ هالك في وجه الحق، لقوله تعالى ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ**﴾[1]، أي إلا وجه الحق، ووجهه[2] إقبال تجليات نور الذات عليه، وفي معنى هذه الآية له[3] وجوه كثيرة، ولكن اختصرنا على الوجه اللائق، وهو وجه الحق، كما ذكرنا، والله أعلم.

---

1 القصص/ 88.

2 م: ووجه.

3 كذا في ط، م. والأولى حذف "له".

أهـــل المقـــامـــات:

وأما أهل المقامات فتختلف عباراتهم وإشاراتهم باختلاف الأحوال، كما ذكر كل منهم بحسب شربه، لقوله تعالى ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾[1]، فمنهم من يصل إلى العبارة ولا يفهم لها معنى، وإن عبر عن ذلك حجب عن ما كان يشهده، ومنهم من يصل إلى العبارة ويفهم معنى ذلك، ولا يقدر أن يعبر عنها باللسان، وإن عبر عنها لم يصادف محلها، ويذهب عنه الفهم فيها، ورجع على ما كان عليه أولا، ومنهم من يصل إلى العبارة ويفهم معناها، ويعبر عنها باللسان، وهذا أوصل العبارة بالله وفهمها عن الله، وعبرها لله فصارت إشارته بالله، وفي الله، وعن الله، وإلى الله، فهذا مأذون في عبارته، فله أن يعبر عن كل المقامات بحيث لا يحجبه مقام عن مقام، ولا عبارة عن عبارة، ولا إشارة عن إشارة، وغيره مما ذكر لم يؤذن له في التعبير، وإن عبروا حجبوا، وإن أشاروا اقتصروا، وإن فهموا هاموا، فالأولى لهؤلاء التسليم لما يرد عليهم، حتى يحصل لهم الإذن المذكور، وإلا رجعوا ناكسين على أعقابهم، كما تقدم، لأن السالك المجتهد مهما يترل مقاما أو يرد عليه وارد[2] من الحق إلا ويظن أنه وصل إلى حد الغاية، والأمر بخلاف ذلك، وإنما الغاية الوصول إلى المقصود،

---

1 البقرة/ 60.

2 ط، م: واردا.

وعلامة ذلك الخروج عن ما سوى الله تعالى، وعدم الانتظار لحظوظ النفس معنى، بحيث لم تبق له لذة للوصول، ولا شوق للمقامات، حتى لم يعده لنفسه مقاما أبدا، وهذا يشهده حالا وذوقا، أي خلقا وخلقا لا علنا واعتقادا فقط.

فشمر سيدي عن ساقك، واسحق تلحق، لأن من جد وجد، ومن شاق ذاق، ومن سحق دابته لحق رفقته،، والسحق هنا هو العزم والجزم في الجد والاجتهاد من غير تراخ ولا تأنٍ، مع مخالفة النفس ومحاسبتها في كل الأوقات، ولا تغرك نفسك، وتقل لك الطريق عنك بعيد، وامتاز بها أهلها قبلك، وسبقت لهم سوابق من الخير ففازوا بذلك وأنت لم يلحقك من هذه القسمة شيء، ولو أراد الله بك خيرا لرزقك مثل ما رزقهم، ولكنه الراحة لك أولى، لا تتعب نفسك، والذي قسم لك من الخير يلحقك من غير مشقة، نعم فهذه هي الشقاوة بعينها أعاذنا الله من ذلك، والعبارة[1] والحجاب الأعظم الذي بينك وبين ربك، ولا حجاب أعظم من هذا الخطر العظيم، والله تعالى قال في كتابه العزيز ﴿**فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ**﴾[2]، وأنت كذبت بهذا الوعد وحجب عنك معناه، وصدقت بوعد نفسك ودسائسها، والنفس لم تعلم ما أخفي عنها من الخيرات، ولم تطلع على شيء البتة، والله لا يخلف الميعاد، وهي تخلف الوعد من كل وجه، لأنها أمارة بالسوء، وكيف تقبل منها كلاما،

---

1 ط: الغباوة.

2 السجدة/ 17.

وتذعن لحديثها وتنسى وعد ربك وفضله، وهذا منك جفاء، حيث خالفت الوعد في كتاب ربك، واتبعت وعد نفسك الكاذب الخسيس، الذي لم ينفعك بشيء، تريده من الحظ، ولا يزيدك ذلك إلا بعدا[1] من ربك، وقربا من حظوظ نفسك، ولا يظهر لك في هذا المنوال إلا التعب والمشقة حسا ومعنى، أما الحس تعب البدن في أسباب الدنيا، وتعبه في بعض الأعمال من الطاعات، من غير أن تخف عنها مشقة في ذلك أبدا، وأما تعب المعنى فهو اهتمام الباطن في الأرزاق، والإشراف على تلك الأعمال في الحظوظ المعجلة، من دين أو دنيا من غير ثقة بالرازق في ذلك، لم يحصل له ما أراده، ولم يحصل سوى التعب والعناء والمشقة فيما هو قاصده، ولو صح لصحت الثقة بالله في كليات أحواله، والتوكل عليه في كل الأمور، وسعى فيما عند الله، وترك ما عند نفسه، واعتمد[2] على وعد الله تعالى حيث سمعه، قال في كتابه[3] العزيز ﴿**وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ**﴾[4]، ولما أن كانت إرادته فاسدة، واعتقاده غير صحيح، وباطنه خاليا من نور الإيمان، أساء الظن بالله، وأحسن الظن بنفسه، وترك ما عند الله فيما عند نفسه، ولو أحسن الظن بالله، وصدق بما جاء به

---

1 م: بعد.

2 م: ولحظ.

3 م: قال الله تعالى.

4 الطلاق/ 2.3.

رسوله، وأساء الظن بنفسه، لأيقن بالدليل والكشف، ولاجتهد[1] في عبادة ربه حق اجتهاده، وأخلص العمل لله، وصار يعمل على مقتضى الحكمة في ذلك من غير انتظار، ولا تشوف لحظ نفس، وإنما انتظاره وتشوفه لأحكام الله الجارية عليه، لا أحكام نفسه العارية فيه، والحكمة هنا في ذلك العلم في أحكام الله والفهم في ذلك، فيصير عالما بالله، راضيا بما أراده عليه، فاهما بمقتضى الحكمة في ذلك، يعني عالما بما جاء به الكتاب، وجاءت به السنة، وفاهما متيقنا بمقتضى حكمتهما جميعا، للمطابقة لهما[2] من غير اختلاف أحدهما على الآخر، وهذا مقام خاص بأهله، لا يدخله إلا من اتصف بهذه الأوصاف المذكورة، ومن اتصف بهذه صار له العمل حالا ممزوجا به، لا طبعا، والحال يعني هو الشيء المختلط بصاحبه الممزوج فيه، حتى يصير ذلك الشيء أي الحال هو القائم الناهض بصاحبه، من غير تكلف ولا حصول مشقة، بل يجد في ذلك خفة ولذة وشوقا لنهوضه، وهو حال روحاني، بخلاف الطبعي او الطبيعة، لأن صاحب الطبع البشري متوقف على مقتضى بشريته، ولا يتأتى له فعل الخيرات إلا بجلب أو انتقال من حال إلى حال آخر، أي من طبيعة خسيسة إلى طبيعة حسنى مع وجود المشقة في تلك المكابدة والمجاهدة والمخالفة، وهكذا حاله إن وافق الحكمة المذكورة، عمل على مقتضى

---

1 ط: الاجتهاد.

2 م: لها.

علمها[1] وآداب أحكامها، حتى يصير له الطبع البشري طبيعة، أي حالا متمكنا منه كما ذكرناه، فعند ذلك تزول عنه المشقة والعناء في أعمال القلب والبدن، ويصير حاله حال الروحانيين نورانيا سريا حقيقيا[2]، وحال الصنف الأول هو حال الحيوانات مع أن الصورة صورة الروحانيين بالعمل، والثمرة ثمرة الحيوانات، وهي الطبائع البشرية أي أجناس معاملات الباطل الخسيسة، وهذا حال الفريقين، والله تعالى قال في كتابه **﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾**[3]، يعني فريق في الجنة أي جنة الأعمال، وهي خفة المشاق، في العمل، ووجدان الراحة واللذة والتنعم في ذلك، وفريق في السعير أي في العذاب وهو مشاق العبادات، وأنواع المجاهدات، وأصناف المخالفات، إلى غير ذلك، مما يطلق عليه[4] اسم العذاب، وهذا معنى الفريقين، والله أعلم.

أما الفريق [الأول] يصدق عليه قوله تعالى **﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾**[5]، جنة في الدنيا وجنة في الآخرة، أما الجنة في الدنيا وهي التلذذ والتنعم بالطاعات كما ذكرناه، وجنة في الآخرة وهو النظر إلى وجه الله تعالى، وهذا معنى باطن الآية، وأما ظاهرها يدل على أن الجنة الأولى التي

---

1 م: عملها.

2 م: حقيقا.

3 الشورى/ 7.

4 م: عنه.

5 الرحمن/ 46.

تكون في الدنيا للمؤمن وهو مقامه يظهر له قبل خروج روحه من الدنيا في الجنة، والجنة الأخرى أي التي تكون للمؤمن في الآخرة وهي جنته أي منزله في الجنة، فصار له جنتان جنة في الدنيا، وجنة في الآخرة، وكملت له في الآخرة، والله أعلم.

وأما معنى الفريق الثاني يصدق عليه قوله تعالى **﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً﴾**[1]، وهذا الفريق ورد على ناره في الدنيا فلم تكن له نار في الآخرة، بل ورد عليها وأحرقته نار المخالفة، وحرها أشد النيران، لأنه لو خير إنسان أن يدخل النار يحترق من حينه ويفنى، أو يبقى في مخالفة النفس طول عمره لاختار الأول، وهو الاحتراق، على الثاني، وهو مخالفة النفس مدة العمر، والله أعلم.

وعليك سيدي بمخالفة النفس، ومكابدتها لتأخذ حظ نصيبك من نار المخالفة في الدنيا، وتحاسب في ذلك، وتستريح من عذاب الآخرة وحسابها، لأنك وديتها ذلك كله في دار الدنيا، ورحلت للآخرة كيوم ولدتك أمك، يعني تروح لها بلا ذنوب ولا حساب عليك ولا عقاب، وتكون من الذين قال في حقهم النبي صلى الله عليه وسلم **"ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا نشورهم كأني أنظر إليهم عند الصيحة ينفضون رؤوسهم من التراب ويقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور"**[2] أو كما قال صلى الله عليه وسلم.

---

1 مريم/ 71.

2 أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عمر مرفوعا.

فانظر سيدي لهذه الطائفة كيف صدقوا بوعد ربهم، وأخذوا في الاجتهاد فاستنصروا لربهم فنصرهم الله نصرا عزيزا، فمنهم من وفي حسابه في دار الدنيا، وورد على النار بالوصف المذكور، ونصب إليه الميزان، فرجحت كفة حسناته بخطاياه وسيق به إلى الصراط أي مناقشة الحساب، فتجاوزه في أسرع من طرفة العين، وحيث جاوز الصراط نودي عليه من تحت العرش ارفعوا الحجاب بيني وبين عبدي، فإن اليوم ليس بيني وبينه حجاب، وإذا النداء من قبل الله تعالى: عبدي حاسبت نفسك قبل أن نحاسبك، وأخذت حظ نارك في الدنيا قبل أن تأخذه في الآخرة، ورجح ميزانك وجزت صراطك ولا بقى لك اليوم إلا الجنة، فأسروا به يا ملائكتي إلى الجنة فيخجل[1] الإنسان لذلك، ويتلجلج لسانه في فمه، فزعا وهيبة من الله، فيقول له العبد يارب كيف وانا أفنيت عمري في حبك وطال ما اجتهدت في رضاك، وقتلت نفسي عن شهواتها، وخالفتها عن هواها، وكل هذا منك وبوفق مرادك، وأنت تطردني عن بابك، وتقول اذهبوا به إلى الجنة، والله ما الجنة أردت، ولا لحور العين اشتقت، ولا للخلود فيها سررت، ولا بعبادتي إلى ذلك قصدت، وإنما أنا بك أنست، وبغيرك أوحشت، ولرضاك في علمي أخلصت، فالمقبول من أنت عنه راض، ولو إلى النار سقت، والمحروم والمطرود من أنت عنه غضبان غير راض، ولو إلى الجنة أدخلت، فيقول الرب جل جلاله: دعوا عبدي إلي يا ملائكتي فإني الآن إليه اشتقت، وبصدقه إلي دنوت، ولا أكله اليوم إلى

1 م: فيخلج.

غيري، فيتنعم العبد حينئذ بحضرة ربه السنية، وينسى عند ذلك نعيم الجنة، وحظوظ نفسه، بحيث لا يخاف من عذاب، ولا يفرح لنعيم الجنة، بل استغنى بوحدانية الله تعالى، وصار الكون كله محتاجا مفتقرا إليه، وهو غني عنه، بتجليات ربه، **فهذا معنى محاسبة الأنفاس في الدنيا بالمجاهدات**، لقوله صلى الله عليه وسلم "حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا"[1]، ومرورها على النار بالمخالفات لقوله تعالى ﴿**وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا**﴾[2]، وفناؤها أولا هو موتها على الشهوات، لقوله صلى الله عليه وسلم "**موتوا قبل أن تموتوا**"[3]، ورجحان ميزانه هو اتباع المشروعات، وجوازه عن الصراط هو العمل بما في الآية، لقوله تعالى ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا**﴾[4]، والجنة التي قال فيها الله اذهبوا به إلى الجنة هي الأسرار والكرامات، والوقوف مع الكمالات، وغاية المرادات، وأصول السعادات، الخ، فامتنع الإنسان عند مشاهدة نور الذات أن يقف عند كون هذه الجنات، وحيث عرضت عليه الأسرار اشتاق إلى نور التجليات، فأغناه الله به عمن سواه، وأبقاه في تجليات الحق ما أبقاه، وغيبه عن الكون حتى تمكنت أوصافه بأوصاف المكون، ثم أظهره فيهم، واشتهر أمره عليهم، فصار مع الله بقلبه، ومع الخلق ببدنه، فصارت الخلق

---

1 أخرجه الترمذي

2 مريم/ 71.

3 قال العسقلاني أنه غير ثابت.

4 الحشر/ 7.

لا تحجبه عن وحدانية الرب، ووحدانية الرب لا تحجبه عن كثرة الخلق. فصار مع الحق ومع الخلق، يعني لا تحجبه كثرة، ولا وحدة، وهذه أعظم الدرجات عند الله وأرفعها، وهذا هو القسم الأول الذي[1] ذكرناه، وقال في حقه صلى الله عليه وسلم "**لن يرى أحدكم ربه حتى يموت**"[2]، وقال الله تعالى في ذلك ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾[3]، وهذا القسم قد مات وقامت قيامته، وحاسب حسابا يسيرا، وادخل الجنة، وصارت له الجنة مترلا، والنظر إلى الله حالا، لأن الحال عند أرباب المكنة أرفع من المترل، والمترل هو مترله أي رتبته التي هو مقيم فيها ببدنه، أو بمقتضى حكمه الذي كان هو عليه في المملكة، والحال بخلاف ذلك، لأن الحال هو التمكن من الحق، بمقتضى الزيادة والاستمداد من ذلك، والحال يطلق على أشياء كثيرة بمقتضى الزيادة فيه، يعني هذا تصير له المقامات والكرامات والأسرار والكمال مراتب كسبية، يكتسبها بفضل الله، بالأعمال الصالحات، ببذل المجهود.

فانظر رحمك الله شتان بين هؤلاء وهؤلاء، القسم الأول أخذوا في المراتب بالأعمال الصالحات حتى اكتسبوها مقاما بعد مقام، وأحد كسبهم في ذلك الفناء على الكون، والبقاء مع المكون، والأحوال لما أن كانت هبة

---

1 ط: التي.

2 رواه مسلم والترمذي.

3 القيامة/ 22،23.

4 ط، م: هيبة.

من الله تعالى لم تدخل تحت حصر، وكلت الألسنة عن النطق فيها، وقصرت العبارات عنها، غير أن أهل الصوفية يشيرون في بعض من ذلك بحسب ذوق السالكين، في تلك الأحوال، من غير أن يعرفوا لها حدا، ولا يجدوا لها حصرا، كما أشار سيدي مصطفى البكري إمام الطريقة في كتابه إلى ذلك، وقال المقامات مكاسب، والأحوال مواهب، فانظر الفرق بينهما الكسب ما اكتسبه الإنسان بالاجتهاد المذكور، والمواهب ما وهبه الله له من غير عمل ولا اجتهاد، فصارت المواهب هنا أرفع وأمكن وأحق من المكاسب على الإطلاق، لأن الأعمال ناظرها العبد حيث عملها وسلكها هو بمعونة من الله، واستعانة منه، والمواهب ناظرها الله حيث أهداها[1] لعبده ووهبها له، من غير علة، فأين عمل عملت أنت لله باختيار نفسك فيه، من موهبة أهداها الله لك باختياره؟ وهذا معنى المقامات والأحوال، والله أعلم.

وأهل القسم الثاني لم يوفوا حسابهم في دار الدنيا، وماتوا على الاجتهاد، وبقيت فيهم حظوظ النفس الأمارة بالسوء، وهم على ثلاثة أقسام، القسم الأول منهم يطول بهم المرض، وتترادف عليهم الأسقام، حتى يبلى لحمهم، ويضمر دمهم، ولا يبقى منه إلا الجلد على العظم، بسبب الحمى، فهؤلاء لا تخرج أرواحهم حتى يأخذوا حظهم من النار، بذلك السبب لقوله صلى الله عليه وسلم "**حض المؤمن من النار الحمى**"[2]،

---

1 ط، م: هداها.

2 رواه الألباني والعقيلي.

وتنقهر نفوسهم بتلك البلايا، ويصير ذلك حسابهم وعقابهم رحمة من الله بهم، وشفقة عليهم، فتخرج أرواحهم، وليس يبقى عليهم ذنب يحاسبون عليه، وإن بقيت لهم بقية فيكمل في القبر بتلك الأهوال، أي أهوال القبر عافانا الله وإياكم من فتنة القبر وعند بعثه يقوم من قبره فرحا مسرورا، ويحشر مع الصديقين والشهداء والصالحين.

وأما القسم الثاني فهم الذين يعملون الحسنات والسيئات، قال الله تعالى في ذلك ﴿**خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ**﴾[1] الآية، هؤلاء إن ماتوا على تلك الحالة بقوا في المشيئة إن شاء عذبهم، وإن شاء رحمهم، وهو الغفور الرحيم.

وأما القسم الثالث فهم أصحاب الشمال أعاذنا الله من ذلك، وهم أهل البطالة والجهالة والكبر والعجب والرياء والغضب والحقد والتراخي عن أفعال الخيرات، والتأني عن أداء الواجبات، والإسراع لأفعال المنكرات، والرغبة في حب الدنيا، والزهد في الآخرة، هم الذين قال في حقهم الله تعالى ﴿**وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاَّ قَلِيلاً، مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَـؤُلاء**﴾[2]، وهذا القسم باقٍ في وعيد العذاب إلا ما رحم ربي لقوله تعالى ﴿**إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ**

---

1 التوبة/ 102.

2 النساء/ 142،143.

الْعِقَابِ﴾[1]، يشهد لذلك قوله تعالى **﴿مَنْ عمل صالحاً فلنفسه ومنْ أسَاء فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾**[2].

أما القسم الأول فهم المقربون، وأما الثاني فهم عامة الأبرار، وأما الثالث فهم الأبرار، وأما الرابع فهم عامة الخلق، والله لا يضيع أجر المحسنين لقوله تعالى **﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾**[3]، وقال في ذلك "**هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي وهؤلاء إلى النار ولا أبالي**"[4]، يشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم "**الشقي من شقي في بطن أمه، والسعيد من سعد في بطن أمه**"[5]، وقال في ذلك "**جف القلم بما هو كائن**"[6]، يشهد لهذا قوله تعالى **﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾**[7].

اعلم وفقك الله لطريق الخير أن الله لا يخلف الميعاد، وهو صادق في وعده، لا يخلف وعده، والنبي صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى، وكل ما أخبرنا به فهو حق من الحق إلى الخلق، خبر صادق، ووعد محض، ونور لائح، وسر واضح، أوضح نور الهدى بمشروعاته، وأذهب حجج الشرك بكلمات ربه، والله المعطي خير الدنيا والآخرة وهو القاسم فيهما

---

1 الحشر/ 7.

2 فصلت/ 46.

3 هود/ 105.

4 رواه الألباني والعقيلي.

5 أخرجه مسلم (السعيد من وعظ بغيره)

6 أخرجه أحمد وابن حجر في فتح الباري.

7 الأنبياء/ 23.

يشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم **"الله المعطي وأنا القاسم"**[1]، والمراد في ذلك أن الله معطي خير الدنيا، وهو الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر، وما يقوم بأحكام الدين، من واجب، ومكروه، ومستحب، وأنا القاسم أي قاسم ذلك وموضحه للأمة أشد توضيح، حتى لم يبق في ذلك إشكال ولا التباس، والله معطيه بنزول الآية، وأنا قاسمه بفنون المسنونات، أو الله معطيه بزوال الحجاب، وأنا قاسمه بفصل الخطاب، أو الله معطيه بالأمر والنهي، وأنا قاسمه بالتبليغ والتحريض عنه، أو الله معطيه في سابق الأزل، وأنا قاسمه عند آخر الملل، أو الله معطيه بالفضل والجود، وأنا قاسمه ببذل المجهود، أو الله معطيه بجفوف القلم، وأنا قاسمه بصلة الرحم، أو الله معطيه بحسب الشرب، وأنا قاسمه بحسن الأدب، لقوله تعالى ﴿**قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ**﴾[2] الخ، وكل ما أعطاه الله لهذه الأمة فهو مقسوم على يده، صلى الله عليه وسلم إلى أقسام محسوسة، وأقسام معنوية، فالمحسوسات كالواجبات، والمستحبات والمندوبات، والجائز والمكروه، يعني الحلال والحرام والربا، وغير ذلك مما يطلق عليه الأمر والنهي، وهذه الأقسام منه صلى الله عليه وسلم شرائع سنها من ظاهر الكتاب، وأما المعنويات فهي عبودية للربوبية، ولكنها تدريجات من الحقائق مستعملة في البواطن، ولها علم في أحكام الله، وفهم في مراد الله، وتفويض لأمر الله، وهذا كله مطابق للكتاب والسنة، غير أن هذا يسمى حقيقة، والأول

---

1 أخرجه البخاري.

2 البقرة/ 60.

يسمى شريعة، والكل سواء، وهذه الحقيقة قسم عطيتها كالأول، حيث
لم يبقى لأحدهما حق لوداه، وصار هو القاسم لهما، ولم يخرج من الدنيا
إلا وفّى قسمتها، وبين الحق حقا، والباطل باطلا، واستقام الدين، وتم
حاله، بدليل قوله تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ
نِعْمَتِي﴾[1]، الدين هو الكتاب، والنعمة هي السنة، كما تقدم، وأما عطيته
في الآخرة فهي الجنة، وقاسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم
في قسمة الدين في الدنيا، وهو القاسم لها بالأحكام الشرعية، والحكمة في
ذلك لله أن وفّى أحد بتلك الأعمال والأحكام المشروعة في الدنيا كلها
تمت له قسمته في الجنة، ونال حصته منهما، وإن لم يوف بتلك الأحكام
يعني وفى بالبعض دون البعض نال من الجنة بحسب ما اقتضاه من الحكمة،
ويكمل الباقي من عقاب الله، ثم يدخل الجنة إن قدر له بذلك، وإن لم
يوف من ذلك شيئا أي من تلك القسمة لم يكن له حظ في الجنة، وليس
له سبيل إليها، حتى يدخل النار، ويعذب فيها عذابا شديدا، ثم بعد ذلك
إن كان له مثقال حبة من خردل في قلبه من الإيمان فيخرج من النار،
بسبب ذلك، وببركات لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه
وسلم، ثم يدخل الجنة بحسب إيمانه، وإن لم يكن له إيمان أي شهادة أن لا
إله إلا الله محمد رسول الله خلد في النار والعياذ بالله، وشهادة أن لا إله
إلا الله محمد رسول الله من أعظم الأقسام التي قسمها في تلك العطيات،

---

1 المائدة/ 3.

ولكنه بشرط أن تكون معه الأحكام الشرعية، وإلا فلا يصح لقائلها نماء الإيمان إلا بالشرط المتقدم ذكره، وإلا فلا، وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم "**الله المعطي وأنا القاسم**"[1]، والله أعلم.

فعليك سيدي باتباع الأمر والنهي، والإسراع لنوافل الخيرات، عسى ولعل تكون من الذين قسم لهم قسمة على يد سيّد الوجود، وهو أبو القاسم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالسعيد من أدى قسمته في تلك الأحكام، وعمل بمقتضى أمرها في الحال، والشقي من حرم ذلك، ولو اطلع على فنون الأحكام العقلية والنقلية، والعقائد الرسمية، ولم يبلغ الفهم فيها عن الله، والعلم بالله والعمل لله، لم ينفعه ذلك، وإنما مثله ﴿**كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله**﴾[2]، فكن سيدي ببال من نفسك، ولا تهملها في مرادها في دار الفناء، وتحرمها الخير الدائم في دار االبقاء، ولا تشتغل بالأضداد، وكل ما يلهيك عن طاعة ربك، وإن اشتغلت بهذا عوقبت في الحال، بظلمة قلبك، لقوله تعالى ﴿**وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا**﴾[3]، ولا تطع أي لا تشتغل بالذي أغفل قلبه عن ذكرنا واتبع هواه، أي متبع لشهوات نفسه، وكان أمره فرطا أي أمره مفرطا فيما عندنا، غافلا عليه، حاكما فيما عند نفسه، معتمدا عليه، لا تتبع هذا أيها المريد الصادق، ولا

---

1 أخرجه البخاري.

2 الجمعة/ 5.

3 الكهف/ 28.

نعمه، وإن أطعته واتبعته ال ملك أمره إلى نار طبيعته، وخلفت خلفه، ومسّت نار طبيعته، لقوله تعالى **﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾**[1]، يشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم "من عاشر[2] قوما أربعين صباحا تخلق بخلقهم"[3] الحديث، أي تخلق بما هم عليه من الأخلاق الذميمة، والأوصاف اللئيمة، وقال تعالى **﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾**[4]، ظاهر الآية يدل على أن قول الحق هي كلمة التوحيد، وهي لا إله إلا الله، وأمر الله تعالى نبيه عليه السلام أن يقولها[5] وهي كلمة الحق، ويأمر بها الخلق، وهو عليه بتبليغها، والله مجاز بالثواب عليها أي من صدق بها وآمن بحقيقتها، وصدق بمن جاء بها وآمن بحقيقته، فهذا مؤمن بالله وبرسوله حقاً، وقادته المشيئة للإيمان أي مشيئة الله تعالى نفسها سبب مشيئة العبد، لما أثرته قدرة القادر، وهذا معنى قوله تعالى **﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن﴾**[6] الضمير هنا عائد على مشيئة الله لا مشيئة العبد في نفسها، وقوله **﴿وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾**[7]، كالمشيئة المتقدم ذكرها أولا، يعني أن الله أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول الحق من الحق

---

1 هود/ 113.

2 م: عشر.

3 لم نعثر عليه في أي من كتب الحديث.

4 الكهف/ 29.

5 م: يقولوها.

6 الكهف/ 29.

7 الكهف/ 29.

إلى الخلق، ويبلغه كذلك، والله أجرى مشيئته في خلقه، وهو سبحانه إن أراد دخول العبد في الإيمان، وكانت له سابقية خير في ذلك يوفقه للهداية، ويدعى العبد بذلك التوفيق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويؤمن به، ويصدق بتبليغه، فعند ذلك تحصل له مشيئة الخير منه، ويدخل في الإيمان على يده صلى الله عليه وسلم بسبب قول الحق، من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكذلك من سبقت له مشيئة غضب من الله أعاذنا الله منها، فتكون له سببا لعدم الإيمان بالله، ولفساد اعتقاد باطنه، فيصرفه اعتقاده الفاسد إلى الكفر بالله وبرسوله، فيمتنع عند كلمة الحق من الخير، ويقبل بكفره على الشر، من حيث لا يشعر بذلك، وهذا سبب مشيئة العبد في الكفر والإيمان، وكل ذلك بمشيئة الله تعالى كما تقدم، وقول الحق من رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلق على أقسام كثيرة، ولمن أتينا منه بما يتبادر في العقل من كلمة الحق، وهي لا إله إلا الله، وما عداه من الأقسام فهو كثير، ومذكور في الكتب، واختصرنا فيه على حد الكفاية، والله أعلم، وهو الموفق لما فيه رضاه، والميسر لحصول الخير من حيث قضاه.

كذلك أنت أيها المريد قل الحق من ربك، ولا عليك فيمن خالفك، أو من لم يقبل منك، أو من لم يقبل عليك هذا، يعني ما يظهر لك من الخلق في الظاهر، وما يهجس لك في الباطن، مما يخالف فيه أمرك أمرهم، بل كن ثابتا مع الحق، ولا عليك في مخالفة الخلق لك، لأنهم لا يقدرون أن يغيروا ما بك من شيء إن ثبت قدمك على الحق، ولو اتفقت أهل

السموات والأرض أن ينقصوا منك قدر ذرة مما أنت عليه لا يقدرون، هذا إن كنت ثابتا مع الحق، ومثل هذا إن كنت مع الباطل، أي مع غير الله إن اتفقت السماء والأرض مثلا أن ينفعوك بشيء لم يقدروا لأن الضار والنافع هو الله، وأنت اتبع الحق، واترك الخلق، فيما هم عليه، لقوله تعالى ﴿**قُلِ اللّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ**﴾[1]، أي قل الحق بلسانك وهو الله، ودع الخلق تقل فيك، لقوله صلى الله عليه وسلم "**اذكر[2] الله حتى يقولوا مجنون**" أو قل الله بقلبك وذر الهواجس أي ألقها[3] وراء ظهرك، في خوضهم يلعبون أي فيك باضطرابهم يخاطبون، وبلهوهم لك يلعبون، وأنت عنهم مدبر، وإلى ربك مقبل.

وعليك سيدي بالاقبال على ربك بالأمر والنهي، والإدبار عن غيره بالزهد فيه، لأن العمل لا يقبله الله حتى يكون خالصا له من الشرك، والقلب لا يقبل عليه حتى يكون فارغا من غيره، ولا تدنس قلبك بالغير سيدي، بل فرغه، وأصلح شأنه، وهيئه لنزول الأنوار فيه، حتى إن أتته الأنوار تجده فارغا من الشواغل، فتدخل باطن القلب وتملأه بالنور، فيتقوى إيمان القلب حينئذ، ويصير القلب بذلك النور والإيمان أسيرا عدلا مالكا حاكما في جنوده، ويصير البدن منقادا له، وحيث صلح القلب صلح البدن لقوله صلى الله عليه وسلم "**بضعة في الجسد إذا صلحت**

---

1 الأنعام/ 91.

2 ط: اذكروا.

3 ط، م : ألقهم

صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب"[1]، فعليك سيدي بصلاح قلبك بمعاملة السر والعلانية، في إخلاص العمل لله، تربح تجارتك، وتنجح إرادتك إن شاء الله، وكن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل لقوله صلى الله عليه وسلم **"طوبى للغرباء من أمتي قالوا ومن الغرباء يا رسول الله، قال الذين إذا فسد الزمان صلحوا"**[2]، وأنت أيها العبد المسكين لا تجعل الدنيا أكبر همك، وترغب فيها بطول الأمل، وأنت عن قريب سترحل منها، وتزهد في الآخرة، وتتهاون في[3] الاستعداد لها، وهي دار قرارك، ومسكن خلودك، وهذا من الغرور منك، والله تعالى قال في ذلك **﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾**[4]، فانظر إلى السلف الصالح لما أن عرفوا وأيقنوا بعاقبة أمرها لم يغتروا بظهور غرفتها، ولا بزينة محاسنها، فزهدوا[5] فيها، وخلفوا زخرفها لأهلها، ومظاهر محاسنها، للراغبين فيها، فاشتغلوا بعبادة ربهم، ومحاسبة أنفاسهم، في ماذا تدخل وماذا تخرج، بحيث لم يضيعوا نفسا واحدا من أنفاسهم في غير طاعة الله، ووجبت عليهم حقوق في الظاهر، فردوها من حيث الظاهر، ووجبت عليهم حقوق في الباطن فردوها من حيث الباطن،

---

1 أخرجه البخاري، ومسلم، وابن حجر، والدارمي، والنووي، والبيهقي.

2 رواه أحمد وابن ماجة.

3 ص: - في.

4 الأعلى 16.17.

5 م: زهدوهـ.

ورافقوا الأحوال سرا، لئلا تأخذ النفس منها نصيبها، فذللوا الحرص والرغبة في الدنيا بقرب الموت منهم، وقصر الأمل فيها، فحصل لهم الزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة، فسعوا في العمل الموصل لها، ونسوا الدنيا ونعيمها، والزهد في الدنيا هو أدنى مرتبة عند المحسنين، وأول مرتبة في السلوك، ولا يضع الصوفي قدمه في الطريق حتى يخلف الدنيا وراء ظهره، ولا تصح بداية المريد في السير إلا بترك الدنيا أولا، ومن لم يزهد في الدنيا فلا تصح له بدايته، ومن لم تصح له بدايته لم تكمل نهايته، والبداية هنا قطع علاقات القلب من الدنيا، وعدم تفكره في حبها، وتعلقه بالله دأبا، واستعمال الجوارح في العبادات طوعا، ومخالفة النفس كرها، وهذا أول منزل ارتحله السالك من نفسه لربه، إن صحت له الإرادة في ذلك، استقام سيره في طريقة القوم، وعن قريب يفتح له الباب، لأن الزهد في الدنيا يريح القلب، والبدن، والرغبة في الآخرة شهود الفضل والمنن، والزهد في الدنيا هو زوال العلل، والرغبة في الآخرة هو رأس العمل، ولا يثبت الصدق في العمل إلا بعد الزهد في الدنيا، ولا يثبت النور في القلب إلا بعد خروج حب الدنيا منه، فانظر ما أعظم هذا المقام وما أصدقه عند الأبرار! حيث عظموه ورفعوا قدره، ووقفوا عنده بصدق المجاهدة في العبادات لله، وما أخسه عند المقربين، وما أحط رتبته عندهم، حيث زهدوه[1] هو والآخرة، وغير الله كله، وقيل لا يكون الصوفي صوفيا حتى

---

1 كذا في ط، م.

تجلي ممنوع من تجلي الذات، وصاحبه تارة يتجلى له الحق بحسب إخلاصه فيه، وتارة يغيبه عنه بحسب رعونة[1] بشريته، وهذا في كل مقام بحسب تلوينات الطبائع.

وأما مقام الكمال المذكور ليس فيه تلك التارات، وإنما هو تجليات محض ذاته، فافهم ولا تعتقد أن ذات الله سبحانه تدرك بالعقول أو بالقياس، أو بالبصائر لقوله تعالى ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾[2] أي لا تحيط به الأبصار، ولا يدركه عقل، ولا نقل، ، ولا نظر، وإنما ذاته لا تشبه الذوات، وصفاته لا تشبه الصفات، غير أن بعض صفاته يتصف به الكامل عند كمال حاله، أي الإيمان وقربه إلى الله بالنوافل، كما دل عليه قوله تعالى على لسان نبيه "**ما زال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده الذي[3] يبطش بها**"[4] الخ، وهذا معنى اتصاف صفات العبد بصفات الحق، ولا يرى العبد من تلك الأوصاف إلا تلك الصفات المحمودة، مؤثرة فيه قدرة صالحة من غير أن يكيف لها معنى، ولا يحيط بها سرا، ولا يعبر عنها قولا، ولا يخوض فيها عقلا، وهذا معنى صفاته لا تشبه الصفات، لأن صفات القديم مخالفة لصفات الحادث، وكيف تماثل صفات المخلوق

---

1 ط، م: روعنة.

2 الأنعام/ 103.

3 كذا في ط، م، ولعله: التي

4 أخرجه البخاري وابن حجر.

صفات الخالق، وهذا من المحال، ألا ترى أن المخلوق لا ترى من أوصافه إلا الأثر، يعني لا ترى للشجاع إلا أثر إقدامه، ومن الكريم إلا كرمه، ومن الجواد أي السخي إلا عطاءه، ومن الحليم إلا أثر حلمه، هذا في أوصافه المعنوية، إلى غير ذلك مما هو موجود في سر أوصاف العبد ما لا يدخل تحت حصر، فانظر هذا في أوصاف العبد الحادث لم يحدّه عقل، ولا أتى به نقل غير أن أمر الله حدّه في سابق علمه، بقوله كن فكان، كل ذلك في أسرع من طرفة العين، هذا في العبد الحادث العاجز القاصر، فما بالك بأوصاف الرب القديم الباقي القادر على كل شيء.

فأسلم أيها العبد أمرك إلى ربك ولا تنازعه في ربوبيته تعش عبدا حرا، منقادا إلى ما أراده منك ربك طوعا منك، وإن لم تسلم أمرك له قادك إليه بالسلاسل، والامتحان، كما قال ابن عطاء الله في الحكم "**عجب ربك من قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل**"[1]، والله تعالى لما أن علم من العبد الضعف والتلبس في أحواله، وعدم الانقياد إلى الطاعات طوعا من شدة الحجاب، أوجب عليه حقوقا يؤديها، ووسع له في الأوقات، ليكون له رحبا في ذلك وسعة، رحمة منه وشفقة على عبده الضعيف المسكين، ليقطع عنه حجج النفس بذلك، وإن وقع منه فوات لتلك الحقوق أوجب عليه قضاءها في وقت آخر، بحيث لم يبق للعبد التفات إلى غرض من الأغراض إلا وقطعه عنه الله بحق يجب عنه[2] في الوقت أداؤه أو قضاؤه،

---

1 وهو معنى حديث رواه البخاري وأحمد وأبو داود.

2 كذا في ط، م، وهذا يكثر في الكتاب يستعمل حروف الجر في غير مواقعها.

فصارت تلك الواجبات سلاسل تقود إلى الخير والصلاح وهو كاره، وهذا من العجب، ويا عجبا كل العجب كيف يقبل الإنسان على النار وهو ضاحك مستبشر مسرور طوعا منه، ويدبر على الجنة كارها لها منقوصا محزونا، وهذا من أعظم الحجاب، وأشر العذاب، والإقبال على النار طوعا هو اتباع حظوظ النفس وشهواتها، والإدبار عن الجنة هو التكاسل في الطاعات والتهاون في نوافل الخيرات، فأوجب الله تعالى حقوقا على الإنسان يؤديها فستقوده إلى الجنة كرها له، والطاعات التي أوجبها عليه لا يقوم لها ولا يفعلها إلا مخافة من الله، ورهبة منه، أي من عقابه وعذابه، ولذلك خلق الله تعالى النار وعذابها وأنكالها، وحيّاتها وبعد قعرها، وقال في ذلك ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾[1]، فصار الإنسان يؤدي الحقوق الواجبات عليه، خوفا من ناره، ورهبة من عذابه، ولولا خوف المكروه لم ينقد[2] الإنسان لأمر الله، وحيث وعد الله بالمرور على النار، وأخبر في كتابه العزيز أن من أطاعه فله الجنة، ومن عصاه فله النار، الخ، فصار الإنسان يعمل العمل لله خوفا منه، وحذرا من عقابه، وهذا معنى قوله "عجب ربك من قوم يقادون بالسلاسل إلى الجنة"[3]، وهم كارهون، وهذا كله من شكهم في المقدور، والشك هنا هو الذي أوجب لهم الحجاب، وعظمت مصيبة قلوبهم، وأظلمت بصائرهم، فصاروا لا

---

1 مريم/ 71.

2 م: ينقاد.

3 رواه البخاري.

يسمعون، ولا يبصرون إلا بحواسهم الظاهرة في ظاهر الدنيا، ولا يعتبرون بقلوبهم في باطنها، فأورثت لهم هذه المشاهدة الرغبة في الدنيا، والحرص عليها، وطول الأمل فيها، وأبعدتهم من الحق، وقربتهم من الباطل، وزهدتهم في الآخرة، وحببتهم في العاجلة، وهذا من طمس البصيرة والعياذ بالله، والله تعالى قال في ذلك ﴿**لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾[1].

ولا تنظر أيها السائر في غرة الدنيا أي ظاهر محاسنها، وتنسى عبرة باطنها وهذا منك لجهل بعاقبة أمرك، وسوء أدب في حضرة ربك، والمغبون من أهمه أمر دنياه، واشتغل بجمعها عن عبادة مولاه، ومن انكب عنها صرعته بكأس سمها، وقادته لقبح عوائدها، وأشغلته بزخارف زينتها، حتى أهملته في شعاب الضلالة، وأضلته في أهوال الجهالة، وصرفته في مواطن البطالة، أعاذنا الله من ذلك بمنه وكرمه، فالكيس العاقل من عدل عنها، وعمل لما بعد الموت، وصرف همته لمولاه، واستعد ليوم القيامة، والمغبون الغافل من أمن فيها واستصحب أهلها، واستأنس بحبها، وأعجبه زخرفها، واتبع حظوظ نفسه فيها، ونسي الآخرة وأهوالها، والحساب، ومناقشته، والعرض على ربه، وهذا من أعظم الغرور، والله تعالى قال ﴿**وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ**﴾[2].

---

1 الحج/ 46.

2 الحديد/ 20.

فكن أيها السيد على حذر من الدنيا وزهرتها، ولا تلتفت لمحاسنها، فإن حسنها قبح، وقبحها حسن، فإن من نظر إلى قبحها وخستها آل به النظر إلى عبرة باطنها، ومن نظر إلى حسنها وجمالها حصل له الغبن والغرور المذكور، وهو لا يشعر بحسرته، فالحذر الحذر أيها المسكين من هم الدنيا وغرورها، فإنها غرت ومكرت بكثير من الزهاد والعباد، حيث نظروا لزينتها، واشتغلوا بحظوظ نفوسهم فيها، ولم تثبت لهم عبادة ولا زهد، ورجعت بهم القهقرى، والعياذ بالله، فشأن[1] الراغبين في الدنيا أبدا العمى والصمى، وإن كثرت أعمالهم عظمت شقاوتهم، وقلت سعادتهم، ودامت حسراتهم.

وأما الزاهدون في الدنيا وإن قلت أعمالهم فيها كثر[2]إمدادهم، وقوي اعتقادهم، وازداد[3]فلاح صلاحهم، لقوله تعالى ﴿**مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ**﴾[4]، ظاهر الآية يدل على أن الإنسان إن آثر الآخرة على الدنيا ازداد حبه في الله، وقوي شوقه إليه، ورغب فيما عنده من الفضل، وازداد حرثه أي جزاؤه العاجل، والآجل، العاجل هو لذة الإيمان، وهي أول كرامة يكرمه الله بها في دار الدنيا، والآجل هو دخول

---

1 م: فالشأن.

2 م: كثرت.

3 م: وازدادوا.

4 الشورى/ 20.

الجنة، والنظر إلى الله تعالى، وإن آثر دنياه على الآخرة لحقه فيها المقسوم الذي قسمه له الله فيها، وأتاه بحقه من تلك القسمة، وليس له في الآخرة من نصيب، أي من عمل صالح يثاب عليه، ويجازى به، لأنه وفى حظه في دنياه، وخرج منها وليس له حظ في الآخرة، إلا أن تكرم الله عليه. وهو أولى بالكرم.

فكن سيدي من الذين يريدون حرث الآخرة، يزد[1] لك في حرثك، ولا تكن من الذين يريدون حرث الدنيا، ليؤتيهم الله منها، وما لهم في الآخرة من نصيب، أي من قسمة في الدين، يجازون عليها في الآخرة، ولا تؤثر سيدي ما يفنى على ما يبقى، لأن دار الدنيا التي أنت فيها عن قريب سترحل منها، وتقدم على دار البقاء التي لا فناء لها، وكيف تؤثر الفاني على الباقي؟ وتفرح بذلك، وأنت مبسوط الصدر، مسرور القلب والجوارح، بما يدوم لك منها، وحزين القلب والبدن بما ينقص لك فيها منها، وهي دار أكدار ومحن، لا يدوم سرورها، ولا ينقطع شرورها، وأنت غرتك الأماني فيها، وظننت في اعتقادك الفاسد أنها دار متعة وتنعم، فانظر هل يصفو لك فيها وقت واحد، لقوله صلى الله عليه وسلم **"الدنيا لا تصفو لمؤمن"**[2]، والنبي صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى، وكيف لم يصف لك حال فيها البتة؟ بحيث لم يطب لك عيش في نعيمها، وأنت تأمن بالشغل فيها، والتلذذ بشهواتها، وتجعلها مكان قرارك، والله

---

1 م: يزداد.

2 قال الألباني حديث حسن.

إن هذا الجهل منك لعظيم، وحال ليس بمستقيم، فارجع عن هذا الوصف المذموم منك، والخلق السوء فيك، وبدله بأوصاف حميدة، وهو الزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة، والقناعة بما قسم لك في القدر، إلى غير ذلك مما هو اللائق في حقك.

ولا تكن سيدي كالأجير السوء يعمل العمل لأجل أن يأجره السيد، إن أعطاه أجرته عمل، وإن لم يعطه ترك العمل لأجل ذلك، بل إن اتصفت بهذا الوصف المحمود أخلص العمل لله فيه، ولا تشبه[1] بتفكر غير الله، ينتج لك العمل، ولاتكن[2] من العبيد الأحرار، الذين قال في حقهم الله تعالى ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾[3]، ولا تتخذ الدنيا دارا، وتجعلها قرارا، وهي ليست لك بدار، والملك لله الواحد القهار، والدنيا دار من دار له، يجمعها من لا عقل له، فإن من أحيا نفسه بحظوظها مات مقتولا بسمها، وهو لا يعلم، ومن أمات نفسه عن الشهوات فيها، حييت[4] روحه في الدارين، حياة لا موت بعدها، أما حياة الدنيا فهي التنعم بالعبادات، والحضور في التجليات، حتى إن أتته الموتة الاضطرارية أتى الملك الموكل بقبض روحه فيقبض روحه الزكية بطيب نفس، وأحسن حال، وينقله من هذه الدار إلى دار البقاء، ويجلسه في قبره جلسة العروس،

---

1 ط، م: لا تشوبه

2 ط، م: تكون

3 الإسراء/ 65.

4 ط، م: حيت.

ويفسح له في قبره مد البصر، ويحيا هناك حياة طيبة، ويبقى في تجليات الحق أبد الأبدين، لم تنقطع عنه، وهذا معنى حياة الدارين، وقال الله تعالى في ذلك ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[1]، وإنما الموتة الاضطرارية تنقل الولي أي ترحله من دار إلى دار لا غير، لأنه جاهد نفسه في الدنيا، وقتلها بسيف المحبة، وأماتها موتة[2] اختيارية، حتى إن أتته الموتة الاضطرارية لم يشاهد لها ألما، عند شدة سكراتها، وإن اشتدت عليه السكرات يتجرع ذلك بالتجليات، أي يتولاه الحق عند ذلك، ولا يكله إلى ملك من الملائكة المتوكلين عليه، بل الحق جل جلاله يتولى أمره في نزع الروح، كما تولاه أولا في كل المشاق، وهذه أعظم المشاق على العبد، وكيف لا يتولاه ربه عند تلك الشدائد؟ بل يتولاه، ويكون هو القريب منه في تلك الحالة، ويغيبه في تلك السكرات في تجلياته، ولا يشاهد لتلك السكرات ألما، غير أنه يذوق كأس الموت، ويؤدي فرضه عليه، بنزع الروح من البدن، وشدة سكرات الموت، والله تعالى قال في ذلك ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾[3]، وحكم على خلقه بقهر الفناء وهو الموت، وقال النبي صلى الله عليه وسلم "**إن للموت سكرات، اللهم شدد علي سكرات الموت وخففها عن أمتي**"[4]،

---

1 آل عمران/ 169.

2 م: موت.

3 العنكبوت/ 57.

4 لم نعثر عليه في أي من كتب الحديث.

وهذا لما رأى فيها صلى الله عليه وسلم الشدة والعسر، وعاينها أي شاهدها عيانا، وعلم من الأمة الضعف، ولا تطيق ذلك، فطلب الله أن يشددها عليه، ويخففها على أمته شفقة منه ورحمة بأمته، صلى الله عليه وسلم، ومراده في ذلك التخفيف عن أمته، لأنه صلى الله عليه وسلم مهموم مغموم مكروب من أمر أمته، بدلا من نفسه، ليس كغيره من الأنبياء والرسل كما وقع في شفاعته للأمم عند مناقشة الحساب، حيث اشتد عليهم الحر والقلق في الموقف، وفي مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال **"أوتي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بلحم فرفع إليه الذراع، وكانت تعجبه فنهش منها نهشة، فقال أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون[1] بما ذلك يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقونه، ولا يحملونه، فيقولون لبعضهم بعضا ألا ترون ما أنتم فيه؟ قد بلغكم ألا تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم فيقول بعض الناس لبعض إيتوا آدم، فيقولون يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله تعالى بيده، ونفخ فيك من روحه، أمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربنا الا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي،**

---

1 م: - تدرون.

اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح، فيأتون إلى نوح فيقولون يا نوح أنت أول الرسل إلى الأرض وسماك الله عبدا شكورا اشفع لنا إلى ربك. ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم نوح إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وأنه كانت لي دعوة دعوت بها على قومي، نفسي نفسي، اذهبوا إلى إبراهيم، فيأتون إبراهيم فيقولون يا إبراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربنا، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم إبراهيم إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب[1] قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وذكر كذباته، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى فيقولون يا موسى أنت رسول الله فضلك الله برسالته وبتكليمه على الناس، اشفع لنا إلى ربنا، ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم موسى إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قتلت نفسا لم أومر بقتلها، نفسي نفسي، اذهبوا إلى عيسى، فيأتون عيسى فيقولون يا عيسى أنت رسول الله وكلمت الناس في المهد، وكلمة منه ألقاها إلى مريم، وروح منه، اشفع لنا إلى ربنا، ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم عيسى إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر ذنبا، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى

---

1 م: يغضبه.

محمد صلى الله عليه وسلم، فيأتون فيقولون يا محمد انت رسول الله، وخاتم أنبيائه، وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربنا ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فانطلق فآتي تحت العرش، فأقع ساجدا لربي، ثم يفتح الله علي، ويلهمني من محامده، وحسن الثناء عليه، شيئا لم يفتحه لأحد غيري، فيقول يا محمد ارفع رأسك، سل تعط، اشفع تشفع، فأرفع راسي فأقول: يا رب امتي! فيقول يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من باب الإيمان من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، والذي نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر، أو كما بين مكة وبصرى، وفي البخاري كما بين مكة وحمير"، هذه الشفاعة العامة التي خص بها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من بين سائر الأنبياء هي المراد بقوله صلى الله عليه وسلم "لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجلت لكل نبي دعوته وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي"[1]، رواه الأيمة البخاري ومسلم وغيرهما، وهذه الشفاعة العامة لأهل الموقف أيضا في تعجيل حسابهم، فيراحون من هول موقفهم، وهي الخاصة به صلى الله عليه وسلم، وقوله: "فأقول يا رب أمتي أمتي"، اهتماما بأمر أمته، وإظهار محبته فيهم، وشفقته عليهم، وقوله: فيقال يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه، يدل على أنه

---

1 رواه البخاري ومسلم.

يشفع فيما طلب من تعجيل حساب أهل الموقف، وأنه أمر بإدخال الجنة من لا حساب عليه من أمته، وغيرهم، وكان طلب هذه الشفاعة من الناس بإلهام من الله تعالى لهم، حتى يظهر في ذلك اليوم مقام نبيه صلى الله عليه وسلم المحمود الذي وعده به، ولذلك قال كل نبي لست لها حتى انتهى الأمر إلى محمد صلى الله عليه وسلم، الحديث. والذكر في مقامه المحمود يأتي إن شاء الله، فعند ذلك يسير أهل الجنة إلى الجنة، ويسير أهل النار إلى النار، وينادي مناد من قبل الله تعالى يا أهل الجنة خلودا لا موت فيها، ويا أهل النار خلودا لا موت فيها، فيخرج من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من الإيمان، فيسيروا[1] به إلى الجنة، فأدنى أهل الجنة من هؤلاء يعطي له في الجنة من الملك قدر الدنيا عشر مرات، طولا وعرضا، الخ، فهذه الشفاعة عامة للخلق تعم الكافر والمؤمن، وليس يقدر على هذه الشفاعة إلا سيد الكونين، وهو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشفاعته في الدنيا كذلك فيها ما يكون عاما لخلق الله، وفيها ما يكون خاصا، وفي الآخرة كذلك، وأول شفاعة الآخرة هذه الشفاعة العامة المتقدم ذكرها، ولولا خوف[2] الإطالة لبينا ما يناسب الشفاعة على أي حال في الدارين، ولكن ما ذكرناه يكفي، والله الموفق لما فيه رضاه.

---

1 كذا في ط، م

2 م: خفت

سكـــرات المـــوت:

ونرجع للكلام المتقدم ذكره في شأن سكرات الموت، لقوله صلى الله عليه وسلم: "إن للموت سكرات"، أي الموت[1] يذوقه كل واحد، مؤمن وكافر، عاص ومطيع، وكل ما يطلق عليه ذو نفس من خلق الله تعالى ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ**﴾[2]، غير أن المؤمن الكامل يذوق فناء الموت، ولا تعدو عنه في ذلك أهوال، لأن الله تعالى تولى سياسته، كما تقدم في أمر الدنيا والآخرة، وتولى منه كل أحواله، حتى عند سكرات الموت، لأنه مات قبل أن يموت، لقوله صلى الله عليه وسلم "**موتوا قبل أن تموتوا**"[3]، وحيث مات حيا، ولا بعد الحياة موت، لأرباب القلوب، والموت لابد له من سكرات، وهم ماتوا وعالجوا سكرات الموت في دنياهم بالمخالفات، ولم تكن لهم سكرات أخرى غير كأس الفناء المتقدم ذكرها، لقوله تعالى ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ**﴾[4]، وهؤلاء ذاقوا، وماتوا، وفنوا، وبعثوا، وحوسبوا، ودخلوا الجنة، ونظروا إلى وجه الله الكريم، ودخلوا في وعد الله المحتم عليهم، وهو قوله تعالى ﴿**مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ**﴾[5] الآية، ولم يبق لهم

---

1 ط، م: للموت.

2 العنكبوت/ 57.

3 حديث ضعيف

4 الرحمن/ 26.

5 طه/ 55.

من وعد ربهم شيئ إلا أدوه كما نص عنه في كتابه العزيز، وأتت به
الشريعة، وكيف تكون لهؤلاء شدة وسكرات؟ لأنهم استمروا على شدة
سكرات الموت أولا، فلم تؤثر فيهم ثانيا، لأن موت النفس في المجاهدات
والمكابدات والمخالفات طول العمر أشد على المريدين، من موتها الحقيقي
مرة واحدة، ويتمنون عند مجاهدة نفوسهم هذه الموتة، ولا يجدونها لأن
لهم فيها راحة عظيمة من خطر النفوس، وهؤلاء خلفوا الهم والغم والحزن
والسجن لأهله، وخرجوا إلى سعة رحمة الله، وغابوا فيها عن كل ما
يؤلمهم ويؤذيهم، فاستمروا على البلاء ونصبوا إليه أبدانهم، وقال في
هؤلاء:

فأصابهم سهم المصائب ولم يصب أرواحهم[1]

فغيبهم الجليل في المحبة بأحوالهـــم

ولم يدروا[2] بالسهم فيما ذا أصـــابهم

وغابوا في حضرة الجليل بمـــا أصابهم

يا لها من غيبة! وناموا نومة العروس في حضرة تنعم، وصار البلاء عندهم
يحسبونه نعمة، حتى كأن النعمة عندهم نواقم، وهؤلاء لما أن ماتوا موت
النفوس جالت أرواحهم في الملكوت الأعلى، وهو باطن العرش، وبقيت
هناك ساجدة بين يدي الكريم جل جلاله، متنعمة في حضرة تجليات
الذات، بحيث لم تفارق تلك الحضرة طرفة عين، مع أنها تراصد البدن

---

1 ط: أحوالهم.

2 م: يدرون.

البشري مراصدة إلاهية لا يعلمها إلا هو سبحانه، وبقيت أبداهم عامرة بالنفس الزكية تغدو وتروح في أبداهم الزكية، نفس مطمئنة زاكية وبدن زاك، وقال الله في ذلك ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ، ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ﴾[1] الآية، يشهد لذلك قول الملك الموكل بقبض الأرواح حيث يأتي للولي يريد قبض روحه يستأذنه في ذلك، حتى إن قال له المومن أدن مني يا ملك الموت واقبض ما أمرك الله به فيدنو منه، ويقول له أخرجي أيتها النفس الزكية من البدن الزكي، كما فعل هذا بالنبي صلى الله عليه وسلم، أولا عند نزع روحه الطيبة الزاكية، تعظيما له ولقدره، صار هذا للخاصة من أمته المتبعين لسنته، تكريما لهم، وتشريفا لحرمتهم، هذا دليل على أن النفس باقية في صاحبها لم تفارقه، والروح تجول في الملكوت أحرى عند النوم لأن النوم موتة صغرى، وحيث ينام الإنسان تجول روحه في ملكوت السموات والأرض، وتبقى النفس مستمرة في البدن، يشهد لذلك قوله تعالى ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾[2]، ظاهر الآية يدل على أن الإنسان حيث ينام تبقى النفس في البدن، تغدو وتروح في وسطه، بحيث لم تفارقه، والروح تخرج منه، ويرسلها الله إلى أجل مسمى، أي إلى برزخ معروف عند أهله في السماء، أو في الأرض، أو في العرش إلى غير ذلك، مما تكون عليه الروح

---

1 الفجر/ 27-28.

2 الزمر/ 42.

من الخوض في الملكوت بحسب حال النائم، حتى إن استيقظ رجعت له الروح، ورجع هو لإحساساته[1] المعلومة في عالم الحس، بعد ما كان في عالم الغيب، هذا أمر إلاهي لا يكيف، وهكذا حاله في الدنيا إلى أن يحضر أجله، وعند ذلك تنزع روحه وتتوفى نفسه، لأنها استكملت عددها المقدر، وتوفاها الله تعالى عند موتها، أي فناء صفاتها التي كانت عليها في البدن، يعني كونها تغدو وتروح في الصفات البشرية، باتباع الحظوظ السفلية، وهو عالم الحس الذي تشاهده النفس، وتستلذ بمحسوساته، ولا تركن ولا تسكن إلا له، والنفس سفلية لا تأمر صاحبها إلا بالأمر الأسفل الردي السوء، ولذلك قال الله تعالى ﴿**إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ**﴾[2]، والنفس الأمارة بالسوء عند أرباب المكنة كافرة بالله ورسوله، حيث تركت الأمر والنهي، وارتكبت الفواحش، والفرق بينها وبين الكافر شهادتها أن لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعصمت منها الدم والمال كما تقدم، في الحديث، ومنزلة هذا منزلة المنافق، لأن المنافق يشهد بالإيمان بلسانه، ويكفر بقلبه، غير أن هذا المؤمن العاصي لما أن آمن بقلبه، صار له فضل على المنافق، وحكم له الشرع بحكم المؤمن المطيع إلا أنه أحط درجة منه لعصيانه بجوارحه الظاهرة.

وأما المنافقون فلم يكن لهم إلا النطق باللسان، فبسبب ذلك أمهلهم الشرع ووسع لهم رحبا في الإيمان، وأبقاهم في العصمة المذكورة، أرجو

---

1 ط، م: لإحساسه.

2 يوسف/ 53.

الفضل من الله لهم، عسى تسبق لهم سابقة خير، ويتوبون من نفاقهم، ويرجعون إلى الله بقلوبهم، فيحصل لهم الفضل العظيم بذلك، ما لم يكن لغيرهم ممن كفر بقلبه ولسانه والعياذ بالله، لقوله تعالى ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾[1]، والسوء على ثلاثة أقسام، القسم الأول منه النفس الأمارة بالسوء، وهو الكفر بالله، والاعتقاد الفاسد، ومعاملة السوء بالله الظاهر والباطن كما تقدم الذكر في ذلك،والقسم الثاني وهي النفس اللوامة لأنها تأمر بالشر والخير وتلوم صاحبها بذلك، ومهما أمرته بخير إلا لامته وأمرته بالزيادة عليه، ومهما أمرته بالسوء إلا لامته بخير ثانيا، وأحبت الإقلاع عنه، مع عدم الإصرار عليه، وهذه صفة النفس اللوامة، وقال الله تعالى في ذلك ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾[2]، وصفاتها كلها مذمومة ماعدا اللوم، وبعض صفات اتصفت بها حميدة لكنها يسيرة، وهذا كله أمر سوء منها، والقسم الثالث وهو النفس الملهمة وهي ألطف من النفس التي قبلها، ولكنها تلهم صاحبها للخير والصلاح، حتى يتبين له فجورها ودسائسها، ويظهر له الحق حقا، والباطل باطلا، غير أنه لم يفرق بينهما تفرقة صالحة، ولم يزل في أشكال النفس، فظهر له أن هذا المقام هو غاية مقصودة، ومجمع همه، فحصل له الشر في ذلك الخطر، فاجتمع له هنا الخير والشر، فصارت نفسه تلهمه للخير والصلاح من حيث الخير، وتظهر له الرفعة في المقام، وحسن

1 يوسف/ 53.

2 القيامة/ 1-2.

الأحوال في ذلك، فإلهامها للخير خير، واشتهارها في الأحوال وميلها لذلك شر، فصارت أمارة بالسوء، حيث أظهرت لصاحبها السوء الظاهر له المظلم لقلبه، وعندهم الذي لم يزل في تلومات النفس فهو مقيد بأسرها، ولو سلك جميع المقامات لم يأمن على نفسه الآفات، القاطعة له، حتى تزكو النفس وتطمئن بالحق، فعند ذلك يزول عنه أمر النفس السوء، ويصير أمره بأمر الله لا بنفسه، وهذا معنى النفس الأمارة بالسوء، لأن بقية أمرها وشر فتنتها لم يفارق السالك في سلوكه أبدا، إلا إن حصلت له الموتة الاختيارية المتقدم ذكرها، وهذا شأن النفس الناطقة، التي تكون في جنب الإنسان، والنفس الناطقة ظاهرها الطبيعة البشرية السفلية، وباطنها الروح العلوية، فإن اتبعت هواها وشيطانها تمكنت من الطبيعة البشرية وأضلت صاحبها وأهملته، وإن انقادت واتبعت الأمر والنهي تمكن باطنها من الروح العلوي، لأن النفس في البدن البشرية ومعاشها الروح، وظاهر بشريتها الشهوة، والحظوظ السفلية، وباطن نفسها الروح العلوية، إن اتبعت النفس نفسها الباطنة تزكت ورقيت إلى مقام الروح، وصارت النفس روحانية، وإن اتبعت بشرية الظاهر، وهو اتباع الهوى والشيطان صارت نفسا سفلية أمارة بالسوء، تسفل بصاحبها إلى سجين، ومعنى النفس والروح واحد في البدن، غير أن النفس تتوفى عند نزع الروح، وتفنى عند كمال إعدادها، قال الله تعالى في ذلك ﴿**اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ**

حِينَ مَوْتِهَا﴾[1]، والروح بخلاف ذلك، لأنه غيب من غيب الله لا يعلمه إلا الله، يشهد لذلك قوله ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾[2] الآية، ظاهر الآية يدل على أن الروح لما أن كان من أمر ربي لا يفنى أبدا سرمدا، لأن أمر الله باق ببقاء دوام ديمومته، وهذا معنى غريب في الروح، لأن أهل السنة اختلفوا في كيفية نزع الروح من البدن، وكيف كان أمره في البدن، وكيف يتصور مع صاحب القبر، وكيف صعوده، وكيف هبوطه، وكيف يكون حاله مع السعداء، وكيف يكون مع الأشقياء، وكيف يكون في البرزخ، إلى غير ذلك مما هو مذكور في كتبهم، وصورة كل منهم بحسب اجتهاده ويقينه واطلاعه، الخ، ووقع الخلاف في الكيفية المذكورة بحيث لم يجدوا لها حصرا، ولم يعرفوا لها أمرا لأنها أمر من أمر الله، وأمر الله لا يكيف ولا ينحصر، ويلزم هنا التسليم في أمر الله، ولا التفات لمعنى ذلك إن خفي[3] أمره، وقلت في ذلك شعرا[4]

النفس والروح في بعضهما بعضا مضروبتان

ولا فرق بينهما في البدن لطيفتـــــان

والنفس تسفل بصاحبها أن يتبع أمـــــرها

والروح تسمو به إلى كشف العيـــان

---

1 الزمر/ 42.

2 الإسراء/ 85.

3 م: أخفى

4 م: شعر.

حتى كأنهما في القيـــاس مجمع واحــــــد

وفرق العقل بينهما بالكشف والهيمان[1]

ولـــولا العقل والنقل فرق بينهمـــــــا

لجهل أمرهمـــا في الجانبـــــــــــــان

لكـــن النفس النفيسة أمـــرها واضــــح

أخبـــرنا بذلك الكتـــاب تبيــــــان

والروح أمر من أمـــــر الله أخبرنــــــا

به وأمر الله لم[2] يـــــدل عنه برهـــان

وقـــام في ذلك دليل الروح مختلـــــف

بين أهل العلم لم يأت بذاك إنســـــان

ولكــــــن التسليم أولى للجميع في أمره

والله يعلم من العبد حقيقة علم الجنان

وهذا معنى النفس والروح، غير أن النفس أمرها بيّن واضح في الكتاب والسنة، واستخرج أي بيّن أهل الحقيقة كيفية النفس في حال ترقيهم في المقامات، حتى إن خرجت النفس على طبعها البشري تحلت بالأوصاف المحمودة، وزكت ورقيت إلى أعلى المراتب، وهو تجلي نور الذات الجليلة، وتسمى حينئذ بالنفس الكاملة، وتسمى النفس عند سموها روحانية،

---

1 م: العيان.

2 م: لا

فتتبدل[1] الحظوظ البشرية بالتنعم بحضرة الله، فتصير روحانية في ملكوت الله، لا نفس تتنفس بالاضطراب في خلق الله، فهذه النفس ليست كالنفس الأولى، بل هي غائبة[2] في أمر الله، وأمرها لا يكيف ولا يدخل تحت حصر، بل انقطع تكيفها انقطاع السلوك، وحيث سلكت عن مقتضى طبعها البشري، وخلصت لله، وكملت في حضرة الله، صارت راضية مرضية، وحيث أمرها ربها بالرجوع إليه، رجعت له، واطمأنت به، وسكنت إليه، وتوكلت عليه، وحيث اتصفت النفس بهذه الأوصاف المحمودة، خرجت عن حد النظر والعقل والنقل، بحيث لم يخبروا إلا عن الوصف الظاهر منها، أي الأثر[3] المتقدم ذكره[4]، ولا يقدر أحد أن يعبر عن كيفية أمرها الحقيقي، لأن أمرها أمر الله، وأمر الله لا يكيف، والتكييف هنا لا يقع ولا ينحصر إلا في النفس الناطقة، أي المضطربة بغير الله، وحيث يبطل اضطرابها ويئول أمرها إلى الله، لم ينحصر لها أمر، وتسمى عند أهل العلم بالله نفسا روحانية، لأنها استراحت من سجنها الطبيعي، واتسعت في ميدان التجليات، وانحل عنها عقد التقييد، وصارت تغدو وتروح في سعة رحمة الله تعالى، أي تجليات حقائقه السرمدية،

---

1 م: فتتبذه.

2 م: غيبة.

3 م: الأثرات.

4 م: ذكرها.

وصارت روح[1] وراحة وريحان[2]، وقلت في ذلك شعرا

النفس أولها أنفـــاس عديدة

وبمقتضى طبعها تتلـــون

تغدو وتروح في البدن باضطـــرابها

كأمواج البحر عند هوله يتمحـــن

لها أنين في الصدر بأجناس محسوساتها

وهواجسهـــا في القلب تمكـــن

حتى إن ورد عليها من الحـــق وارد

اصطلم اضطراب النفس وتجلي المهيمـــن

فدخل الملك القرية وأفسد حكمها

وقام عسكر الإيمان في السر متمكـــن

وبدّل العز ذلا[3] وأخرج مقهـــرا

حتى كأنه لم يدخل ولا رأى فيها حسـن

فزكت النفس ورقت إلى أعلى رتبة

واضمحل الرسم منها وفنت المحـــن

فصارت بعد الأنفاس نفسا واحدة

وجالت في بحار أنس الجمال المتأمـــن

---

1 كذا في ط، م.

2 كذا في ط، م.

3 م: العزيز ذليلا.

فاختلطت بسر الروح وصارت تنعم

روح وراحة ثم وريحـــــــــــان

قوله روح وراحة هو إخراجها من الطبع، واستراحتها من سجنها، وحل القيد عنها، باتباع الأمر والنهي، وترك أمرها ونهيها مع وجدان الخفة في ذلك وراحة، أي خروجها من الضيق الطبيعي إلى سعة تجليات، وشهود الراحة اللذيذة بطيب البال في تلك الأحوال السنية، وريحان هو بقاؤه بتجليات الحق، وفناؤه عن راحة نفسه في تلك التجليات، حتى لم يشهد لنفسه شهودا في تلك التجليات، ولم يذق[1] لها طعما، بل شاق إلى ذلك أولا، وشاهده وذاقه، ثم فني عنه بالوصول إلى المقصود، وبوصوله له انقطع عن غيره به، فهذا شأن النفس الكاملة حيث رجعها الله إليه، واطمأنت له، وسكنت لحكمه، صارت نفسا في روح، وروحا في نفس، وروحا فقط، وأما الروح هنا في مقام الكمال لم يخبر به أحد، لأنه روح عظيم لا يعلم أمره إلا الله العظيم، ولذلك قال الله تعالى لعيسى عليه السلام يا روح الله، وكنى روحه أي روح عيسى بروح الله، ولم يقل في ذلك يا روح عيسى، الخ، وهذا دليل على أن الروح الأعظم لم يخبر بأمره أحد، ولم يعلم ذلك إلا الله، فسلّم أهل العلم في ذلك، وأضافوا أمر الروح إلى الله، غير أنهم أخبروا بكيفية مواطنها، كما تقـــدم الذكر فيه، والله أعلم.

---

[1] م: لا يذوق.

وهذا دليل على أن الأرواح لا يعلم حكمها إلا الله، حتى أرواح الكمال، يشهد لهذا قوله تعالى على لسان نبيه ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾[1]، وهذا الخطاب عام في أرواح الخلق جميعا، ولم يقل في ذلك يسألونك عن روحك، أو عن روح المؤمن خاصة، بل قال عن الروح، والروح يطلق على[2] كل روح حيوان، وكل من له روح، ألا ترى أن أرواح الكفار تتعذب بأنواع العذاب، كل أحد منهم يتعذب بصنف من العذاب، لم يتعذب به غيره، وكل أحد منهم بحسب حاله في ذلك، ولا يعلم هذا منهم إلا الله لا غير، وهكذا مدة عذابهم في النار، لا يموتون فيها، بل كلما يبلى منهم جلد يبدل لهم جلدا آخر، وقال الله في ذلك ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا﴾[3] الآية، وهكذا أرواحهم، لا يعلم ذلك إلا الله منهم، وهذه الطوائف يتجلى لهم الله في النار بأسمائه القهرية، كما يتجلى لأهل الجنة بأسمائه الحسنة، غير أن أهل النار يتجلى لهم بالصفة القهرية الغالبة عليهم، ومن أسمائه القاهر القهار، الشديد، ذو القوة، العدل، إلى غير ذلك من الأسماء الكثيرة في كتاب الله، وكل صنف من أهل طبقات النار يتجلى له باسم من أسمائه القهرية، ويشتد عنهم العذاب بذلك التجلي، وهكذا إلى ما لا نهاية له، وكذلك أهل الجنة يتجلى لهم في الجنة بأسمائه الحسنة أي الحسنى، كل أحد يتجلى

---

1 الإسراء/ 85.

2 م: عنها.

3 النساء/ 56.

ه باسم من أسمائه اللائق بحقه، ويتنعم بذلك غاية التنعم، بحسب رتبته ومنزله في الجنة، ومن أسمائه المنان، الكريم، الجواد، العطوف، الرحيم، الله لا إله إلا هو الحي، القيوم، الحق، الكبير، المتعال، المنعم، المتفضل، القادر، إلى غير ذلك من الأسماء المؤدية إلى زيادة نعيم الجنة، وبتجلياته يحصل لهم النعيم في الجنة، والزيادة على النعيم وهو النظر إلى وجهه الكريم، وهذا تجليه أعظم التجليات، لأن أهل الجنة تختلف مراتبهم في الجنة، فمنهم من يتنعم في الجنة، ويزور المولى جل جلاله في الأوقات المؤقتة في الدنيا، أي في أوقات الصلاة الخمس، وبقدرحضوره في الصلاة يرى ربه في زيارته، ويكلمه بكلام حسن، ويرجع إلى الجنة وأزواجه في غاية الحسن والجمال أحسن من الصورة الأولى، وهكذا حاله إلى ما لا نهاية له، ومنهم من يتنعم في الجنة ويزوره كل وقت بقدر أوقاتهم المؤقتة لهم في الدنيا لأجل العبادات، يعني أهل الأوراد والوظائف والاجتهادات في الأعمال الصالحات، ويرونه بحسب تجليه لهم في تلك الأوقات، وما أمكنهم الحضور في دار الدنيا، وهذا أرفع درجة من الأول، ومنهم من له درجة ثالثة، وهي أرفع من الثانية، يعني أن أهلها يتنعمون في جنتهم، ويزورون الباريء جل جلاله في أسرع من طرفة العين، يجدونه حاضرا لديهم، يتنعمون بالنظر إلى وجهه أي نور جماله عيانا، فينسون نعيم الجنة، ويتمنون الدوام في ذلك، ثم يرجعون إلى منازلهم، ويبقون منتظرين لذلك التجلي، شاخصين بأبصارهم له، وعن قريب سيرون محبوبهم، غير أنهم لم يوفوا بمقتضى بشريتهم في الدنيا، فبقيت لهم تلك اللحظة لم يحضروا فيها

فتأسفوا عنها، و لم يجدوها تامة لهم في الآخرة، غير أن الله أعطى كل أحد بمقتضى مشاهدته في الجنة، وكل ذلك محض فضل منه ومنة، ومنهم من يكون في الدرجة الرابعة، وهي أرفع المنازل الثلاثة، وأقلها عددا، فيتجلى لهم الحق في منازلهم، ويرونه من غير حجاب، ولا ساتر بينهم وبينه، فيكون نظرهم وتنعمهم في حضرة الله بحسب تجليه لهم في الدنيا، وما أمكنهم الحال في ذلك، ولكن هذه المشاهدة أغنتهم عن نعيم الجنة، بحيث كان نعيمهم فيها قليلا لما رأوا من مشاهدة الحق في ذلك، وقليل من مشاهدة الحق أغناهم عن كثير من نعيم الجنة، ولا يحسبونها في تجليات الحق إلا كالهباء، أي كأنها لم تكن عندهم، ومنهم من هو في الدرجة الخامسة، وهي أعلى المنازل الأربعة، وأقلها[1] عددا، وغاية هؤلاء النظر إلى الله دأبا، والوقوف بحضرته حالا، ونعيم جنتهم أقل نعيما من الجنان المتقدمة، لأن أهلها أقل عددا منهم، ومنهم من يكون في الدرجة السادسة، وهي الفضيلة، كما أن الخامسة تسمى بالوسيلة، وهذه الفضيلة أعظم الجنان الخمسة، وأقلها[2] عددا، لأنها قليلة الأشجار، وقليلة الأنهار، وأهلها قليل، ولما أن قل أهلها قل النعيم فيها، ونعيم أهل هذه الدرجة تجليات الحق، بحيث لم يروا غيره في جنتهم أبدا، ومنهم من يكون في الدرجة السابعة، وهي الدرجة الرفيعة، ولا تكون هذه الدرجة إلا للقطب

1 ط، م: وأقلهم.

2 ط، م: وأقلهم.

الكامل، وهي أعلى الجنان المتقدم ذكرها، وأرفعها[1] وأقلها[2] عددا من التي تحتها، ليس فيها أشجار ولا حور، قليلة الخلق، لأن أهلها أهل الحضرة بالله، غائبون فيها، حاضرون في تجلياتها، شاخصون بأبصارهم إلى المقام المحمود، زاعمون الوصول إليه حيث نظروه أعلاهم، بل هو حرام عليهم، لأنه لرجل واحد، وهو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس لأحد في ذلك المقام نصيب أبدا، بل هو لسيد الوجود خصصه الله به، وأعلى مترلة على غيره، فهذا المقام لا يتعدى له أحد سواه، ومقام الفضيلة مقام الكاملين من الرجال، وهم المقربون الذين أقعدهم الله في مقعد صدق عند مليك مقتدر، فهذا شأن الطبقات الثمانية، يعني كل مقام له تجل غير تجلي المقام الآخر، وهكذا جرت عادته في الدارين، في الدنيا بالتجليات، وفي الآخرة أعلى الدرجات، ولذلك الأرواح مورحة في روح الله أي جائلة في ملكوت الله، وسعة فضله، فمنهم هكذا، ومنهم هكذا، بحسب ما قدر لهم في الأزل، يحصل لهم في الدنيا، وبحسب ذلك يحصل لهم في الآخرة، وهذا معنى أمر الله لا يكيف ولا يحد.

أما أهل المقام الأول من الجنة فيزورون مولاهم الكريم على نجايب من ذهب كالإبل، وأهل المقام الثاني يزورون ربهم على خيول مسرجة من ذهب، وأهل المقام الثالث حيث تخطر لهم الزيارة يجدون أرواحهم عند ربهم من غير مطية، وأهل المقام الرابع يجدونه حاضرا لديهم من غير خطر

---

1 ط، م: أرفعهم.

2 ط، م: وأقلهم.

يخطر لهم، وأهل المقام الخامس شأنهم الحضرة السنية دأبا من غير التفات إلى نعيم الجنة، وأهل المقام السادس عادتهم التجليات ودوام الحضرة عليهم، وأهل المقام السابع مقامهم الحضرة الجليلة، وبقاؤهم فيها ما لا نهاية لبقائهم، شاخصين بأبصارهم إلى المقام المحمود المذكور، طامعون الوصول إليه، وهو لمحمد صلى الله عليه وسلم كما تقدم ذكره، وهذا معنى درجات الجنة معدة لأهلها بحسب أحوالهم في الدنيا، فمنها جنة المكاسب، وجنة المأوى، وجنة المواهب، وجنة الخلد، وجنة الفردوس، وجنة الوسيلة، وجنة الفضيلة، وجنة الدرجة الرفيعة، وجنة المقام المحمود، وهكذا فصلهم شيخ الطريقة، وإمام الحقيقة، شيخ شيخنا سيدي عبد الرحمان باش تارزي في كتابه المعروف "بغنية المريدين في طبقات الجنة" الثمانية أبوابا، وكل باب أعطاه حكمه وما ينوب أهله بحيث لم يخلف من ذلك شيئا يحتاج لبحث إلا وذكره على أي حال جازاه الله عنا أحسن الجزاء، ونفعنا والجميع ببركاته آمين، حيث مهد لنا الطريقة وهذبها تهذيبا في كتابه المذكور، والرحمانية المشتهر ذكرها، المعروف قدرها، النافعة لأهلها، القائدة من تأمل فيها، الجالبة لخير الدارين، وذكر لنا فيها[1] ما يناسب الأحوال[2] و[3] يجبر[4] العقل والخلل، خصوصا الرحمانية تفيد

---

1 ط، م: فيهم.

2 ط، م: أحوال.

3 ط: أو.

4 ط: يحمر.

المبتدئ، ومن مثلي يقتدي، وتعينه على أمر الدين، وتبين له كيفية الطريق الموصل إلى التحقيق، وأدبه وشرطه وما يترتب عليه من الفقه والتوحيد، وما يجب في حقه، وما لا يجب إلى غير ذلك مما هو مذكور فيها، ولكن يرجى لها شرح، يشرح معانيها، ليتبين بعض أسراراها للسالكين، وإن كنا في قيد الحياة ويسر الله علينا من بركاتها، وأراد لنا قسمة في ذلك، نشرح عليها شرحا يوضح بعض معانيها للمريدين، ويفهم الكلام فيها بمنه وكرمه إن شاء الله، وهو على ذلك قدير، وبالإجابة جدير، وهو العليم الخبير.

وكذلك سيدي عبد الرحمان المذكور، بيّن طبقات أهل النار وما يترتب عليهم من العذاب، وفنون العقاب، كما أن المقامات والمراتب العلويات والسفليات، يعني الجنة والنار يذكر أهل الحق منهم ما يناسب أحوال أهل ذلك، بحيث لم يكيفوا من العدد الجاري عليهم من عذاب أو نعيم. هذا في مقامات أهل العذاب، لا يكيف أمر عذابهم بل يعلمه الله منهم، فما بالك بأهل النعيم في دار المقامات، وهي الجنة، ينحصر نعيمها، بل لا ينحصر هذا في نعيم الجنة، فما بالك بأهل الحضرة الإلاهية، فلا تسأل عن أصحاب الفراديس، أعاد الله علينا من بركاتهم، ومنَّ علينا مما منَّ عليهم، وجاد علينا بما تفضل عليهم، آمين آمين آمين، يا رب العالمين، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

التجـــليـــات:

ونرجع للكلام في معنى التجليات، يعني كما جازت رؤيته في الآخرة، جازت في الدنيا، وأرباب القلوب تختلف مشاهدتهم في تجليات الحق، وعلى قدر الإخلاص تكون المشاهدة، فمنهم من يشاهد الخلق أولا، كما تقدم، ومنهم من يشاهد الحق في الخلق، ومنهم من يشاهد الخلق في الحق، ومنهم من يشاهد الحق في الحق، وهذا مقام كامل لا يفهم معناه إلا أهله، المتصفون به، أما المبتدي الذي يشهد الخلق أولا فيتجلى له الله باسمه الجبار، فتنجبر[1] أحواله بالاعتبارات في خلق الله، والتفكر فيما مضى من عمره، وما هو آت فيدخل عليه تجلي اسمه المنان، فيمنّ عليه بالستر على أفعاله القبيحة، ويشهد المنة لله تعالى في ذلك حيث ستر منه القبيح، وأظهر منه الجميل مع رؤية التقصير في نفسه على أي حالة، فيظهر له بنور ذلك الاسم، وما هو مستمر عليه من الأوراد والرواتب معايب نفسه، ولطف مولاه به فيعرف عند ذلك قيمة نفسه، فيسعى في اتهامها، ويعرف لطف ربه به، فيصرف همته له بحسب إمكانه في ذلك، ويرجو النصر والإعانة منه، على ما هو عليه من مجاهدة النفس، ثم بعد ذلك يتجلى له باسمه ذو القوة المتين، فيشهد اختيار الله غالبا لاختياره، فيتقوى بذلك يقين القلب، ويتبهرج إيمانه، ويذوق شدة قوة قدرة الله وإرادته،

---

1 ط: فتنخير.

بعد ذلك يحصل له معرفة صفة الأفعال، فينعدم حينئذ عنده فعله، وفعل غيره، وينسب الفعل كله لله، وصاحب هذا الوصف قد أشرف على مقام التوسط، وهو مقام الأبرار، وصاحب هذا المقام يتجلى له الله سبحانه باسمه المعين، وباسمه اللطيف، وباسمه القدير، فيكون ملطوفا به، تحت ظل نور تجلياتها أي الأسماء، ومحفوظا بكلئها، مجذوبا بنفحاتها، مصطلما بقدرة القادر، مستعينا بإرادة ربه على إرادة نفسه، طالبا النصر من الله على موت شهوات نفسه. ومعنى هذه الأسماء لا يتصور منها إلا اللطف بأحوال هذا المريد من مكائد النفس، والهوى والشيطان، والاستعانة بالله على ما هو عليه بصدده.

وأما الحجب المذكورة التي بينه وبين ربه لا يخرقها إلا الاسم الذي لقنه له شيخه، كما تقدم ذكر ذلك، وهو مفهوم عند أرباب المقامات في طريقة القوم، وأما تجليات الحق لم تنحصر في السالك، وليس لها انتهاء، وكل أحد يتجلى له بأسمائه اللائقة بأحواله، الجاذبة له من الباطن إلى الحق، ولولا تجليات أسمائه لم يسلك المريد طريقا قط، ويبقى صاحب هذا المقام في تجليات لطف اللطيف، وإعانة المستعين، حتى يدخل عليه تجليات الرءوف الرحيم، فيستريح من بعض قيود نفسه، ويدخل سعة فضاء رحمة الله، وحيث يشاهد من بركات رحمته، ورأفته به، تهلك صفاته البشرية، وتتقوى صفاته الربانية، فيذهل عن المحسوسات، ويفنى عن ما سوى الله، ويبقى بصفة الحق، فيشهد الخلق في الحق ثالثا، وهذا تجلي الصفات ممحو[1]

---

1 ط: ممحوق.

أثره، مسحوق عذاره، وهذا شأن الأبرار.

وأما الخواص فمنهم أناس أعلى من الأبرار، ولكن يتجلى لهم الجليل جل جلاله في هذا المقام بأسمائه الصفاتية، وهو السميع العليم البصير المتكلم القادر المريد، ويدخل عليه في ذلك ذو البطش الشديد، فتنهزم بقية النفس بتلك الصولة الشديدة، فتبقى صفات العبد البشرية في صفات ربه الحميد، وليس هذه البطشة الشديدة كبطشة أهل النار المتقدم ذكرها في طبقات عذابهم، ولكن جرت عادة الله في هذه الأمة أي المؤمنين أن يتجلى لهم الله بأسمائه القهرية في الدنيا، ويظهر لهم من أثر صفة ذلك، لأن يفنوا أعمارهم في الجد والاجتهاد، والمكابدات والمخالفات، وأصناف العبادات ما لا نهاية لها، للموت، ليأخذوا حظهم من العذاب في دار الدنيا، و لم يخرجوا من الدنيا إلا وليس لهم عذاب يرجى لهم، ومن بقي له بقية في العقاب يوفيه في القبر، أو البعث، أو المرور على النار، ويدخل الجنة، و لم يخلد في النار أحد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، هذه كرامة منه تعالى، حيث أظهر قهره في الدنيا بتجليات الشدائد في أصناف العبادات، وجعل لهم ذلك حظ نارهم في جهنم، وادخر قهره الشديد الدائم في الآخرة لأهل الخلود في النار، أعاذنا الله من ذلك بمنه وكرمه، فجرت عادة الله في خلقه بالتجليات في الدنيا والآخرة، أما تجلياته في الدنيا على سبيل مقتضى حكمته في هذه الدار، المؤمن يتجلى له بقدر إيمانه، وحسب أحواله في الطاعات، يعني عامة المؤمنين يتجلى لهم على قدر أعمالهم باسمه الغفور، الرحيم، الشكور، الحليم، الكبير، المتعال،

فيعملون العمل لله، وينتظرون الرحمة في ذلك بظنهم الجميل في ربهم، مع رؤية الأعمال من نفوسهم، وشهود المنة منهم لله، وحصول بعض الهفوات منهم أي المعصية لأنهم واقفون مع حظ نفوسهم لم تفارقهم هواجس النفس، فيغفر لهم الله بحسب ظنهم في ربهم، لقوله تعالى "**أنا عند ظن عبدي بي فليظن ما شاء**"[1]، وقوله صلى الله عليه وسلم "**إنما الأعمال بالنيات ولكل امرء ما نوى**"[2]، فيحصّل المؤمن العاصي هذا الفضل من ربه، بسبب الظن الكامل، والنية الخالصة، مع شيء من العمل أي استعماله للواجبات والمندوبات، إلى غير ذلك مما لا يجب تركه عليه، فهذا الصنف باق تحت حكم تجلي أسمائه المذكورة، فبمقتضى التوبة منه لربه يجب له الغفران، لقوله تعالى ﴿**إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ**﴾[3] الآية، وبمقتضى الظن الحسن، تجب له الرحمة، لقوله تعالى "**أنا عند ظن عبدي بي**"[4] الخ، وبمقتضى الحمد، والشكر منه يجب له زيادة النعم، لقوله تعالى ﴿**لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ**﴾[5]، وبمقتضى حسن الخلق لخلق الله، وحسن الأدب معهم يجب له الحلم والصفح عن ذنوبه، والمحو لسيآته، لقوله صلى الله

---

1 رواه البخاري ومسلم.

2 رواه البخاري ومسلم وابن ماجة والبيهقي.

3 مريم/ 60.

4 رواه البخاري ومسلم.

5 إبراهيم/ 7.

عليه وسلم "**إنما يرحم الله من عباده الرحماء**"[1]، وهكذا عادته في عامة المؤمنين تارة يحصل لهم الذنب بسبب وقوعهم فيه، وتارة يحصل لهم الغفران بسبب توبتهم منه، ومنهم من يخلط الحسنات والسيآت، وهم في مشيئة الله، لقوله تعالى ﴿**خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ**﴾[2] الآية، إلى غير ذلك مما عليه عامة الخلق، أي المؤمنين، كل أحد بحسب ما هو سائر به. وأما الأبرار فلهم أسماء تخصهم من تجليات الحق، فيبقون مصطلحين تحت حكم تلك الأسماء، فيسعوا ببركات تجلياته عليهم على الخلاص من نفوسهم وحظوظهم، بالجد والاجتهاد، ومخالفة النفس تارة بتارة في الاجتهاد، وهذا هو الجهاد الأكبر الذي نص عليه الشارع صلى الله عليه وسلم لما فيه من المشاق والمقاساة طول العمر، وهكذا حتى يفعل الله ما يريد بهم.

وأما الخواص فيتجلى لهم بأسماء مخصوصة بهم دون غيرهم، كاسمه المكين، فيتمكن الحق منهم، ويتصفون بصفات الحق، فتفنى صفاتهم في صفات الله تعالى، كما تقدم الذكر فيه.

وأما خواص الخواص وهم المقربون فلهم أسماء تخصهم، ومن أسمائه: الله أحد، الله الصمد، ويدخل عليهم اسمه القهار، فتنقهر بقية بشريته، وينجذب بنفحة قهار في لحظة إلى الحضرة الوحدانية، ما لا ينجذب[3] به

---

1 رواه البخاري.

2 التوبة/ 102.

3 م: يجذبه.

طول عمره في العبادات بغيره من الأسماء، يتجلى له الله باسمه المفرد، وهو الله لأنه اسم للذات العلية[1]، ولا تكون هذه الجذبة إلا للقطب، الكامل الجامع لجمع الجمع المحقق، وهذه الجذبة هي أول قدم وضعه في تجليات الذات، لأن تجليات الأسماء غير تجلي اسم الذات، تعتبر بمقتضى انقطاع السلوك والأنفاس في المقامات بحسب أحوال السالكين يسلكون في ذلك، ويتجلى لهم بما يوافق الحكم في مقتضى أقداره حتى إن وصل صاحب هذا الشأن إلى مقام الكمال انجمعت همه، وسكنت بشريته، وفنيت صفاته في صفة محبوبه، وبقي بوحدانية الله تعالى أي انفرد به، وحيث انفرد به لا حاجة له لاعتبار الأسماء من ذكره لها من حيث هو، وإنما جعل أهل العلم بالله كثرة[2] الأسماء للسالك لاختلاف أحواله، وتشتيت همه، فلكل حال وهمة ما يناسبها من الأسماء ظاهرا وباطنا، أما الظاهر ما يختص به هو، ويذكره على العموم[3] مع الإذن إن كان له شيخ يقتدي به، وهو لابد له منه.

وأما الباطن فتجلي الأسماء عليه معنى، لتستقيم أحواله بذلك، مما ذكرناه في التجليات، وهذا التجلي لا يعلمه إلا الله، وأولو العلم منه، وهذا الكامل حيث انجمعت همه بالله وجذبته ألطاف الحقائق إلى وحدانية الذات، صار منفردا بالله، وحيث انفرد بالله أغناه اسم الذات الجليلة وهو

---

1 ط : العالية.

2 م: كثيرة.

3 ط: الهموم.

الله، عن غيره من الأسماء، وأبقاه في نور تجليات اسم الذات، وقدسه في ذلك، ثم خلله بسوابغ نعم تجليات الذات، وأبقاه في ذلك النور، وهو شمس معرفة الذات، وهو مقام الجلال والجمال، وهذا مقام العرايس، والعروس لا تتجلى لغير بعلها، والعروس عندهم هو أول منزل في مقام تجلي الذات، ولا يتجلى الله بهذا التجلي إلا لأهله، فيشهدون من ذلك التجلي ما لم يشهدوه في غيره من التجليات، لأن التجلي غير هذا التجلي فيه للنفس حظوظ، وإشعار، وإحساس، وهذا التجلي ليس فيه ذلك، لأنه تجلي الذات، وليس للنفس فيه نصيب، وثم منزلة أرفع من تجلي العروس لبعلها، وألذ من كل لذيذ، وهو خفي سري، ليس للخلق إليه سبيل، ولا وصول إليه، عجز الأنام عنه، من حيث هو هو، ولا يعلم هو إلا هو.

شعر

ذهبن وغبن في غيب ملكوتـــه
وفنيت منا عبارة الرســـوم

واعترانا بعد الهيبة كأس الفنـــا
واضمحل منا شر السمـــوم

فانت فينا منا شواهد اللقــــا
وأعلى منارها على النجـــم

بشراك بشراك يا قلب بالهنــــا
إن حل فيك اسم العظيـــم

فمت أميرا على الجنود معظمـــا

ولاحت فيك شواهد القديـــــم

تجلى لك الحبيب باسم صفـــاته

وناداك يا محب أنت لي نديـــــم

وصفت منك كدرات النفس وشوبها

وصرت مشاهدا للحق عادم الهموم

يا ليتها من خمرة إن دامت خمراتهـــا

تخمرت طينة المحبوب بما حب الكريم

حتى إن وصلت للبساط جذبتك الحقائق

وأوقفتك[1] في العلى، ما أعلاه مقـــام

تشاهد من نور البقا لذائذ لم تبلـــــى

وأعظم المشاهد منك ما منك عديم

وهذا معنى التجليات، أي تجليات الحق في دار الدنيا لهذه الطائفة، أعاد الله علينا وعليكم من بركاتهم، وأفاض علينا وعليكم من بحر أنوارهم، آمين.

هذا تجليه في الدنيا كما تقرر، وأما تجليه في الآخرة لأهل الجنة، وأهل النار، وتقدم الذكر فيهم، كل طائفة يتجلى لها بمقتضى حكمته فيهم، كما تقدم والله أعلم، وهذا التجلي كله بحسب اتباع أثر المشايخ رضي

1 ط، م : واقفتك.

الله عنهم، ولذلك قالوا من لم يكن له شيخ، فالشيطان شيخه، والذي لم يكن له شيخ وإن بلغ في العلوم ما بلغ، لم ينتج له حال، ولا يصفو له مورد، ويتلبس عليه الحق بالباطل، ويبقى في ظلمات الجهل، مع أنه يدعي أن علمه نور يسستضيء به، لقول القائل: العلم نور، ونور الله لا يؤتى لعاص، ولما أن اشتغل في العلوم النقلية والعقلية والنظرية ادّعاها نورا، واعتمد على مقتضى حكمتها، وسعى في ترك المأمورات، وارتكاب المنهيات، مع أنه مستعمل الألفاظ الظاهرة، وأسقط استعمالها بالباطن، لم ينفعه ذلك، بل يكون هذا عليه وبالا، وضارا[1] له ولمن اقتدى به، ولو كان هذا نورا حقيقة لنهاه عن الفحشاء والمنكر[2]، ولكن الشيطان هو شيخه، وقائده للشر المحض، ولذلك اختار أهل الحق الشيخ الناصح المرشد الكامل للمريدين، ليكون لهم عدة في جمع هممهم، وعلامة الشيخ المسلك الموصل إلى طريق الحق الجاذب من النقص إلى الكمال، أن يكون ناظرا[3] لمريده، مشفقا عليه، رحيما به، عارفا بأحواله، الظاهرة والباطنة، بأن لا تخفى عليه شعرة واحدة، كما قال شيخنا بن عزوز رضي الله عنه، والله لو خفيت عني شعرة واحدة من تلميذي لم أعدد نفسي شيخا مربيا إلى غير ذلك، مما قال رضي الله عنه، ويكون الشيخ منهضا له من سنة غفلاته، منقذا له من سوء جهالته، معينا له على سلوكه لربه، داعيا له إلى

---

1 م: وبال وضار.

2 م: + ولتبع ما هوده. ولعله: "وما تبع هواه".

3 م: ناظر.

الصراط المستقيم، وهو اتباع الأمر والنهي، مزهده في دنياه، وما سوى الله، مرغبا[1] في الله وما عنده، محسنا[2] له السير والسلوك إلى مالك الملوك، يرضى في عين الغضب، ويغضب في عين الرضى، حسن الخلق، بشوش الوجه، ليس له عبوسة في باطنه، يعطي كل ذي حق حقه، عالي الهمة الباطنة عن الخلق، معروفا عند أهل الأرض بالتأثير الجاري على يده في أفعال الطاعات لعباد الله المقتدين به مهيبا معظما بين أظهر الخلق، يحترمونه ولا يدرون لماذا يقدرونه، بل هو فضل من الله، وسوابغ نعمه عليه، ولا يعرف له قدره إلا بارئه ومصوره، يرحل الإنسان من ظلمة الجهل في أسرع لحظة إلى نور الإيمان، عالما بالله متفقها في أحكام الله، عارفا بما يقتضيه الكتاب والسنة، متيقنا بالدليل والكشف عيانا، واضعا كل شيء في محله، ناصحا للخلق جميعا ليس في قلبه غل ولا حسد ولا غش ولا حقد، كامل الأنفاس السبعة، ونفس واحد من أنفاسه خير من عمل الثقلين، وله أنفاس عديدة، وأنفاسه المذكورة في كتاب التصوف قيل سبعون ألفا، وقيل اثنان وسبعون ألف نفس، أي أشخاص تفرق على التلامذة وتعمهم من غير تأمل، وكل أحد له شخص من تلك الأشخاص المذكورة، لا يفارقه طرفة عين، ويشاهدون ذلك كلهم، كل أحد بحسب حاله وسلوكه وصحبته وصدقه، والشيخ كالمرآة يرى فيه كل حسن

---

1 م: مرغب.

2 محسن.

وقبيح، وإن قال قائل كيف الأشخاص أي الأنفاس تعم الخلق؟ وما حكم كيفية عموم ذلك؟.

نعم الجواب في ذلك، الشيخ لما أن تم حاله، وكمل في تجليات الحق سره، طلعت شمس المعرفة في باطنه، وأشرقت في أرض القلب وسمائه، فعمت وانتشرت وانفسحت في ملكوت غيبه، فسطع شعاعها في الملك العلوي والسفلي، وانشرح نورها في الملكوت العلوي والسفلي، وانفسح سرها لجلوات[1] الروح في غيب مكنونه، واتسع ميدان ملكها وملكوتها، وصار مقتضى وسعه بمقتضى تجليات الحق ليس لها نهاية، وحيث طلعت هذه الشمس وأشرقت، رآها كل من في ذلك الملك والملكوت، كل أحد يقول رأيت الشمس قد طلعت، وكل أحد يعاين الشمس بقدر بصره، والأعمى لا يرى منها شيئا، وإنما يسمع بالخلق تقول قد طلعت، فيظن، ويتحقق، ولا يدري ما صفة الشمس.

وأما الخلق التي طلعت عليهم[2] فيرونها بحسب نور بصيرتهم، ومثال ذلك أن شمس الدنيا حيث تشرق يراها ما في الكون عند ابتداء طلوعها غير الأعمى، لا يرى لها شيئا، بحيث لم تغب على أحد، ويرى الخلق بحسب بصائرهم، ومنهم من يرى لها صفرة، ومنهم من يرى لها حمرة، ومنهم من يرى لها خضرة[3]، ومنهم من يرى لها زرقة، ومنهم من يرى لها سوادا،

---

1 ط: لجلولان.

2 م : – عليهم.

3م: تكرر: ومنهم من برة لها حمرة.

ومنهم من يرى لها بياضا، ومنهم من يراها صافية، يعني على حالها الذي طلعت عليه في الكون، وهذا كامل النور، أي نور بصره تام، والشمس حالها تام مكمل، ليس فيها غيار، وإنما تختلف باعتبار نور البصائر، فافهم هذا في الشمس الحسية التي تغرب وتشرق، وتكسف، وتتغير بالعوارض التي تعدو عليها إن طلعت أي أشرقت، يراها كل أحد كما هو معروف مشهور، فما بالك بإشراق شمس المعارف، وهو نور ذات الله سبحانه، وكيف لا تعم من طلعت عليه، بل هي عامة في هذه الأمة، أي إشراق الإيمان عام في المؤمنين، غير أن كل أحد منهم يشهد من ذلك الإشراق ما يناسب نور بصيرته كما تقدم الذكر فيه، والأعمى لا يتصور له من ذلك شيئا[1] لأنه ليس له نور يشاهد به ذلك، كالناظر إلى شمس الدنيا يعني إن لم يكن له بصر لا يرى منها شيئا، لأن نور بصره مطموس كما علمت، كذلك شمس المعارف يراها أرباب البصائر بحسب النور المتقدم ذكره، والأعمى لا يرى شيئا، لأنه مطمس البصيرة والعياذ بالله، لقوله تعالى ﴿لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[2] الآية.

فانظر رحمك الله كيف حال المشيخة الربانية الخالصة من آفات القواطع لهم، ولمن اقتدى بهم، وهذا معنى الشيخ الكامل المربي وأوصافه الكثيرة، ولكن اختصرنا في ذكر فضله، وما خصه[3] الله به عن سائر خلقه، وفيه

---

1 م: – شيئا.

2 الحج/ 46.

3 م: أخصه

كفاية، والأهم منه إخراج الخلق من الظلمات إلى النور، وذلك شأن المشيخة الكبرى، أي السلطنة العظمى، والمشايخ تختلف باختلاف الأشخاص، والأحوال، والأمر واسع، وفضل الله عظيم، ذلك فضل الله يوتيه من يشاء، وهذا شأن الكمل من المشايخ، ولابد للمريد من الطب، والدواء من هؤلاء المشايخ لأنهم لم يزالوا في الأرض موجودين، وأثرهم باق إلى قيام الساعة، بدليل قوله صلى الله عليه وسلم "**لا تزال طائفة من أمتي[1] قائمين على الحق**"[2] الحديث، ومن قائل يقول إن أهل التربية والسلوك انقطعوا، الله الله أظن هذا المسكين الغافل لم يذق في دنياه من طعم الإيمان ولم يشم رائحة، ولذلك عبر بهذه العبارة الفاسدة، ورمز بإشارته القادحة، وظن هذا الظن السوء في أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لعله لم يمتثل الحديث، ويدخل هذا في قول القائل: مساكين أهل الدنيا خرجوا منها، ولم يذوقوا من نعيمها شيئا، وكيف يظن هذا عاقل؟ هل أحاط بعلم الله أحد، بل هذا ليس له علم في أحكام الله، وإن كان له علم ببعض مسائل العلوم الرسمية، ليس لها نور، ولذلك غرته حروفها المرسومة ودعاويها المنقوشة في باطنه، وادعاها أنها غاية موصلة إلى المقصود، بل هي حظوظ نفسانية ومردودة عليه في الدنيا بالطرد والبعد من الله، ومسئول عليها وعن رعايتها، فهي غدا يوم القيامة فيما ذا ودّاها، ومعذب عن ترك العمل بها الخ، لقوله صلى الله عليه وسلم

---

1 م: - من أمتي

2 رواه مسلم

"**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته**"[1] الحديث، ولو حصل له علم بالله، ومعرفة بأحكام قدرته، وتفقه في دينه، وتيقن بحقيقة الإيمان لسلم أمره لخلق الله، ودعاهم إلى مصرفهم، وليس له مدخل في ملك الله وهو من جملة ملكه، ولا يدري هو في نفسه ما الله صانع به، وكيف يعبر ويشير ببعض ما يصدر منه في الاعتراض على مخلوقات الله، مع زعمه أن له مدخلا في الكلام، وهو لا يفهم معنى الكلام، ولو فهم معنى الكلام لصمت عنه امتثالا للحديث، لقوله صلى الله عليه وسلم "**الصمت حكمة وقليل فاعله**"[2]، هذا نفسه التي بين جنبيه لم يطلع على عيوبها، وعن ما هو مستمر عليه معها، في اتباع هواها، وكيف يطلع على غيره من مخلوقات الله، ولو كان له اطلاع لاطلع على معائب نفسه، ووسوسة شيطانه، واتباع شهوات حظوظه، بل يلزم هؤلاء الطائفة الملحدين في أولياء الله تعالى، الطالبين النصر من نفوسهم على الإنكار في ذلك التسليم لهم، لأن خلق الله معادن[3] شتى، والمعادن لا يعلم كون صنعها إلا صانعها وناشئها.

وأنت أيها المعترض على هؤلاء السادات العظام، وأولياء الله الكرام، فافهم النصيحة، واقبل القول يا مغرور، وإن كان مرادك في الإنكار عليهم جهلا بهم، أو احتقارا لهم، وارتفاعا عليهم، فانظر الشيطان حيث

---

1 رواه البخاري

2 رواه البخاري

3 م: معادين.

قال: "أنا خير منه" إلى غير ذلك مما صدر منه من الدعاوي في زعمه، أنه خير من آدم، وتكبر عليه فطرده الله من رحمته، وغضب عليه، وجعل لعنته عليه إلى يوم القيامة. أما يكفيك ما في كتاب الله عز وجل وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحكم في ذلك النهي؟ وإن كان مرادك في الاعتراض عليهم حمية للشريعة، فانظر أمرهم أولا قبل الإنكار وقسه على الكتاب والسنة، إن وجدتهم متبعين للسنة تاركين للبدع ممتثلين للأوامر والنواهي، فالتسليم لهم أولى لك، وأسلم لحالك، وإن كان مرادك في ذلك حسدا أو غيرة منهم، لا تفعل، وإن فعلت تب عن قريب واستحلل منهم مع الاعتذار منك لهم، عسى ينقذك الله ببركاتهم مما أنت فيه من نار الحسد، وإنما هذا تفعله أنت لصلاح نفسك وجبرا لانكسارك لا غير، وأما هم لا يضرهم حسدك، ولا يشعرون بما يصدر منك معهم، وإنما أتعبت نفسك في محاربتهم، وهم مشغولون بمعبودهم عنك، وعن غيرك، وإن لم تقبل ولم تتب عن ذلك هوت بك نفسك إلى سجين، ودخلت في لفظ الحديث أن "**الحسد ليأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب الرقيق**"[1]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك "**لا تتباغضوا ولا تتحاسدوا**" الحديث، وإن كنت على هذا الوصف فكيف تأمر الناس بالخير، وتنسى نفسك بالترك لذلك، لقوله تعالى ﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ**﴾[2]، وإن كان مرادك في إنكارك جحودا لما أنعم الله

---

1 رواه أبو داود وابن ماجة.

2 البقرة/ 44.

عليهم من سوابغ النعم، فقد كذبت بكتاب الله، وجحدت ما جاءت به السنة، أما الكتاب فقوله تعالى ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[1]، وأنت جحدت نعم الله، وتركت التحدث بها، واضطرب جأشك بالجزع منها، والفزع من أهلها، وأما ما جاءت به السنة فقوله صلى الله عليه وسلم "**التحدث بالنعم شكر**"[2] أو كما قال، وإن كان مرادك في الاعتراض والإنكار نفي الولاية، والقطبانية، والتربية، والغوثية، إلى غير ذلك، مما يهجس في اعتقادك الفاسد، ويقدح في عبوديتك الشيطانية، إن الزمان قد فسد، وكثر شر أهله، وضعف الدين فيه، وفي زعمك لم يبق من الإيمان إلا اسمه، ومن الولاية إلا أثرها، ومن التربية إلا الخبر، ومن الغوثية إلا البعد، وهذا من الردة والتكذيب بالسنة لقوله صلى الله عليه وسلم "**الخير فيّ وفي أمتي إلى يوم القيامة**"[3]، والحدث الوارد في هذه الطائفة كثير، وتقدم الذكر في ذلك كما علمت، وأما الدين ضعف لا محالة وصار غريبا لقوله صلى الله عليه وسلم "**بدأ الدين غريبا وسيعود غريبا، طوبى للغرباء من أمتي**"[4]، لكنه بحسب الزمان يكون السير، وبحسب الإمكان يكون السلوك كما قال بعضهم:

زماننا كأهله وأهله كما ترى — **يسيرون بسيره وسيره إلى ورا**

---

1 الضحى/ 11.

2 حديث مرفوع

3 أجمع المشايخ على عدم صحة الحديث.

4 رواه مسلم.

وأما الطائفة فباقية في الاستقامة لا يضرهم من خالفهم إلى أن يأتي أمر الله بحسب مقتضى أحوالهم في الزمان، كما نص عليه صلى الله عليه وسلم، وأما قول من قال التربية انقطعت وقوي الحجاب بين العبد وربه، ولا بقى سلوك النفس في الطرق، وانعدم الدواء والطب، لفقدان الطبيب، وانعدم وجوده، ولم يبق للعبد إلا التمسك بظاهر الكتاب والسنة، ويترك عنه حب المشيخة وخدمتها، أو يخدمها على سبيل التبرك لا غير، وأما السلوك والوصول إلى مقام الكمال فقد انقطع، وانتقل مع أصحابه، نعم فهذا من أعظم الجهل والغباوة في الدين، نعوذ بالله من ذلك، وصاحبه سالك سبيل الضلال، وأعمته شهوات بشريته، واسترقته شواغل الامتحان، واستبعدته القواطع، وسوء الخسران، والسلوك لم يزل قائما على حال الجد، فجد سيدي في السير والسلوك تجد شيخا مرشدا كاملا من الملوك، فإن ما حجبك عن وجدان الطبيب إلا كثرة الشواغل والعيوب، وأما الشيخ فهو في كل زمان موجود، ودواؤه ليس بمفقود، فشمر على ساقك، واسحق تلحق أثره، وتسكن جواره، وقال شاعرهم:

الــداء والدواء منشوهما مــني ... وعلمي بذاك يعلم ليس مــني

وطب الأنام والشفــــاء مني ... وليــس ذاك منــي إلا مــني

وطـــاب ثمــار الأكل هم مني ... وعلمــي بــذلك يغني عــني

وصرت أهلا للكل لا تسألني عني ... فإنني قريب الدعوة من حيث إني

قلت شعرا آخر أيضا:

وبقدرة القـــادر استقـــام الكل

ولولا قـــدرة القادر لكان الكـــل

فهامت الروح في ملكوت قدرته

فصار اللسان يعبر عن سر الملكوت

فاستشهد بإشارة لم يفهم معناها

إلا الذي خاض بحـــار الجبـــــروت

وليس كل النـــاس يفهمون ذلك

ولكن يلزمنا التسليم لهؤلاء السادات

لأنهم عاينوا ما لم تحمله عقولنـــــا

وما حملهم عن تعبير ذاك إلا الغلبات

والعبارات تختلف بحسب شرب الناطق

حامل ومحمـــــــــول في العبادات

والناس يا صاح معادن سلم لهـــــم

وكل أحد لـــــــــــــه عبارات

ومنهم من يعبر عن مقام الشوق مغلوب به

مسلوب الاختيار فاني الصفات

فهذا معفو عنه ويسلم له في أمـــــره

فهكذا مرموز في المشروعـــات

ومنهم من يؤذن له في التعبير كيف شاء

وعبارته غني عنهـــا بالتجليات

فهذا لا تضره عبـــارته ولا تنفعـــه

وإنما أجـــراها الله لخرق العادات

فصارت تلك العبارة[1] منهـــم حكمة

أمدّها للمذعنين من الكرامـــات

فهؤلاء عباراتهم إشارات، وإشاراتهم عبارات، ويترجمون عليها رمزا، وحيث تصدر منهم عبارة أو إشارة مرموزة، ويسمع منهم ذلك بعض المستمعين فتطرق تلك الكلمة أسماعهم، فيفهمون معنى تلك العبارة بوفق مقتضى حالهم، كل أحد يفهم معنى غير معنى الآخر، ومثل هذا كثير في الناس، ومنهم الرجل الذي خرج يتكلم في طلب حاجته، ويقول يا سعتر بري، فسمعه ثلاثة رجال كل أحد استفاد من ذلك بحسب ما هو عليه، من غير أن يعلم الرجل منهم ذلك، لأنه تكلم في مراده ففهموه بمعنى مرادهم، أما الأول فهم "اسْعَ تَرَ بري" أي اسع لطاعتنا تجد تيسير برنا، فسعى في الجد والاجتهاد بمقتضى تلك الحكمة، وفهم الثاني "الساعة ترى بري" أي الآن ترى سعة رحمتي، وهذا مغلوب عليه الشوق، ومقبوض القلب لا يعارضه الحزن، مسلوك به طريق الخوف، فراح قلبه لذلك، وزال عنه ما كان يجده من تلك الأحزان والضيق، وانبسط جأشه بطاعة

1 ط: العبارات.

الله، وازداد فرحه ورغبته فيما عند الله، وفهم الثالث "ما أوسع بري" أي ما أوسع تجلياتي، وهذا مسلوك به سبيل النجاة في تجليات الحق، لما أن سمع ذلك فهم معنى زيادة الحال في تلك الساعة، وازداد صدره في الاتساع والانفساح والانشراح، فسعى في الرغبة في حضرة ربه وهذا معنى العبارة التي تكلم بها الرجل وهي كلمة واحدة، واختلفت باختلاف[1] فهم معناها، والكلام هنا في معنى عبارة السالكين كثير، ويطول ذكره ولكن ما ذكرنا يكفي لمن أذعن إن شاء الله، والعبارات تختلف باختلاف المواهب والأحوال، وعلى قدر السير يعبر المسافر، وأحوال السالكين مواهب، ومواهب الله لم تنحصر، والعبارات في ذلك تتصرف، ومنهم من يليق[2] به التعبير، ومنهم من يليق به الكتم، إلى غير ذلك مما تقدم ذكره في فائدة التعبير.

وفرغت من الكلام في أوصاف الشيخ الكامل المرشد المنقذ من ظلمات الجهل، الموصل إلى نور الإيمان، وأردنا الكلام في التلامذة أي ما علامة المريد الصادق السالك القابل للسلوك والإرشاد، وما صفته وما حكمه وما أدبه وما يقرّبه لحضرة ربه، وما يبعده، وما يعينه على طاعة ربه، وما يهينه؟.

الجواب في ذلك نعم، قولنا المريد يعني مريدا بنيته، ما قصده من مولاه عند دخوله في الطريقة، أي أخذه للورد من قبول التوبة منه تعالى،

---

1 م: - باختلاف.

2 م: يلق.

والصفح عن سيآته، وغفران ذنوبه، إلى غير ذلك مما أراده منه في أول ابتدائه، لقوله صلى الله عليه وسلم "**إنما الأعمال بالنيات، وإن لكل امرء ما نوى**"[1]، وأولى[2] ما يبدأ به الإنسان في كل حالة النية، ومبادي الأعمال كلها بالنية، ولا ينتج عمل عدم منه النية، والنية رأس كل عمل وفعل، ولا تصح معاملة الظاهر والباطن إلا بالنية، وإن عمل الإنسان عملا من الواجبات عليه، و لم يعقد فيه نية بطل، وأعاده مطلقا، والنية أصلها اعتقاد يحصل في الباطن خيرا كان أو شرا، ولذلك أعمال الجوارح لا تتحرك إلا عن نية نشأت في الباطن، وإن انعدمت النية انعدم العمل، من حيث هو، وكذلك مريد الطريقة لابد له من نية صادقة أولا، وظن حسن، واعتقاد صالح، في الله والرسول، والقدوة، وآكد ذلك قدوته، أنه دليله وموصله للحق، والحق هو معرفة الله ورسوله، ولا تتمكن معرفتهما إلا بمعرفة الشيخ الكامل المتقدم ذكره أولا، فلا يتأتى معرفة ذلك البتة إلا حيث الفطرة الأصلية، مع عدم الطبيب، فيسلك الطريق إن كان له أهلية في ذلك، باتباع الكتاب والسنة، بحسب حال ترقّيه في ذلك، وإلا فالأولى له الشيخ، ولابد من أن يخيله بين عينيه، أي يخيل صورته، وصورة النبي صلى الله عليه وسلم، يشهد لذلك قول سيدي عبد الرحمان باش تارزي في الرحمانية في شأن المريد الداخل في الطريقة

وخيل الطرفين من باشرت بالتلقين كأنهما إمامين فالأول نبيا

---

1 رواه البخاري ومسلم وابن ماجة والبيهقي.

2 م: وأول.

والطرفين هو النبي صلى الله عليه وسلم والشيخ المربي، ويجعل صورة الشيخ عن يمينه، والنبي عن يمين الشيخ، وهو أولهم، قوله: من باشرت بالتلقين أي من باشرك بتلقين لا إله إلا الله، وهو النبي صلى الله عليه وسلم، والشيخ.

اعلم أن الشيخ لا يفارقه النبي صلى الله عليه وسلم طرفة عين، كما قال سيدي ابن عبد الرحمان الأزهري نفعنا الله به: لو يغيب عني النبي صلى الله عليه وسلم طرفة عين لم أعدد نفسي من المسلمين. وكذلك الشيخ الكامل في الطريقة، لا يفارقه سيد الوجود، ولذلك قال سيدي عبد الرحمان: من باشرت بالتلقين كأنهما إمامين، لأن الشيخ مهما لقن المريد، والنبي صلى الله عليه وسلم معه حاضر، ولذلك ذكر المباشرة، ولا مباشرة أرفع وأعظم من هذه المباشرة، فبتخيل صورة الشيخ، تحصل صورة المصطفى صلى الله عليه وسلم، وإن حصلت صورة النبي صلى الله عليه وسلم حصل لك كل خير في الحضرة السنية، ولا يتمكن المريد من صورة النبي صلى الله عليه وسلم إلا بعد تمكن صورة القدوة منه، ولذلك قال: فالأول نبيا، لأن الذي يلي المريد هو الشيخ والنبي إمام الكل، والمطلوب من المريد في ابتداء أمره أن يخيل صورة الشيخ أولا، ويقدمها على صورة النبي صلى الله عليه وسلم، لأن صورته بعيدة منه عند الابتداء، نعم إن قدر على تخييلها فذلك وإلا فالأولى أن يخيل صورة القدوة أولى له، وبصورة القدوة تحصل صورة النبي صلى الله عليه وسلم.

فعليك أيها المريد بتخيل صورة الشيخ ما أمكنك الوصول لها، بحسب مقتضى مشاهدتك لها، لأن الشيخ كالمرآة كما تقدم، لابد من شروط وآداب[1] تستصحبها مع الشيخ، وتلازمها أولها النية الصادقة معه، والاعتقاد البالغ فيه، والإكثار من الذكر أثناء الليل وأثناء النهار، واتباع أمره، وحفظ حرمته ميتا كان أو حيا، كما هو مذكور في الرحمانية، وكسر ميزانك لميزانه، حتى لا تبقى لك شعرة واحدة تتحرك إلا بإذنه، أو بمراد منه، واعمل بكلامه، ولو كان خطأ[2] كما قال سيدي عبد الرحمان المذكور، أي ربما يبرز لك منه كلام لم يوافق مرادك، أو مراد ما أنت مدعيه من بعض العلوم النقلية أو العقلية، فاقبله منه، وصدقه فيه، ولو ظهر لك الخطأ فيه، أي في كلامه، واتبع[3] أمره، لأن أمره بأمر الله، لا يخالف الأمر قط، واحفظ حرمته، سواء كان غائبا أو حيا، لأن الشيخ الكامل لم يمت، وإن حضر أجله انتقل من دار إلى دار لا غير، فالواجب على المريد الصادق أن يحفظ حرمة شيخه عند الموت كما[4] ما كان في الحياة قال سيدي عبد الرحمان: بعد موته حي كيف ما كان حيا، أي بعد موت الشيخ يبقى حب المريد على الأصل الذي كان عليه الشيخ حيا، بحيث لم يفسد له اعتقاد، ولم تخل له نية قط، بل يبقى ثابتا على مكانته،

---

1 م: وأدب.

2 م: خطيا.

3 ط، م: تبع.

4 ط: كيف.

وحافظا لحرمته أشد الحفظ، لأنه يربي في قبره، كما[1] ما كان يربي في الدنيا، وتربية القبر أقوى تربية، لأنا شاهدنا نحن منه ذلك بعد موته، يعني خرج أي برز لنا مدد عظيم من مدده الجاري، ولازال ذلك[2] المدد الجاري يتزايد ويمتد لنا ولغيرنا إلى الآن، وشاهدنا في ذلك تربية عظيمة رفيعة ومهابة، لم نشاهدها[3] في حياته رضي الله عنه، ومدد الولي لما أن كان جاريا[4] من تجليات الحق لم ينقطع ولو بعد الموت، كما قال سيدي مصطفى البكري رضي الله عنه، ولما أن ثبت لهم ذلك المدد الجاري عن أيديهم في الدنيا للمريدين، لم ينقطع عنهم بعد الموت، ويبقى جاريا[5] يظهر بسبب خليفته الذي خلفه في الدنيا، ويمتد لهم على يده حسا، وهو جار من مدد القدوة المذكورة في القبر معنى، وهذا معنى خفي عن بصائر الضعفاء، ولذلك دخلهم خلل في ذلك، وظنوا أن كل من خرج من الدنيا خرجت معه بركاته، وهذا ظن فاسد، واعتقاد خاسر، نعوذ بالله من ذلك، وإنما هذا المكر لا يكون إلا لمطموس البصيرة، وضعيف اليقين، وذلك كله من عدم صحة الربطة مع القدوة في الحياة، لأن من صحت إرادته وعقيدته مع شيخه في الدنيا لم تنفك له بعد الموت، أي من صحت

---

1 ط: كيف

2 م: تلك.

3 ط: نشاهده.

4 م: جاري.

5 م : جاري.

له في حياة شيخه لم تفته بعد الموت، أي بعد خروج قدوته من الدنيا يثبت على الحالة التي هو عليها، ولا يزلزل عنها، والمدد الجاري عن يد الخليفة من بعده للخلق فهو من الشيخ، وباق مدد الشيخ يتزايد في الدنيا إلى قيام الساعة، وعلامة ذلك التأثير الجاري في تلامذته في الدنيا، وعن يد تلامذته بعد موته إلى ما لا نهاية لذلك، وهذا معنى الشيخ الكامل المربي لم ينقطع مدده في الدنيا وفي الآخرة، لأن مدده استمده من سيد الوجود، وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورسول الله استمده من جبرائيل عليه السلام، وجبرائيل استمده من رب العزة، والطريقة مسلسلة من أحد إلى أحد إلى أن تبلغ سيد الخلق صلى الله عليه وسلم وهكذا مروية، ومن اعتقد أن مدد الشيخ ينقطع بخروجه من الدنيا فقد غلط، وضل وأضل، وعمي وأعمى.

وعليك سيدي بصحة الربطة مع القدوة في ابتداء أمرك تنتسج لك ثمرة ذلك عند الانتهاء في الأمور، ولا تخالف عليه في شيء أبدا، بل سلم له في جميع الأمور، ولا تعترض عليه في شيء مما يظهر لك منه من الخطأ، وإنما الخطأ الذي ظهر لك منه هو من نفسك، وبحسب اعتقادك فيه يظهر لك الأمر معه، يعني إن كنت مسيء الظن به تنكشف لك بشريته وتنقص، أي تخس[1] بين عينيك أفعاله الظاهرة بمقتضى الحجاب، وتنحجب خصوصيته عليك الباطنية، حتى لا يظهر لك منه إلا ما يجب منازعتك فيه، وهذا شر منك، وسبب اعتراضك عليه بقلبك، كما قيل من قال

---

1 م: تخسر.

لشيخه لم؟ لا يفلح أبدا، وأحرى بلسانه، وإياك والإنكار على القدوة، فإنه يورث لك في قلبك الاعتقاد الفاسد، وظن السوء والعياذ بالله، واعتقد فيه خيرا بنية صادقة، وسلم له أمرك كله، بحيث لم يبق لك معه بحث ولا منازعة في باطنك، بأن لا تخفي عليه في منامك ويقظتك شيئا أبدا، محمودات أو مذمومات، مجموعات أو مفردات، والمفرد لا شيئا[1] وهذا كله في الرحمانية، فانظر تجده بوفق المراد، يعني لا تكتم عنه الخاطر المذموم، أو المحمود، والمنام كذلك، وتخبر بالذي يسرك، وما يخذلك تكتمه عنه، وهذا من الخيانة، والله لا يحب الخائنين، سواء كان الوحي مجمعا أو مفردا، والمفرد لا شيئا، أي بعض المفردات التي لم تكرر عنك لا شيئا، أي لا[2] تكتب ذلك، ولا[3] تخبر به، لأنه باطل، والذي يتكرر عنك وأراد أن يشغلك فاحكه للقدوة، يزول عنك ببركاته، لأنه صحيح مجرب من غير شك، وبعض المفردات تكتب للقدوة، وهي رؤية الشيخ من غير تكرار، ورؤية النبي صلى الله عليه وسلم، ورؤية رب العزة، والجنة والنار، وهذه الخمسة سواء تكررت أم لا لم تخف عنه، والقدوة بأحوال المريد بصير، فلا يطلب منه تفسيرا في ما يحكيه عنه من أحواله، بل يلقيها إليه ولا يسأله في تفسير ذلك، لأنه عالم بما يوافق أحواله، إن سكت فذلك، وإن نهاه ينتهي ولا يجهر له بالقول، ولا يرفع إليه طرفه، ولا يواليه ظهره،

---

1 كذا في ط، م.

2 م: لم.

3 م: ولم.

بل يواجهه بوجهه، ولا ينظر إليه، وإن كان معه لا يستند إلى جدار، ولا يقهقه بحضرته، ولا يكثر من جلوسه، ولا يترك وعظه. وأما قولنا لا ينظر له، لأننا سمعنا شيخنا سيدي محمد بن عزوز رضي الله عنه مشافهة يقول: الشيخ سيدي عبد الرحمان لم أدر ما صفة وجهه، وما شعر لحيته إلى أن مات، لم أعرف له وجها، وحيث سمعت أنا منه هذا الكلام، ظننت أنه أراد منا رضي الله عنه التربية في ذلك، بأن لا نكثر النظر في وجهه، وتوقع في خاطري هكذا، وكان الأمر كذلك، نعم ويكرم أولاده وأقاربه وجيرانه وأحباءه، وكل من يلوذ به، ولا يعقد على زوجته ميتا كان أو حيا، لأن الشيخ المربي بمترلة الأب، والأب لا يعقد على زوجته أحد من أبنائه، بل يحرم عليه ذلك بالإجماع، وكذلك شيخ التربية لا يعقد أحد على زوجته سواء كان القدوة ميتا أو حيا، بل تحرم زوجته على المريدين، لأنهم أولاد على الحقيقة، وخرجوا من نور القلب، وسقاهم منه كأس الشراب، أي كأس المحبين، ورضعوا لبنه، وتغذوا به، وأغناهم عن كل اللذائذ، وذاقوا منه طعما أي طعم الإيمان، وفطمهم بذلك عن اتباع مألوفاتهم وشهواتهم، ونشأوا في عبادة مولاهم، وهذا معنى قول الشيخ ابن عزوز رضي الله عنه: لولاه ما كنا أي لولا الشيخ ما كنا في الوجود أي ما خرجنا من عدم الجهل إلى نور الإيمان، وكذلك الأمر رضي الله عنه.

وأنت أيها السالك إن دخلت في الأوراد ألزم حالك بما أنت فيه، من الجد والاجتهاد والمخالفة للنفس، وعكوفك على ما أنت بصدده، وهو جلب

حضورك مع المذكور، ونفي الخواطر من القلب، وجمع الهمم لهم واحد، وهو الله ما أمكنك، وإن كنت على هذه الحالة بحسب ما أنت عليه من أفعال الخير، لا تطلق زوجتك إن كنت ذا زوج، وإن لم تكن عندك فالزم وقوفك بالباب، وجاهد النفس، ووف حقوقها، لأنها صارت لك بمنزلة الزوجة، وعقدت عنها باتباع الهوى، وجامعتها بلذيذ الشهوات، وعبدتها من دون الله، وكيف أنت لم توف للنفس حقوقها؟ لقوله صلى الله عليه وسلم "**ولنفسك عليك حق، ولزوجتك عليك حق، ولربك عليك حق**"[1] الحديث، وأنت تريد نفسا آخر، وهي الزوجة، وكيف إن اجتمع[2] عليك نفسان[3]؟ يعني نفسك أنت، ونفس المرأة التي أردتها؟ وكيف النجاة والسبيل من هؤلاء الأنفاس، وقد[4] اجتمعن عليك؟ والشيخ قال:

إن دخلت في الأوراد لا تطلق يا مراد

والزم حالك بالإفراد لا تزيد الزوجيا

وأنت أردت الزيادة، وكيف الحيلة في ذلك؟ وأنت لم توف حق واحدة منهما، لعلك لم تمتثل فقف حيث وقفت ممتثلا لأمر الشيخ لك، وهو قال: لا تطلق يا مراد أي إن كانت لك زوجة واحدة لا تطلقها، وتأتي بأخرى بل الزم حالك بالإفراد أي بالزوجة الواحدة لا تزد أي لا تزد

---

1 رواه البخاري.

2 م: اجتمعا.

3 م: – نفسان.

4 م: – قد.

زوجة أخرى، وجد واجتهد في قطع العلائق من قلبك[1]، وهو غير الله.
وإن لم تكن لك زوجة فالزم حالك بالإفراد أي بإفراد نفسك واشتغالك
بتوفية حقوقها، وقطع شهواتها لأنك اتخذتها زوجة، ودخلت عليها في
الحرام باتباع الهوى، وصرت تجامع فيها بارتكاب المناهي، وترك
المأمورات، لا تزيد الزوجيا أي لا تزد عليها زوجة فيهلكاك، ومثال ذلك
في الزوجة والنفس يعني الزوجة شهوة عاجلة، ولذة بشرية، والنفس
كذلك، لما أن كانت سفلية بشهواتها، صارت هي في نفسها لذة عاجلة،
وشهوة بشرية، فالواجب على الإنسان أن يسعى في الخلاص منها، إن
كانت له زوجة، ولا يزيد أخرى، وإن لم تكن له زوجة فليشتغل بنفسه
أولا، وإن غلبت النفس عليه فليكابدها بالجوع والسهر والعزلة، ومخالفة
العادات، إلى غير ذلك من الرياضات ومخالفة النفس، تارة بتارة إلى فتح
البصيرة، وكمال النفس فعند ذلك يفعل ما بدا له، فإنه لا يضره شيء،
قال سيدي عبد الرحمان:

إلى فتـــح البصر افعل ما قد ذكر
أنت من أهل الحضرا لا تضرك الأشيا

وفتح البصيرة في ذلك ليس كما نفهمه نحن، ومخالف[2] لنا ونحن عندنا فتح
البصيرة زوال الحجاب بيننا وبين الفتوحات[3]، وانكشاف المغيبات،

---

1 م: قبلك.

2 م: خلافا.

3 م: الفتحات.

ووصول الحضرة الإلاهية، والإخلاص في العمل، ووجدان حلاوة الطاعات، إلى غير ذلك مما عليه فهم ضعف يقيننا.

فتح[1] البصيرة على ثلاثة أقسام، القسم الأول انكشاف معائب النفس، وظهور الحق حقا[2]، والباطل باطلا[3]، والقسم الثاني الفناء عما سوى الله، ومحو الصفات البشرية في صفة الحق، وفناء عن الفنا، والقسم الثالث وهو البقاء بالله تعالى عيانا، وهو مقام الصحو، والصحو لا يكون إلا لمن فتح الله عليه رؤية تجلي الذات بكمال صفاء بصيرته، وهذا فتح البصيرة الحقيقية[4]، وهذا معنى قوله رضي الله عنه: إلى فتح البصيرة، وهذا إن بلغ هذه الفتوحات[5] يفعل ما قد ذكر، لأنه من أهل الحضرة لا تضره الأشياء، لأن الأشياء كلها صارت طوع يديه وتخدمه، وهذا القسم الثالث في فتح البصيرة أعلى القسمين المتقدم ذكرهما، والقسم الثالث صاحبه سالك ومتدل، لأنه[6] مر على المقامات في سلوكه صاعدا وراقيا بالجد والاجتهاد، كما تقدم، إلى أن وصل نهاية السلوك، عند ذلك لم يرجع لتدليه، لأنه تدلى في سيره وسلوكه، وحيث وصل إلى المقصود انتهى

---

1 م: وفتح.

2 م: حق.

3 م: باطل.

4 م: الحقيقة.

5 م: الفتحات.

6 م: – لأنه + أما.

سلوكه، وبقي في مدد التجليات راقيا، إلى[1] أن تدليه في الأمر والنهي باق على حاله الأول، بل ازداد في ذلك على أول ابتدائه بخفة المشاق في عبادته، بحيث لم تفارقه راحة القلب طرفة عين في تلك الحالة، وأما المتدلي هو المجذوب كما تقدم الذكر فيه، يعني بدايته نهاية السالك، وهذا يليق[2] به التدلي عند انتهاء المقصود، لأنه لم يعرف الطريق ولا الدليل، لأنه في تدليه يستدل بالمؤثر على الأثر، كما أن السالك يستدل في سلوكه بالأثر على المؤثر، ولذلك السالك حيث ينتهي سلوكه لم يرجع إلى الأثر سوى أثر المشروعات، كما قلنا، لأنه استدل به[3] على المؤثر، ولا حاجة له به[4] عند انتهائه.

وأما المتدلي لابد له من الرجوع إلى الأثر أي الكائنات باتباع الكتاب والسنة، لأنه مسلوك به في بحر التحقيق أولا، إلا أنه لم تحصل له مشقة في تدليه، ولا تأمل، لأنه يستدل بنور الذات، ونور الذات أوضح الأنوار المتقدم ذكرها، ولذلك لم يحصل للمستدل به تعب، وأما السالك لما أن استدل بغير الله على الله أولا، تعسر عنه السير والسلوك، وطال سفره في ترقيه، وبقي مسلوكا[5] به في بحر الأثر إلى أن شاهد الحق فيهم مكمون[6]

---

1 كذا في ط، م. ولعله: إلا.

2 م: يلق.

3 م: بهم.

4 م: بهم.

5 م: مسلوك.

6 كذا في ط، م.

في الظواهر، ولا يصل أحد ذلك إلا أن دخل ميدان الأفكار، والاعتبار في سير مصنوعاته، وإلا فلا سبيل له إلى ذلك، وأما المجذوب المتدلي يرجع تدليه، ويمر على المقامات بسهولة، ولا يلحقه عناء في تدليه، ويستدل في تدليه بنور الذات على نور الأسماء، وبنور الأسماء على نور الصفات، وبنور الصفات على نور الأفعال، وبنور الأفعال على نور كون الخلق، وبنور كون الخلق على نور صنع الاعتبار، وبنور صنع الاعتبار على نور الفكرة، وبنور الفكرة على نور الذكرة، ومن هنا ابتداء السالك في سيره، ولذلك استدل السالك أولا في ابتداء أمره بالذكر، أي بنور الذكر عن الفكر، وبالفكر عن الاعتبار وبالاعتبار عن الأفعال، وبالأفعال عن الصفات، وبالصفات عن الأسماء، وبالأسماء عن الذات، ومن هنا ابتداء المجذوب، والكلام في هذا المنوال يطول ذكره، واختصرنا في ذكره، وما ذكرنا يكفي لمن أذعن وأراد منازل الأحباب، والله الموفق للصواب بمنه وجوده إن شاء الله.

فتـــح البصيـــرة:

ونرجع للكلام في فتح البصيرة، وهو الوقوف في باب التجليات أي تجليات نور الذات الأعلى، وباب التجليات هو عدم إحساس البشرية بحيث لم يبق هناك إشعار بشيء قليل غير الله، ومفتاح باب التجليات بعد النزول من الغيب من سماء الحقوق إلى أرض الحظوظ، الصحو في بقاء التجليات، والمحو لأوصاف الممثلات، والممثلة هنا عندهم خرق العادات في أصناف الكرامات، وهنا في بقاء التجلي تضمحل وتهلك تلك الأشياء، لقوله تعالى: ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ**﴾[1]، أي إلا وجه الحق، وهو تجليات نور الذات، ومفتاح هذا التجلي الصحو في البقاء المذكور، واسنانه دوام الحضرة الجليلة، بأدب القرب منه، وعدم الالتفات للخوض في تلك التجليات، لأن السالك مهما خاض في بحر تجليات الذات الهدم عزمه، وانعدم سيره، وبطل اجتهاده، وانحل عقده، وأشرك بالله، لقوله صلى الله عليه وسلم "**والخوض في ذاته إشراك**"[2] الحديث، وباب البيت لا يستقيم[3]، أي لم يفتح[4] إلا بالأسنان، وأسنانه خمسة، والمجتهدون أصحاب المكابدات والمخالفات لابد لهم من باب يدخلون عليه، وإلا فلا

---

1 القصص/ 88.

2 لم نعثر عليه في أي من كتب الحديث.

3 م: يستقام.

4 م: ينفتح.

سبيل لهم إلى دخول الإيمان غير الشهادة المذكورة حاصلة لهم بالإيمان الأصلي، فصار لهم مفتاح من غير باب لم ينفعهم ذلك، لكنه يرجى لهم الفضل بذلك كما تقدم الذكر فيه، فبابهم التوبة، ومفتاحهم الذكر أي لا إله إلا الله اعتقادا وجزما، وأسنانه قواعد الإسلام الخمسة وهي الشهادتان باللسان، والصلاة، والزكاة، والحج، والصوم، وهذه الخمسة إن سقط منها[1] واحد، لم يفتح له الباب، كما هو مفهوم معروف عند أهل السنة، كذلك أرباب التجليات أي تجليات الذات لابد لهم من باب يدخلون عليه، ومفتاح وأسنان، فالباب الذي يدخلون عليه الخروج من الكون بأسره، إلى المكون، وهو الله، ومفتاحه عدم الإحساس والإشعار، والغيب في تجليات الحق، وأسنانه خمسة، وهي المحو، والصحو، والبقاء، والعيان، والعجز، هذه إن سقطت منها[2] واحدة لم يفتح الباب، ويبقوا[3] خارج الباب ينتظرون، من فرج الباب التي تكون فيه إلى داخل البيت، ويبقوا[4] تاعبين في مكابدة فتح الباب بذلك المفتاح، لأنه لم يجعلوا له أسنانا صحاحا، بوفق[5] مخرجهم، وإن جعلوها يجعلوها[6] على غير وفق المراد المذكور، فلم يفتح لهم الباب ويحصل لهم التعب بوقوف الباب، وطول

---

1 ط، م: منهم.

2 ط، م: منهم

3 كذا في ط، م.

4 كذا في ط، م.

5 ط: يوفق.

6 ط، م: جعلوهم يجعلوهم.

المدة حتى يئول أمرهم إلى الإياس من فتحه، فيرجعون من حيث جاءوا والعياذ بالله، أو يكسر الباب فيخرج له حافظ البيت فيضرب عنقه، أو يدخل من باب آخر غير هذا الباب المأمور به، ويعدل إلى غير باب الحق، وتظلم عليه الطريق، ويتلبس عنه الحق بالباطل، ولا يدري في أي واد هو ذاهب، فيهلك مع الهالكين، وهذا معنى الأبواب المذكورة، كل باب له ما يناسب الداخلين عليه، وإن أخطأوا في واحدة مما هو مناسب لتلك الأبواب ضلوا وأضلوا[1]، يعني ضلوا في نفوسهم، وأضلوا غيرهم المقتدين بهم، وكثير من العباد والزهاد والعارفين رجعوا من الطريق إلى من حيث رحلوا، وهذا لا يكون إلا من عدم اتباع الأمر والنهي، فتلبس عنهم، ولذلك، ومن عدم صحة ابتدائهم انهدمت أركان نهايتهم، وهذا معنى تجلي نورالذات، ولا يفهم معنى هذا التجلي إلا من عدم[2] إحساسه، وانهدمت رسومه، ودامت حضراته، وبقيت تجلياته، وإلا ففهمه باطل، ويقينه ناقص، وعلمه غير راسخ، وعمله عدم، ولذلك الصوفية رضي الله عنهم بقيت[3] الإشارة بينهم في هذا السر مرموزة لا يفهمها إلا هم، ولا يعبر عنها سواهم، وجرت هكذا عادة الله في أوليائه مخافة أن تظهر للعامة فيدعيها من ليس أهلا لها، فحفظها الله وسترها عليهم، حرمة لعظيم قدرها، وتشريفا وتعظيما لحرمة الله، لحكمة أجراها هو في خلقه، لا

1 م: وضلوا.

2 م: عدمت.

3 بقت.

بعسمها إلا هو، وأولو العلم بالله، أي أهل الحكمة البالغة في تلك الإشارات، فهذا معنى فتح البصيرة التي أشار إليها سيدي عبد الرحمان بقوله: إلى فتح البصيرة، وفتح البصيرة هو التجلي المذكور لا يكون إلا للنادر من الخلق، والنادر لا حكم له.

وأما الكشف والاطلاع على الضمائر، وفتح باب الكرامات، ومواهب العلوم الربانية، والاطلاع على الجنة والنار، وحور العين، والعرش، والفرش، إلى غير ذلك مما يطلق عليه الكشف في مخلوقات الله تعالى، فهو ليس بفتح بصيرة، وإنما هذا دال على فتح البصيرة لا غير، وعلامات دالة على الخير، والوصول إلى الله، وهذا الكشف الذي ذكرناه ربما هو حظوظ للنفس، وكل ما فيه للنفس حظ فهو قاطع عن طريق الحق، سواء كان عاجلا من الدنيا أو آجلا من الآخرة، وإنما المقصود منها حال ظهورها، وكشف معانيها أن تدلك على صانعها وخالقها، وتعبر عنها إلى مكونها، مع عدم الوقوف مع شيء يعجبك منها، وإن وقفت مع شيء من ذلك توقف المدد عنك، بحيث لم تر في ذلك زيادة في سفرك، وربما تكدر عليك الوارد، ورجعت من حيث جئت، فصارت الكرامة والأسرار لا حاجة بها للسالك، أي في الوقوف معها، بل هي موصلة له، ودالة على الحق، لأن الناقد بصير، وثم من الأعمال، أي أعمال العبد المؤمن كما هو مذكور ومنصوص عليه، ما تصعد إلى سماء الدنيا، فيشيعها ملائكة سماء الدنيا بالذكر والثناء، إلى أن تبلغ السماء الثانية[1]

1 م: الثاني.

فيتلقاها[1] أهل السماء فينقذونها[2] فيجدونها[3] بوفق مرادهم، فيشيعونها كذلك إلى أن تبلغ السماء الثالثة، فينقذونها كذلك فيجدونها بوفق المراد، وهكذا إلى أن تصل بين يدي الرب جل جلاله فيقول لهم ما علمتم من عبدي، وهو أعلم بذلك، فيقول أهل السموات السبع والعرش والكرسي ما علمنا منه إلا خيرا، فيقول لهم الله أنتم الحافظون عليه، وأنا الرقيب على أفعاله، عليه لعنتي، غركم وغر الآدميين، ردوا عمله على وجهه.

فانظر سيدي ما أعظم هذا الأمر، حيث لم يخلص العبد العمل لله، بحيث لم يطلع أحد على ما انطوت عليه الحقائق منه إلا الله، ورأى منه الملائكة بحسب ما اقتضته الحكمة فيهم، ولم ينفعه عمله لأنه مشوب بالعلل المذكورة، ولا يعلم هذه العلل منه إلا الله لا غير، وهذا دال على أن العبد إن خاضت روحه في الملكوت الأعلى، وهو العرش، والملكوت السفلي وهو الفرش، لم يفرح بذلك، ولا يظن أن هذا هو الغاية حتى يخلص عمله لله، ولا يشرك به شيئا، وإلا فيرجع إلى مكانه الأول، فدل هذا على أن فتح البصيرة موت النفس عن شهواتها، وسكون الروح عن الاضطراب في تجلياتها، وانعدام الإحساسات[4] المعنوية في سر سر سرها[5].

---

1 ط، م: فيتلقونها.

2 وكلمة فينقذونها لعلها : فينقدونها.

3 م: فيجذبونه.

4 م: الإحساسة.

5 م : في سرسرها.

فانظر سيدي هل لك من علامة في هذه المعاني المرموزة في فتح البصيرة فافعل ما بدا لك، فإن الإذن المذكور قد حصل لك، ولم يضرك شيء، لأن الكون افتقر واحتاج إليك بأسره، وصار ملكا لك، حيث أعرضت عنه، ثم بعد إعراضك أقبلت عليه بالصحو المذكور في تجليات ربك، فلم يضرك الإقبال عليه ببشريتك، وحيث نظرت أنت في نفسك عند رجوعك للصحو، ولم تجد ما تجده قبل إحساسك، فافعل ما بدا لك، ولا تخف فأنت محمود العاقبة إن شاء الله تعالى، لأنك اتصفت بالأوصاف الكريمة، وهو العفو، والحلم، والصفح، الخ، المذكور في قوله ﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾[1]، فخذ العفو أي خذه من مولاك، واعف أنت عمن ظلمك، حيث أخذته وتمكنت منه، وأمر بالعرف أي بالمعروف، والأمر بالمعروف هو إرشاد الخلق، وبذل الصدقة، وهو الواجب في حقك لأنك أهل للأمر والنهي، وصار أمرك ونهيك لله خالصا، ولذلك صار أمرك للخلق بعفو ولطف وحلم ورقة، كما قال تعالى ﴿**خُذِ الْعَفْوَ**﴾ لأن من أخذ العفو وجب عليه الأمر والنهي، وإلا فلا، قال الله تعالى ﴿**خُذِ**﴾، ثم بعد أخذ العفو قال ﴿**وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ**﴾ وهي دلالة معرفة الله تعالى، وبذل الصدقة للفقراء، الصدقة الحسية والمعنوية، أما الحسية فهي الإعطاء من حطام الدنيا إن وجد للفقراء، وإلا فالله غفور رحيم، وأما المعنوية وهو أن يتصدق بما أنعم الله عليه من

---

1 الأعراف/ 199.

العلوم اللدنية للفقراء، وهم الإخوان أي كل فقير إلى الله، محتاج مضطر يبذل له من تلك الصدقة، أي تلك النعم المذكورة التي يتوادها[1] أهل الصوفية بينهم، على الحكم الشرعي، لا على وفق أغراض الناس كما علمت، وأعرض عن الجاهلين، أي آمر بالمعروف بالشرط المتقدم ذكره، وأنه عن المنكر، كذلك، وأعرض عن الجاهلين أي على المعاندين الجاحدين، إن لم يذعنوا للأمر، فأعرض عنهم بالصفح، عما يبرز منهم لك، وما يصدر بأن لا تدعو عليهم ولا تؤذيهم بشر، وإن أمكنك الحال في ذلك ادع لهم بخير، عسى يجبر الله عقولهم، ويتوبون من قريب، أو تخرج من أصلابهم نطفة طاهرة تقر بها العيون، كما كان يفعله صلى الله عليه وسلم، وهذا إن حصل لك الشرط المتقدم في فتح البصيرة، وإلا فاصرف عنان نفسك عما أنت فاهمه ومتيقن به، فإنه فهم الجهال، ويقين الضعفاء، وإيمان الناقصين، واسع في طلب الإعانة من ربك ليخرجك من هذا الفهم السوء، والعلم الضار، وليكون أسلم لك وأنفع وأليق، لأن منازل الأحباب لا تلحق إلا بفتح الباب المتقدم ذكره، وإلا فهو مغلوق[2] لم يفتح، فالفتوحات كثيرة لم تنحصر، وفتح باب التجليات أعظم الفتوحات، وأرفع الدرجات، وأمكن في المراتب، ومن لم يصل إلى هذا المقام، ولو نزل أعلى المراتب يخشى عليه من القطيعة، وغير الله كله مكر، ومن آمن مكر الله خسر، لقوله تعالى ﴿فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ

---

1 م: يتوادادها.

2 كذا في ط، م.

﴿الْخَاسِرُونَ﴾[1]، وأصحاب مقام تجليات الذات لم يفقدوا من الأمر ما يفقدون، و لم يحسوا من نفوسهم ما يحسون، و لم ينعدم عندهم ما ينعدم، فما رأوا أجساما بلا أرواح، وأرواحا بلا أجسام، وليس عندهم فقد ما يفقدون، فهؤلاء أحاط بهم بحر الأمر، ولم يشعروا بإحاطته بهم، بل استغرقوا في بحر التجليات.

وخاضوا في نور الجلال والجمال بأرواحهم

ورشحت بسر ذلك ذواتهـــــم

وعبرت عن ذاك بأنواع العبارات ألسنتهم

ورمزت برمز الإشارات نواطقهم

وفهمت عن الله بيقين ســــــــــرائرهم

وانهدمت بذاك شواهق أنفسهـــم

وذهبت الرسوم المنقوشة في أســـــرارهم

وذهلوا عن الكون بمحو صفاتهـــم

وغابوا في تجليات الحق بانمحاق الحق عزائمهم

ثم رجعوا من سماء الحقوق إلى أرض حظوظهم

فظهرت لهم بعد ذاك شمس أسرار معرفتهم

فزال الحجاب عن كون بصائرهم

---

1 الأعراف/ 99.

فشاهدوا من عجائب الذات ما يسر أرواحهم

فأغناهم عمن سواه ولباهـــم

وقلت أيضا[1]

فطابت ثمارهم لقطف أزهارهـــــا

لمن اغتنمهم وعرفهم وأدناهـــم

نالوا من تلك الأزهار شمس رياحينهـــا

وذاقوا من ثمار الوصل لذيذ الشرب فأغناهـــم

فيا خيبتا ويا حسرتا من أبعد منهـــــم

ويا سعادة من قربهم وحاذاهـــم

فهؤلاء إن وجدتهم لُذْ بهـــــــم

وإن رموك في النار لا تنساهـــم

فمت بين أيديهم تحيا حياة الأبـــــد

وموتك في حبهم إن كنت فداهم

وأقرهم[2] منا السلام واسأل لنا منهـــم

عفوا كريما عسى يجود[3] لنا من دعاهم

لأنهم حماة الدين لم تزل أقدامهـــــم

في كل عصر وحين، قف لتراهم

---

1 م: - وقلت أيضا.

2 ط: وأقريهم.

3 م: يجد.

يا رب تكرم علينا وجد ببركاتهـــــم

وامنن بمغفرتك للجميع يا مولاهم

والمعاني في فضل فتح البصيرة كثيرة جدا، لم تنحصر، وأعلاها فتح تجليات الذات، كما ذكر، ولكن اختصرنا في ذكر فضله، والله أعلم بغيبه.

فضائـــل السر المصـــون:

وأردنا الكلام في بعض فضائل السر المصون أي المكنون، الذي غلق عليه وبقى من داخل البيت لم يتوصل له أحد إلا بفتح الباب، أو يستشرف عنه الإنسان من خارج البيت، ولا يتوصل لثمرته.

فانظر سيدي المفتاح صغير الجرم، عظيم القدر، مثاله في المفتاح المحسوس يحمله أحد في جيبه أو شدقه، أو غير ذلك مما يحمل فيه، وهو يفتح على كل كنوز وأسرار، لا تنحصر، يعني المفتاح مثاله كلمة التوحيد، وأسنانه قواعد الإسلام الخمسة المتقدم ذكرها، وبابهم التوبة، يعني إن استقام الإنسان على الكتاب والسنة انفتح له الباب، وفتح الباب هو قبول التوبة، وهي إعدادها[1] قليل، وإمدادها كثير[2]، لم يدخل تحت حصر، وهو إن امتثل الأمر والنهي، ورجع إلى الله بقلب خالص تنوعت أمداده، وحيث يدخل داخل البيت يرى من العجائب والغرائب ما يبهر عقله، ويسر قلبه، ويزهده في دنياه، ويرغبه في آخرته، فعليك سيدي بتصحيح الإرادة يصح لك العزم في أفعال الطاعات اهـــ، وقلت في ذلك شعرا

وقفت بباب الحبيب ناديت مسرعا

ولم يجاوبني أحد سوى شواهد الباب

---

1 م: وهما أعدادهم.

2 م: وأمدادهم.

أيا سائلا ما تريد عنـــــدنا

إن الذي تريده[1] عنده مفتاح الباب

وإن أردت فتح الباب فخذ مفتاحه

واجعله عندك لزوال الحجـــاب

ونحن لم يقدر أحد لقرع بابنـــا

إلا بمداومة ذكر الخطـــاب

وهو لا إله إلا الله مفتاح جناننـــا

وبها يرفع كل بلاء وعـــذاب

فقلت له

إن العبد المسكين الضعيف العاجز

أتى إليكم فقيرا محتاجا لديكـــم

فإن لم ترفق به وتصفح وتحلـــم

عليه فلا يدري في أي واد هائـــم

قامت نفسه عليه والهوى شاهده

إن لم ترحمه يا ربنا فهو عـــديم

فهو العاجز الحقير فيما يعلمه من نفسه

وأنت القادر الغني بكل الخلق عليم

---

1 م: تريد.

ذليل حقير قاصد نيلكـــــــم

والذي أردتموه منه فهو الحال المستقيم

بذل الإحسان منكم فهو عين المنعم حقيقة

إن أردتم بإحسانكم جودا وتكرما

والمنع عين العطا إن كان باختياركم

واختياركم لنا هو الفضل العظيـــم

ولا فضل إلا فضل اختياركـــــم

وليس الفضل منكم النعيم المقيـــم

وإنما الفضل هو ابتغاء فضلكـــــم

بزوال الحجاب عند تجلي القديـــم

وهذا معنى صفات العبد المذمومة، في صفات مولانا المحمودة، ودليل هذا أن لا يختار العبد الفاني حظا[1] من حظوظ نفسه العاجلة، أو المؤجلة على حضرة ربه، ولا يؤثر الفاني على الباقي، وإن وجد الإنسان في نفسه بقية أو إشعارا بإحساس سره في شيء حدثه به سره في الخفاء فهو بقاء في الغير، فليسع في خلاص نفسه من ذلك السوء، ليستقيم أمره في الحضرة السنية، وتسمو أحواله في التجليات القدسية، ويكون خائفا من هذا المقام، وهذا المقام مكره، أخفى من دبيب النمل، ويكون على حذر في مقام ربه ليستقيم أمره في حضرة مولاه، وتكون هي مأواه، لقوله تعالى

---

1 م: حظ.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾[1]، ظاهر الآية يدل على أن الإنسان إن خاف مقام ربه أي وعيده وعذابه، ونهى النفس عن الهوى أي نهى نفسه عن اتباع الهوى، أي الشهوات، وقيل مقام ربه هو المقام الذي وعده الله في الآخرة إن خافه، وهو الوقوف بين يديه، ونهى النفس عن اتباع الهوى فإن الجنة هي المأوى، أي جنة النعيم مأواه، أي مترله ومستقره، ودار خلوده، بحسب ما وهبه[2] الله له، وأما باطن الآية يدل على أن السالك إن خاف مقام ربه أي مترله بحضرته وتجليات ذاته السنية، ونهى النفس عن الهوى، أي نهى نفسه الزكية الشريفة عن اتباع الفرح والسرور عند هبوب نسيم رياح الأسرار، وتصفيق أوراق ثمار الأشجار بهواء المتبوعات[3]، أي هواء المفتوح[4] به، فإن الجنة هي المأوى، أي الحضرة المذكورة هي مأواه ومترله ومقامه، وبقاؤه فيها، وهذا معنى الآية، والله أعلم.

لأن الإنسان مهما اكتسب مقاما أو حالا إلاّ اكتسبه بعمل وبموهبة من الله، كما هو مذكور في حال السالك والمجذوب، وكل مقام يكسبه الإنسان إلاّ وله مكاسب عديدة لم تنحصر، والكسب ملك يسعاه الإنسان بتلك المكاسب بحسب مقتضى كسبه، لقوله تعالى **﴿وَأَن لَّيْسَ**

---

1 النازعات/ 40-41.

2 م: أوهبه.

3 المبتدعات.

4 م: المفروح.

﴿لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾[1]، أي ليس لأحد سعي في الآخرة إلا بحسب ما اكتسبه من الأعمال الصالحات أو المواهب الربانية في دار الدنيا، ويعني بالكسب الملك، والملك هو الذي اكتسبه الإنسان وملكه، بحيث يتصرف فيه كيف شاء، وكل ملك من هذه الأملاك له أنهار، وثمار، وأشجار، بحسب ما اقتضاه الملك منه، وملك لا يشبه ملكا، وأنهار لا تشبه انهارا، وأشجار لا تشبه أشجارا، وأثمار لا تشبه ثمارا[2]، ولذة لا تشبه لذة، ونعيم لا يشبه نعيما، وكل أحد يتنعم في ملكه بحسب لذته وذوقه ومشربه، ويمتد له ملكه بقدر اكتسابه، غير أن هذا الاكتساب معنوي، كما هو معروف عند أهل السنة، يذوقونه بالمعنى كما يذوق أبناء الدنيا لذيذ دنياهم بالحس، فافهم. ويحرصون أي يتحفظون ويحضون على حفظ هذا السر المصون في صدورهم، بتضييع دنياهم، كما يحفظ[3] أبناء الدنيا المحبوب من دنياهم، بتضييع حقوق الله، مخافة أن يفوتهم ذلك المحبوب، وهذا معنى الكسبين أي الرزقين، والله تعالى قال في ذلك ﴿وَاللّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْرِّزْقِ﴾[4]، والرزق رزقان رزق حسي، ورزق معنوي، فالرزق الحسي هو رزق الأشباح أي الرزق الذي قامت به الخلق أي البنية البشرية، والرزق المعنوي هو رزق الأرواح، وهو الرزق المعبر

---

1 النجم/ 39.

2 م: أثمار.

3 ط، م: يحفظون.

4 النحل/ 71.

عنه بالكشف، والدليل الباهر كما جاء في الكتب وهو كثير، وهي أرزاق معنوية، وحسية، تختلف باعتبار الفضل، كما جاء في الآية، وهنا إشارة لطيفة، وعبارة مرموزة في رزق الأرواح، لا يفهمها إلاّ أرباب التجليات، أي أهل المقام الكامل، لأن الأفهام ليست هي فهما واحدا[1] وإنما تختلف باختلاف الأحوال، وذوق الإيمان، الخ.

---

1 م: فهم واحد.

المكاسب والمـــواهب:

ونرجع للكلام هنا في معنى المكاسب، يعني كل أحد يغرس له في ملكه بحسب ما اكتسبه من الأرض، وهو العمل، والسماء، وهو العلم، والغرس هو الجد والاجتهاد، والثمرة هو وجدان اللذة، وقطفان الثمرة هو الغيبة عن الكون والفناء، والأكل هو البقاء في حضرة الله، هذا معنى الاكتساب، والله أعلم. يعني الاكتساب المعنوي عالم له سماء وأرض، وعالم الاكتساب كذلك يعني سماؤه العلم، لأن السماء من السمو أي كل ما ارتفع وعلا فهو سماء، كما علمت، والسماء لها أنوار كالكواكب، والشمس والقمر، ولولا السماء لم تكن الأرض، وبوجود السماء وأنوارها انحطت الأرض وتدكدكت، وعلت شواهق رؤوس الجبال، مقتضى حكمة تلك[1] النور المتجلي عليها، كذلك هذا الملك أي الكسب سماؤه العلم، وأرضه العمل، أي صور الأعمال أرض، ونور السماء علم، ولا يستقيم العمل إلاّ بمقتضى ذلك النور، وهو العلم، وغرسه الجد والاجتهاد أي الغرس الذي أراد أن[2] يغرسه في تلك الأرض هو الجد والاجتهاد، والعزم والحزم، في أفعال الطاعات، وعلى قدر الاجتهاد يغرس له في أرضه الأشجار، وثمر الجنة المجاهدات، كما هو مذكور.

---

1 كذا في ط، م.

2 م: – أن.

وأما الثمرة فهي اللذة وبحسب تربيته للغرس تنتج الثمرة، وبحسب ذواقه[1] في الغيبة يأكل من تلك الثمرة، وبحسب غيبته في الأكل يبقى في الحضرة، وبحسب بقائه يتجلى له الله في ذلك.

اعلم رحمك الله أن الأرض المتسعة لابد لها من الشمس تطلع، وتنشرح عليها لتنتج أشجارها وتطيب أثمارها، وتتفرع أغصانها بأنواع ألوان الثمار، وهذا معناه في الملك المحسوس ظاهر واضح فما بالك بالملك الرباني، إن طلعت عليه شمس المعرفة، فإنه يتسع ميدانه، ويكثر إمداده، وتتقوى عروقه، وهي المحبة أي عروق تلك المكاسب الأصلية فتهيج فروع الأغصان، حتى إن الغصن الواحد من هذا يطبق ما بين السماء والأرض، وثمر ذلك الغصن لم ينحصر، هذا معنى شمس المعرفة إن طلعت على أرض المحب. وأما نور السماء الذي أضاء على أرض العمل مثلا فهي كالنجوم، لأنها تدل على الطريق المستقيم، كما أن نجوم السماء تدل على الطريق في ظلمات الليل، قال صلى الله عليه وسلم "**أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم**"[2] الحديث. وأما القمر فضربه أرفع من ضرب النجوم، لأن النجوم دالة على الاقتداء، كما نص عليه في الحديث، وهذا دليل على اتساع الصدر بالإيمان بامتثاله للمسنونات، وضرب القمر في الصدر دال على الانفساح، وانفلاق[3] الصبح دال على البشارة، وطلوع الشمس دال

---

1 كذا في ط، م. ولعله: أذواقه.

2 حديث ضعيف

3 م: وفلاق.

على الانشراح، وحصول المعرفة التامة العامة من الله، منّ الله على الجميع بما أنعم عليهم بمنه وفضله، آمين.

نعم المكاسب تختلف باختلاف المنازل، فمترل العوام النفس الناطقة، وكسبهم اتباع الشهوات، وثمرتهم التلذذ بذلك، والحرص والأمل في الدنيا، ومترل الأبرار الجد والاجتهاد، والسعي في الخلاص من حظوظ نفوسهم البشرية، وكسبهم وجدان حلاوة العبادات، وثمرتهم تجرع محبة المحبوب، ومحاسبة الأنفاس على تضييع نفس واحدة في غير محبة الله، ومترل الخواص الفناء عن الكون، والاستغراق في المكوّن، وكسبهم الغيبة في حضرة الله، والحضور في تجلياته، وثمرتهم التجافي عما سوى الله، ورفع هممهم عن غير الله، والاستعداد لما عند الله، ومترل خواص الخواص البقاء بالله، والرجوع إلى صحو معرفة الذات، وكسبهم معرفة أحكام نور التجليات، والعلم بالدّرر النفيسات، وهو الفهم لحقائق النفحات، وثمرتهم عدم رؤية النفس في تلك المشاهدة، والتقدس في ذلك النور بالصفات، والذات، وعدم شوب شمس معرفة التجليات، ومعنى تقدس الصفات والذات هو فناء صفات السالك المحمودة، وعدم إحساسه بتلك الأسرار في صفات تجليات الذات، وبقاء ذات العبد في تقلب أنوار العبادات، وتقدسها في سر حقيقة المأمورات والمنهيات، حتى لا يرى أحد صاحبه، أي الذات لا ترى الروح، والروح لا ترى الذات، وضربت بينهما حجب كمالية، فبقيت[1] الروح تتنعم بحضرة التجليات والبدن يتنعم

---

1 ط، م: فبقت.

بأحكام المشروعات، والتجلي هنا على ضربين، تجل شرعي[1]، وتجل حقيقي، وكلاهما على الاستقامة الحقيقية[2]. أما التجلي الشرعي فهو باق بمقتضى حكم ذات العبد لا يفارقه أبدا في هذه الدار، وأما التجلي الحقيقي فهو باق بمقتضى حكم صفات العبد أي روحه، وهو[3] باق معه ملازمه في هذه الدار وفي تلك الدار، لم ينقطع عنه أبدا، بدليل قول سيدي مصطفى البكري في كتابه المعروف بتدريج الأسماء كما تقدم ذكره، والتقدس عندهم هو الاختلاط والامتزاج أي اتصاف الصفة بالصفة، والذات في الذات، أي فناء ذات العبد عن المشاق التي كان يجدها، والكسل والتراخي في ذوات العبادات بالخفة والنشاط، والرغبة والتلذذ، الخ، وهذا معنى التقدس، والله أعلم، يشهد لهذا السر قول البوصيري[4] رضي الله عنه:

وإذا حلت الهداية قلبا ... نشطت للعبادة الأعضاء

أي فنيت عما كانت تجده من الثقل بتلك الهداية، التي حصلت في القلب، ونشطت لعبادة ربها الأعضاء، أي خفت ورغبت في ذلك من غير تراخ ولا تهاون في أفعال الطاعات، وهذا معنى التجلي، والله أعلم.

---

1 م: - تجل شرعي.

2 م: الحقيقة.

3 م: وها.

4 م: البصري.

والتجلي الحقيقي أي المعنوي أمكن من التجلي الشرعي، أي الحسي، وهو الغالب في الحقيقة، لأن الدلائل والبراهين النقلية والعقلية دالة على الحق وهو الله لا غير، وكل ما يدل على الله عندهم كون لا مزية له، وإنما المزية للنور الموصل إلى ذلك الدليل الذي دل على المدلول عليه، ولو رحلت من الكون حتى الرحلة لرأيت تلك الأكوان كلها عدما، وأنت كذلك، وإنما الدال في الحقيقة على نفسه هو الله غير أنه سبحانه لما علم الضعف من خلقه، جعل لهم الكون أي المصنوعات دالة على صانعها وإلاّ فأين يغيب حتى يستدل عليه؟ وأين يحصر حتى يتوجه إليه؟ وأين يقيم حتى يؤتى إليه؟ وأين يسعى حتى يبحث عليه؟ وأي شيء حجبه حتى يكون هو الدليل عليه؟ وأي شيء أبعده حتى يكون هو الذي يقرب إليه؟ وأي شيء قربه حتى يكون هو الذي يبعد منه؟ وأي شيء دل عليه حتى يكون هو الدليل؟ وأي شيء أظهره حتى يكون هو المظهر له؟ وقلت في ذلك شعرا[1]

أنت الظاهر في كل شيء قبل خلق الظواهر

وبعد خلق الأشياء أنت عليهم[2] دليل

ولولا ظهورك فيهم لم تتبين مظاهرهم

ولا علم الحق منهم من المجهـــــول

---

1 ط، م: شعر.

2 ط: عنهم.

ولكن أنارت الظواهر بنور قدرتك

حتى أوضح لنا البرهان والدليـــــــل

وما الذي يحجبك يا ظاهر حتى يستدل به

وما الذي يقربك لنا يا جليـــــــل

وما الذي يكون له قدر حتى يستحق النعت به

إلاّ أنت يا بر يا رحيم يا وكيـــــــل

حاشا والله أن يكون الكون دالا عليك

وأنت الذي أظهرته يا دليـــــــل

نعم، شتان بين من يستدل به، ويستدل عليه، والمستدل به هو الذي يستدل بالله على غيره،والمستدل عليه هو الذي يستدل بالكون عليه، فصار المستدل به أمكن وأرفع من الذي استدل عليه، كما هو معروف، لأن المستدل به مصطلم هالك في شهود الحق، عن شواهد الظواهر، والمستدل عليه باق في الدليل والكشف والبرهان ومفتقر لذلك، وحيث يفارقه الدليل يحجب عن الشهود أي شهود الحق، لأن الدليل غاب، وحيث غاب الدليل غاب المدلول عليه، وهذه صفة المستدلين عليه. وأما المستدلون به فباستدلالهم افتقر إليهم الكون، والافتقار هنا الظهور، وحيث ظهر لهم الكون لم يحتاجوا الدليل به، بل تصرفوا في الكون بإرادة سيدهم في الظواهر، وغابوا في المكون بتجلياته بأسرارهم، حتى كون العبادات لم يبقوا فيه بحظ نفوسهم، بل بقوا في صورها امتثالا لأمر الله، وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم، ورغبة في الكتاب والسنة لا غير، غير

أن غيبتهم في الحق لم تخرجهم عن دائرة أفعال الطاعات، و لم يغيبوا[1] عنها كغيبهم عن غير الله، بل يوفقهم الله بقدرته الصالحة للتحرك في أفعال الطاعات، ويثبتهم بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة من غير اختيار منهم لنفوسهم، ولا شهود مشقة تحصل لهم في تلك التحركات، بل هو باختيار الله، ووفق مراده، وحسن عوايده أجراها الله فيهم، بصنع عجايبه، لقوله تعالى **﴿يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾**[2]، ظاهر الآية يدل على أن الإنسان حيث يوفقه الله لفعل الخيرات، أي حسن الطاعات، يثبته الله في الدنيا بالقول الثابت، أي ثبوت وحدانية الله في قلبه، من غير تزلزل ولا خلل يكون في إيمانه، حتى يكون حاله ثابتا في الظاهر والباطن. أما الظاهر فصلاح القول بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وما يطلق عليه كل قول صالح. وأما الباطن فصلاح قلبه، أي ثباته على[3] كلمة التوحيد من غير خلل ولا تردد في الإيمان، وفي الآخرة أي يكون ثابتا على حاله الذي كان عليه في دار الدنيا، يشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم "**يموت المرء على ما عاش عليه، ويبعث على ما مات عليه**"[4]، ظاهر الحديث يدل على أن المرء يموت على ما كان يفعله في الدنيا، والذي اشتغل به في الدنيا يكون له

---

1 م: يغبوا.

2إبراهيم/ 27.

3 م: عن.

4 رواه مسلم.

شغلا[1] عند الموت خيرا كان أو شرا، والذي يشغله عند الموت يبعث عليه، أي يقوم من قبر، وأثر ذلك الشغل متعلق به لا يفارقه طرفة عين، وهذا معنى ما نص عليه صلى الله عليه وسلم، والله أعلم.

ودليل هذا ينبيك في حياتك، يعني في حالة منامك، لأن المرء ينام على ما كان عليه في اليقظة، والذي كان له حرفة وشغل[2] في اليقظة، يجد أثر تخليطه في النوم، ويفعل في نومه[3] ما كان يفعله في يقظته، وهو صحيح مجرب عند العامة والخاصة من غير تأمل ولا خفاء، يعني الذي يسرح الغنم يجد نفسه في منامه العصاة في يده، وهو يكابد في غنمه، والقارئ يجد نفسه مشغولا بقراءته، والخماس يجد نفسه مشغولا بحرثه، والعابد يجد نفسه مشغولا بعبادته، والقبيح يجد نفسه في قباحته، والمحسن يجد نفسه في إحسانه، وكل أحد على حسب حاله في اليقظة يكون عليه في النوم، لأن النوم موته الصغرى، ويدخل فيه معنى الحديث المتقدم ذكره، يعني يموت المرء أي الموتة الصغرى وهو النوم، لأن النوم هو أول عالم من عوالم غيب الآخرة، يشهده الإنسان في حياته، ودليل ذلك أن الإنسان حيث يخالطه النوم ويقرب منه أولا ينسى ما كان عليه في اليقظة، ثم يغلبه النوم فيغيب عن محسوساته فتفارقه روحه حينئذ، وتجول في عالم ذلك الغيب، بحسب مقتضى حكمة منامه، وحكمة ما كان عليه في يقظته،

---

1 م: مشغلا.

2 ط: شغلا.

3 م: + كيف

ويبقى البدن مطروحا جسما بلا روح، ما عدا النفس الكائنة فيه، وتقدم الذكر في ذلك وحيث يقضي الله أمره النافذ في ذلك، ترجع الروح للبدن، فيحيى الإنسان ويرجع لليقظة المعلومة المحسوسة، المعلومة بين أهل الدنيا كما علمت، وهذا دليل على أن النوم موتة، وهي أول موتة ماهًا الإنسان، ويعرف بذلك سعادة الإنسان وشقاوته، ولو لم تكن هذه موتا[1] لم يغب الإنسان على حسه، ويذق معاني لم يذقها في يقظته، والرجل الصالح يرى في النوم الرؤية الصالحة، وترى له، لقوله صلى الله عليه وسلم "**نعم الرؤية الصالحة للرجل الصالح**"[2]، وكذلك الطالح يرى في منامه الرؤية الطالحة، وترى له. وغيبة النوم عالم من عوالم الله المكنونة في علم غيبه، وهو أول غيب يغيبه الإنسان عن حسه، وغيبته تشبه غيبة الموتة الاضطرارية، لأن الإنسان عند قربه للنوم أي حيث يخالطه تثقل جوارحه، ويصير كالمريض الذي أدركته الموت، ويسقط إلى الأرض غلبة عنه، ويسلب منه اختيار اليقظة، ويغمى عليه، وينفتح فوه[3] وتكثر نَفَسُه، ويصير له أنين وشهيق، وغير ذلك مما يطول ذكره في صفة النائم، كما هو معروف، وحيث يرجع من غيبة نومه إلى نهار يقظته، يقوم وهو على حالة الموتى، يعني مصفر[4] اللون متغير الوجه، مقبوض الجوارح، حتى إن

---

1 ط، م: موت.

2 رواه البخاري.

3 م: فاه.

4 ط، م: مسفر.

كلمه أحد مما يليه لم يجاوبه، و لم يشتغل بكلامه، لأن همه في تلك الحالة منامه، حتى إن كمل حاله، وذهب عنه النوم، يتفكر شغله الذي نام عليه، أي حرفته، ويرجع لها، وإن لم يتم له حال اليقظة، و لم يستكمل المقسوم في النوم تراه ينام ويستيقظ، تارة يرجع لحس يقظته، وتارة يغيب في معنى منامه، حتى يكمل أنفاسه المعدودة في تلك النومة، وإن كملها رجع لإحساس اليقظة، وهكذا الإنسان حاله في دنياه له أنفاس عديدة لا يعلمها إلا الله، أنفاس مخصوصة بالنوم، وأنفاس مخصوصة باليقظة، ولا تأخذ أنفاس اليقظة من أنفاس النوم، ولا أنفاس النوم من أنفاس اليقظة، فصارت أنفاسه معدودة محسوبة، ويحاسبه الله تعالى على كل نفس تنفس به في دار الدنيا، بحيث لم يغب نفس واحد من أنفاس الخلائق إلا ويراه الله، ويحاسبه عليه، بحسب مقتضى الحكمة في ذلك، غير أن أنفاس النوم لم يحاسب عليها أحد قط، ما عدا الفعل الذي كان عليه في اليقظة يكون عليه في حالة النوم كما تقدم، ولا ذنب عليه في منامه، لأن الإنسان ينام على ما كان عليه في اليقظة، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم "**يموت المرء على ما عاش عليه**"[1] ومن جملة ذلك النوم، لأنه أول موتة ماها الإنسان، وأول غيبة غابها عن حسه، وأول مشاهدة شاهدها في علم الغيب، وأول مبادئ في رؤية الأفعال، لأن النبي صلى الله عليه وسلم أول ما بدا له في الوحي رؤية النوم، ولا زالت تظهر له الرؤية في النوم وتبرز

---

1 رواه مسلم.

كفلق الصبح، أي انشقاق الفجر الناصح، وقيل إشراق الشمس، ثم بعد ذلك سنة، وهي أرفع من النوم، ثم بعد ذلك هوانية[1] وهي أرفع من السنة، ثم بعدها اليقظة وهو العيان الحسي، كرؤيته لجبريل عليه السلام، ونزول الكتاب عليه، آي وسور، إلى غير ذلك مما فيه ترقية له شيئا فشيئا إلى أن حصل له السلوك، والوصول إلى المقام المحمود، فعند ذلك صار حامدا ومحمودا صلى الله عليه وسلم، فشرع الشرائع، وحقق الحقائق، وسطع نور شمس معرفته في الكون، وبرزت منها المعارف لأمته، وصارت علما موروثا[2] بين أهل العلم، وأظهر الشرائع لأمته ليتميز بذلك الحق من الباطل، وأخفى الحقائق ليبقى سر الله[3] مصونا محفوظا في مكنون خزائنه، لئلا يدعيه كل أحد، وتنتهك حرمة الله ورسوله، فكمل الشريعة بظهور آثارها للخلق، بحيث لم يبق منها شيء خفي عن أهل السنة، وكمل الحقيقة بخفائها، بحيث لم يظهر منها شيء إلا لأهل السر، فتم الدين بالكتاب والسنة، والحمد لله على ذلك، جعلنا الله وإياكم من المتبعين سنته، وهدانا وإياكم للطريق المستقيم بمنه وكرمه، إن شاء الله، ولذلك أخذ أهل الصفة في السير والسلوك إلى مالك الملوك، وجعلوا أول مباديهم في ذلك الرؤية في النوم، ثم الإلهامات الربانية في القلب، فأخذوا في الترقي بالتلقي للواردات الإلهية، والإلهامات الربانية بالقبول. والهواتف النفسانية،

---

1 م: فهو انية.

2 م: علم موروث.

3 م: – الله

والخطابات الشيطانية بالرد، وعدم القبول مما لا يدخل تحت حصر نفساني، وشيطاني، وإلهامي، ورباني، بحسب ما اقتضته الحكمة في ترقيهم، وسلكوا عقبات النفوس بالترقي شيئا فشيئا حتى ظهر لهم الحق حقا، والباطل باطلا، ثم بعد الظهور غابوا، ثم بعد الغيبة حضروا، ثم بعد الحضور بقوا بالله، وهكذا جعلوا طرقهم وحسنوها بمقتضى الكتاب والسنة، فمن أحسن معهم الأدب، وانقاد لاتباع أمرهم عرّفوه الطريق، وأحسنوا له السير، والسلوك، وفتقوا له الحجب الظلمانية، بقدرة الله الصالحة فيهم، وأشهدوه العجائب والغرائب ما لا ينحصر، فهذا شأنهم رضي الله عنهم، فهكذا أخذوه وورثه عن بعضهم بعض، وإن أخطأ أحد أثرهم لم يسلك الطريق، و لم يشم رائحته قط.

معنى المكـــاسب:

ونرجع للكلام في معنى المكاسب المتقدم ذكرها وما يملكه الإنسان. اعلم أن مقام القلب هو مقام الأبرار، ومقام الروح هو مقام الخواص، ومقام السر هو مقام خواص الخواص، وليس فوق هذا المقام مقام، غير مقام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وهو المقام المحمود كما تقدم، وهذا المقام مقام التجليات، وتجلياته بحسب الأنفاس الخارجة منه، يعني كل نفس له تجل غير النفس الآخر، النفس الذي يحدث أقرب من الذي يفوت، وهكذا أنفاس الكامل لم يهمل نفس واحد من أنفاسه في سر من الأسرار، غير تجليات الرب سبحانه، وهكذا كسبه أعلى المكاسب، وأرفع المراتب، وهذا المقام أهله أقل عددا من المقامات المتقدم ذكرها، يعني عددهم قليل، ومددهم كثير،لأن كسبهم التجليات، والتجليات لم تدخل تحت حصر، وكسب غيرهم النعيم في الجنة، شتان بين من نعيمه الجنة، وبين من نعيمه تجليات الحق، فمن كان نعيمه الجنة وغايته الحور والقصور والأنهار فهو في نعيمه، ولكن لم تتم له النعمة إلا عند زيارته للرب سبحانه، وحيث يزور ينسى نعيمه في الجنة، ويتمنى الخلود في تلك الحضرة، ولكنه لم يتم له ذلك، وحيث لم تتم له التجليات بقيس مع حظه في الجنة لا غير، ولا يتم له الفضل إلا عند زيارته ومباشرته في حسن النظر إلى الله، وحيث يرجع إلى الجنة يتأسف عن تلك الزيارة، ولم يجدها إلا عند مقتضى حكمتها، فهؤلاء غايتهم ونعيمهم وسرورهم وطربهم

وتمتعهم في نعيم الجنة، كل أحد بمقتضى حكمه في ذلك. وأما أهل التجليات المتصفون بصفة الحق، أهل الحضرة بالله، لم تفارقهم الحضرة الإلهية طرفة عين، وخلفوا الحظوظ ونعيم الجنة في الدنيا، بحيث لم يشغلهم حظ دنيوي أو أخروي عن حضرة ربهم، فقربهم الرب منه[1] وعرفهم به حق معرفته، فنسوا غيره في الدنيا، وصار شغلهم على الدوام وحدانية ربوبيته، فهؤلاء غايتهم وسرورهم وفرحهم ونعيمهم الحضرة السنية، غير أن لهم أملاكا في الجنة، وحورا وقصورا وأنهارا وثمارا لم تشبه صفات الجنان المتقدم ذكرها، بل هي أرفع وأفضل في الحسن والجمال، لأن الأعلى أرفع من الأسفل في كل حال فافهم، ولكنه نعيم جنانهم يزورهم ويشتاق لهم من حيث إنهم معرضون عنه، ومشغولون بحضرة ربهم عن ذلك النعيم، كما يزور ويشتاق أهل الجنان ربهم ثم يرجعون بعد الزيارة إلى ما أهمهم وحجبهم في دار الدنيا، وهو انتظارهم إلى نعيم الجنة، وهذا شغلهم دائما في الجنة، بخلاف أهل الحضرة لم يفقدوا نعيمهم في الجنة، بل يغيبون[2] عنها في نعيم الحضرة، كما غابوا على الحظوظ النفسانية في تجليات الحق في دار الدنيا، هذا في دار الامتحان، ودار الأكدار والهوان، خرقوا الحجب السبعينية شيئا فشيئا، حتى وصلوا إليه، ثم بعد الوصول خرجوا عن وصلتهم إليه، وبقوا في تجليات وصلة الذات، وزيادة المدد في ذلك، حتى رحلوا من الدنيا إلى الآخرة، هذا منزلهم ومقامهم وحظهم

---

1 ط: منهم.

2 ط: يغيبوا. م: يغبوا.

وغايتهم التجليات في دار الدنيا، فما بالك بدار البقاء، وهي الآخرة، حتى لهم المترل الأعلى في ذلك، وهم الأولى به، والأحق، رضي الله عنهم. والمترل الأعلى هو مقام الفضيلة، والوسيلة، والدرجة الرفيعة، وأعلاها[1] الدرجة الرفيعة، وهي مترلة الغوثية القريبة من المقام المحمود، بإشخاص البصر له، البعيدة عنه، بالوصول إليه، ووضع القدم في ناحيته، بل هو حرام على أحد من الأنبياء، وأحرى الصالحون والأولياء.

فإن قلت درجة النبوءة رفيعة، وكيف لا يتوصل أحد منهم إلى هذا المقام؟ الجواب في ذلك نعم النبوءة رفيعة حقا، وهي أرفع من درجة الولاية بيسير، ومترل الصديقية من هذه الأمة قريب من مترل النبوءة، لأن أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الأمم، وأعلاهم في الدرجات، يشهد لذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم "**علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل**"[2]، والكاف هنا تفيد العموم، والمراد بذلك عامة الأنبياء، لا الرسل عليهم الصلاة والسلام، والنبي صلى الله عليه وسلم قال "**كأنبياء بني إسرائيل**" ولم يقل كرسل بني إسرائيل، ولذلك خصص علماء هذه الأمة وشبههم بأحوال الأنبياء، وظاهر الحديث يدل على أن علماء هذه الأمة خصصهم وفضلهم على جميع خلقه، حتى حصل لهم الفضل العظيم، والشرف الجسيم، في هذا المحل، وهو مقام الدرجة الرفيعة، يشهد لهذا قول سيدي عبد الكريم الجيلي حيث شاهد هذا المحل قال: رأيت عن يمين

1 م: أعلاهم.

2 حديث ضعيف

هذا المقام سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام ناظرا ببصره إلى وسطه، ورأيت طائفة من الرسل والأولياء في جانبه الأيسر شاخصين بأبصارهم، إلى وسط هذا المحل، ورأيت سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم شاخصا ببصره إلى سقف العرش، طالبا المقام المحمود الذي وعده الله به، وهذا دليل على أن هذا المقام جامع الأنبياء والرسل، غير أنهم يتفاوتون بالمراتب، الرسل أعلى من الأنبياء، والأنبياء أعلى من الأولياء، بمنزلة النبوءة لا غير، وأما المحل جمعهم، ومقام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أرفع من درجات[1] الكل، لأنهم كلهم شاخصون بأبصارهم إلى وسط المحل، وذلك هو مقام أرادوا النزول فيه، وسيدنا محمد شاخص ببصره إلى ما فوقهم وهو سقف العرش، لأنه المقام المحمود الذي وعده الله به، أراد النزول فيه، وكل أحد شاخص ببصره إلى منزله الذي وعده الله به، لأن الجنة الأولى سقفها الجنة الثانية، والثانية سقفها الجنة الثالثة، والرابعة سقفها الجنة الخامسة، وهكذا إلى المقام المحمود، فإن سقف جنته سقف العرش لأنه هو أرفع الجنان، وجنته تسمى جنة الذات، وأرضها سقف العرش، وسقف الجنان الستة العرش، غير أن كل جنة سقفها التي فوقها، والعرش سقف الكل، والجنة السابعة هي باطن العرش، وسقفها العرش، وسقف العرش هو مقام نبينا صلى الله عليه وسلم، وسقفه حجب العظمة، أي عظمة الرب المتصفة بها ذاته، ولا فوق هذا المقام مقام، غير نور ذات الله سبحانه وتعالى، هذا المقام مسكوت عليه، لا كلام فيه

---

1 م: درجة.

لأحد غير نبينا، له المدخل في ذلك، قال صلى الله عليه وسلم "**إن المقام المحمود أعلى مكان في الجنة، وأنها لا تكون إلا لرجل واحد، وأرجو أن أكون أنا هو ذلك الرجل**"[1]، فأخبر صلى الله عليه وسلم أنه وعده الله به، فنؤمن ونصدق بما قاله، فإنه "**لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى**"، وهذه الجنة تسمى جنة الذات، وأرضها سقف العرش، وجنة الدرجة الرفيعة جنة الصفات، وأرضها العرش، والدرجة الرفيعة لا تكون إلا لرجل واحد، في فرد الزمان فقط، ليس فوقها مقام غير مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقط، وأظن هذه أي الدرجة الرفيعة تختلف باختلاف الأشخاص، وأحرى العلماء فأولها الدرجة، وفيها[2] علماء هذه الأمة أي الصديقون، والرفيعة منها فيها الأنبياء عليهم السلام، واسم الدرجة يطلق على درجات كثيرة، والدرجة هي أول منازلها، والرفيعة هي أعلى الدرجة، والدرجات لم تكن على استواء واحد، وإنما تختلف الأدنى فالأدنى، والأعلى فالأعلى، وهي مقامات لم تنحصر، وأهلها أقل عددا من أهل الجنان، قليل عددهم كثير إمدادهم، كما أن أهل الجنان كثير عددهم، قليل مددهم، لأن هؤلاء مددهم التجليات، والتجليات لم تدخل تحت حصر، ولم يقطعها عليهم شغل من نعيم الجنة، لأن الجنة مفتقرة لهم، كما تقدم، وتشتاق لهم، ويتطاول أعناق أهلها، ونعيمها وحورها لهم، بحيث لم يشعر الولي بها حتى يدخل النعيم فاه تلذذا بذلك

---

1 لم نعثر عليه في أي من كتب الحديث.

2 م: فيه.

الولي، ويأتيه[1] أزواجه ويلاعبونه، ويشتغلون بالسرور معه، والفرح به، وهو غائب عنهم، في حضرة ربه، حتى إن رآهم على تلك الحالة يوفي لهم حقوقهم، ويوديها في أسرع من طرفة العين، أي يطوف على أزواجه في ساعة واحدة، ولم يشغله ذلك المرور عليهم عن الحضرة، بل هو أغناه حضوره مولاه، وملتذ به، وغائب فيه، وأزواجه ملتذون به غاية اللذة، لأنهم لم يشهدوا في الجنة سواه، وهو قرة أعينهم، وكيف لا يكون ذلك غاية مرادهم؟ وهو له النعيم المقيم في الحضرة، وكيف يكون له شغل يتلذذ به غير حضرة[2] ربه؟ وإنما غاية اللذة والنعيم مخلوقة، تكرم بها على أصحاب الحظوظ أي الذين عملوا الأعمال في دار الدنيا لأجل مجازاتهم بذلك، فجازاهم بأحسن ما عملوا، وغيبهم في تلك النعم عن حضرته، غير النادر بقي لهم، فغيبهم في النظر إلى وجهه الكريم، فكفاهم ذلك منه، بحسب أحوالهم كما تقدم، والله أعلم، وهذا معنى النعيمين المقيمين، نعيم الجنة ونعيم الحضرة، شتان ما بينهما.

---

1 ط، م: يأتونه.

2 م: - حضرة.

معنى مقام الدرجة الرفيعة:

ونرجع للكلام في معنى مقام الدرجة الرفيعة لئلا يبقى تشويش في قلب السامع مما ذكرناه، نعم.

اعلم أن الدرجة الرفيعة هو المقام الرفيع في الجنان السبعة، كما هو مذكور في سيدي عبد الرحمان باش تارزي رضي الله عنه، فانظره تجد الأمر في ذلك واضحا إن شاء الله، ولذلك خصص الله تعالى درجة الأنبياء عليهم السلام، أي درجة النبوءة على درجة الولاية، أي رفعها وخصصها بهم دون غيرهم من الخلق، وهو مقام رفيع يقربه الولي الكامل، وينال من بركات فضله فضلا عظيما، ولم يلحقه بالمترل يعني أن فضل ذلك المقام وإحسانه وكرمه يذوقه الإنسان، ويتجرع منه كئوسا عظاما، وهو لم يحل فيه أي لم يقم فيه، لأنه مخصوص بأهله، وهم الأنبياء عليهم السلام، وهذا مثاله يحصل بالتجليات، أي تجليات الذات، لأن هذا المقام جنته جنة الصفات، والصفة معرفة بالذات، فصارت تجليات هذا المقام تجلي الذات من حيث الذات، فافهم، وتجليات الذات مخصوص لأصحاب هذا المقام، وهذا المقام مقام التجليات ليس فوقه مقام سوى تجليات أرفع منها، وتجليات الحق أي الذات حصلت لهذاالولي الكامل، وحيث حصل له هذا الفضل لم ينحصر مقامه، وصاحب مقام التجليات لم يفته مقام، لأن تجليات الذات هو المقامات، ومن حل فيه نال السعادة العظمى التي لم ينلها أحد، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في هذه الطائفة: علماء

أمتي كأنبياء بني إسرائيل، وتمنى موسى عليه السلام أن يكون من أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى لها من الفضل الجزيل، ما لم يكن لغيرهم من الأمم قبلهم، والنبي صلى الله عليه وسلم لم يقل هذا حتى علم فضلهم، وتبين له أمرهم، أي أمر هذه الطائفة، وأخبر عنها وكلم موسى بذلك تكليما، وقال له موسى: كيف يكون أمرهم؟ فقال صلى الله عليه وسلم أجبه يا غزالي[1] فأجابه في طي العدم، إلى غير ذلك مما رآه موسى في فضل هذه الأمة، وهو كثير، فسلم موسى عليه السلام الأمر لهذه الطائفة، وتمنى مشاهدة هذه الأمة، ومحاضرتهم مشافهة، لما شهد لهم من عجائب فضلهم، وكثير من هذا شاهده عيسى عليه السلام، وأغرب من هذا، وأعجب حيث يترل عليه السلام إلى الأرض ليعدلها، يحكم بشريعة نبينا صلى الله عليه وسلم، ويملأ الأرض قسطا أي عدلا بشريعة النبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك نوح عليه السلام، وكذلك آدم عليه السلام كلهم أخبروا بفضل هذه الأمة، أحرى نبينا عليه السلام، وهذا كله من بركاته صلى الله عليه وسلم، ونورهم من نوره، وفضلهم من فضله، وشرفهم من شرفه، ولولاه لم يخلق الوجود بأسره صلى الله عليه وسلم، ولولا النبوءة انقطعت به لصارت علماء أمته كلهم أنبياء، ولذلك خصصهم به، علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل، لأنه علم بأن النبوءة انقطعت به وتحقق بفضل هذه الأمة على سائر الأمم، فتكلم بهذا، ليكون تقوية لهم، فحصل لهم الشرف العظيم، والمقام الجسيم، وهو مقام

---

1 م: غزال.

التجليات، فصارت هذه الطائفة مستمرين على الحق، لا يضرهم من خالفهم إلى قيام الساعة، كما نص عليه صلى الله عليه وسلم، يشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم "**إنما الأعمال بالخواتم**"[1]، وهذه الأمة خاتمة للعمل، وهي آخر الأعمال الصالحات عند قيام الساعة، بدليل ما نص عليه صلى الله عليه وسلم، وهذا كله تشريف وتعظيم لأمته صلى الله عليه وسلم، ومقام تجليات الحق يدخله الأنبياء والأولياء، غير أن الأنبياء عليهم السلام مخصصون بدرجة النبوءة وهي المتدلية عن الدرجة المخصوصة بالمقربين، إلا أنها أرفع من درجاتهم بالخصوصية المذكورة لا غير.

اعلم وفقك الله أن المقربين لما أن خصصوا بمقام التجلي، صار هذا مترلهم لم يحل فيه أحد غيرهم، ويتفاوتون فيه بحسب التجليات، كل أحد منهم بحسب تجليه، يكسب مترلا في هذا المقام، ويرى بعضهم بعضا كما نرى النجوم فوقنا، كما يرى أهل الجنان غيرهم منازلهم، أي كل أحد يرى مترل صاحبه الأعلى فوقه، كالكوكب الدري، وهكذا إلى الدرجة السابعة المتقدم ذكرها، يرى أهلها بعضهم بعضا كالأقمار والشمس، أحد أعلى من أحد في منازل التجليات، أي درجاتهم، ومثل ذلك في سير الأولياء، يعني أن المقربين تراهم في مترل واحد، وهو مقام تجلي الذات، وهم تختلف أحوالهم باختلاف التجليات، ودليل ذلك أن كل أحد يعبر

---

1 رواه البخاري.

عبارة في ذلك الفضل، والسر بخلاف عبارة صاحبه، ويجول في مرتبة تجليه غير جولان صاحبه، ويشاهد مشهدا غير مشهد الآخر، مشهدا لا يشبه مشهدا، وهكذا حالهم في دار الدنيا مع مولاهم، لقوله تعالى: **﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾**[1]، فما بالك بدار الآخرة حيث ينتقلون إليه بكلياتهم، وكيف لا يسعهم فضل تجليات الحق، بل يدخلون سر ذلك، أي سر هذا المقام، ولا يجدونه كما يجدون نعيم الجنة لأهلها، ولا يعد له حصر قط، بل أبدا في التجليات، ونعيمه ألذ اللذائذ، وأنعم النعم، وأغنم الغنائم، وأعظم المنازل، قليل الأعداد كثير الإمداد، عظيم السداد، نعم أهل الحضرة اليوم في هذه[2] الدار، أي دار الدنيا لا يرى بعضهم بعضا في التجليات إلا خيالات وصور، بحيث لم يميزوا أمر بعضهم بعضا في تلك الحضرات، كما يميزون في غيره من المقامات، لأن هذا التجلي يعطي للناظر فيه ظلمة في بصيرته، لا يقدر على النظر فيه كما تقدم في أول الكتاب، وهو مقام أطلس لا يرى فيه شيء غير رؤية العجز والتقصير، وفي الآخرة يرى بعضهم بعضا في تلك المنازل المذكورة، أي الدرجة العليا، ويعرف منهم الأعلى من الأدنى، ومرتبة التجلي لم تعرف ولم تنحصر، وأهل الجنان غيرهم يعرف أحوالهم في ذلك، يعني محصور أمرهم في نعيم الجنة لا غير، وحيث يزورون ربهم يعرفون أنهم حضروا مع الله، وحيث يرجعون إلى جنتهم يعرفون بحجاب النعيم.

---

1 البقرة/ 60.

2 م: هذا.

وأما أصحاب التجليات دائما مع تجليهم، وكيف يعرف لهم حال؟ لأنهم بعثهم باعث الحق في الحق إلى الحق، نعيمهم في جنتهم الحضور، وأشجارهم المناجاة، وأوراق أشجارهم المكالمات، وأغصان الأشجار أي فروعها الهيمان، وثمار أشجارها التجليات، ونهر كوثرهم السائل الجاري محبة الله لهم الدائمة، وطيور جنانهم أنفاسهم الزكية، تغدو وتروح في مكاسبهم، بأفنان العبارات، وقصورهم المشيدة سمّو أرواحهم في أصناف التجليات، وحور عينهم صفاء شمس معرفة الذات، وطيب ريحهم مخاطبة الرب لهم في كل لحظات، وعطر جيوبهم زيادة المدد في تلك التجليات، وهذا الذي شغلهم وأفناهم عن نعيم جنتهم المحسوسة، ولم يفقدوا منها شيئا بل اشتاقت لهم، وطالبتهم كما ذكر، ولم يلتفتوا لها، بل شغلهم ما ألذ منها وما أحمد، وإذا رأيت لمقام هؤلاء الطائفة وجدته قليل العدد أي خلقه قليل، وكسبه قليل بحسب أهله، وإن اعتبرت ما أعد الله لهم عنده وجدت سعي الواحد منهم يطبق، أي يملأ ما بين طباق الجنان السبعة[1]، ولم تسعه، لأن هذا سعيه التجليات، والتجليات لا حد لها ولا نهاية، وأهل الجنان سعيهم نعيم الجنة الدائم، ونعيم الجنة مقسوم بين أهل الجنة، معروف عند كل أحد يجده أهله بحسب ملكهم، غير أن الثمار والأنهار والأشجار وغير ذلك مما يطلق عليه نعيم الجنة فهو يتزايد ويمتد لأهله أبد الأبد لا ينقطع عنهم أبدا، ولكنه حيث اشتغلوا به وغابوا في نعيمه عن المنعم، صار لهم حظا عاجلا وآجلا، من غير فناء ولا انقطاع، بل هو

---

1 م: السبع.

خلود دائم، واستمتاع، وذلك النعيم رأس مالهم، ورغبهم النظر إلى وجه الله، فصار لهم حظان في الجنة، حظ في نعيم جنتهم، وحظ في رؤيتهم لربهم، والحظ يطلق على كل ما سوى الله، حتى النظر إلى الله مع رؤية النفس في ذلك حظ، غير أنه أرفع من غيره في الجنة. وأما أرباب التجليات ليس لهم حظ، وإنما أخذوا حظهم من حضرة ربهم، ثم بعد أخذهم منها غابوا فيها، وتاهوا في بهجة أنوارها، فنسوا الحظ ورؤيته، ووجدوا ما أغناهم في تلك الغيبة عن رؤية حظوظ أنفسهم، فصفقت لهم أوراق أشجارهم بأصناف اللغات، في أنواع التجليات، فوجدوا في ذلك منطقا لذيذا لم يشبه المنطوقات، وتفتقت لهم أكاميم الأزهار، فغشاهم ريح طيب زهرها، فشموا له رائحة، فوجدوه ألذ المشمومات، فجرت لهم أنهار سلسبيل من واد كوثرهم، فشربوا منه كأس الحب، فوجدوه أعذب المشروبات، فقطفوا من ثمار الوصل لون المطايب، فأكلوا منه، فوجدوه أحلى المطيبات، فسكنوا لذلك ولم يبغوا عنه حولا، فناداهم الجليل يا أوليائي بي تنعموا، وبي تلذذوا، وبي عرفتموني، ولولا معرفتي لم تعرفوني، ولولا محبتي فيكم لم تحبوني، ولولا مني عليكم لم تشهدوني، فبي عرفتموني، وبي شاهدتموني، وبي غبتم عن غيري[1]، وبي بقيتم ببقائي، ولولاي لم تشهدوني، وأبحت لكم النظر الدائم إلى وجهي، وخصصتكم بحضرتي من بين خلقي، وأنا الذي ابتليتكم في دار الدنيا بالأكدار والمحن،

---

1 م: غير.

ورميتكم بسهام[1] المصائب، وسلطت عليكم الفقر والفاقة، وأدبرت عليكم خلقي، وأقبلت عليكم الإذايات، وأعطيتكم البلاء والبلوات. ومنعتكم لذيذ الشهوات فصبرتم على ذلك، وثبتم على توحيدي. فعرضتم أبدانكم لمصائبي، ونصبتموها لحلول أكداري، وأقبلتم علي بواطنكم، وتعلقت قلوبكم بحبي، ونسيتم التسليط الذي سلطته عليكم وعرفتموه اختبارا مني وامتحانا، حتى ظهر لكم نوري، وأوضح لكم قوة الإيمان بي، فتيقن دليلكم أي تحقق أن عطائي لكم منع، ومنعي عطاء، ثم بعد ذلك استوى عندكم المنع والعطاء،وهذا كله بإذن مني، ومرأى، وحيث علمت حقيقة ذلك منكم، وأدركت من حقائق سركم ما لم تدعوه أنتم لنفوسكم أسبلت عليكم ستري، وأطلقت لكم وثاق لطفي، فأدركتم من كرم لطفي ما لم يطقه فرحكم، فاتسعت صدوركم بقدرتي، وانشرحت لإلقاء بث سري، وانفسحت بشمس المعارف للذيذ خطاب تجلياتي، فصار سرّي لم يسعه أرضي ولا سمائي، بدليل قولي: "**ما وسعني أرضي ولا سمائي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن**" فتمتع الآن بحضرتي، وتنعم بلذيذ خطابي، فهذا شأن العبد مع مولاه، وحيث كان معه في الدنيا يكون معه في الآخرة، بحسب مقتضى حاله، بدليل قوله صلى الله عليه وسلم "**يموت المرء على ما عاش عليه ويبعث على ما مات عليه**"، وكذلك الإنسان ما كان عليه في دنياه يكون عليه في حالة الموت، وما

---

1 ط، م: بأسهام.

كان عليه في الموت يكون عليه عند البعث، وما يكون عليه عند البعث يكون عليه في مناقشة الحساب، وما كان عليه في حسابه والعرض على ربه يكون عليه في دخول الجنة[1] والنار، وما كان عليه في دخول جنته أو ناره يكون عليه في التجليات كما تقدم الذكر فيها، وهذا معنى المكاسب والمواهب الربانية، والله أعلم.

وطبقات الجنة ثمانية، فالطبقة الأولى تسمى بجنة السلام[2] وجنة المجازاة، والثانية تسمى بجنة الخلد، وجنة المكاسب، والثالثة تسمى بجنة المواهب، والطبقة الرابعة تسمى بجنة الاستحقاق، وجنة النعيم، وجنة الفطرة، والطبقة الخامسة تسمى بجنة الوسيلة، والطبقة السادسة تسمى بجنة الفضيلة، والطبقة السابعة تسمى بالدرجة الرفيعة، والطبقة الثامنة تسمى بالمقام المحمود، وهذه الثمانية[3] المذكورة للخلق الموعود لهم بذلك، ما عدا المقام المحمود فإنه لرجل واحد، وهو خير خلق الله سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ولا يشاركه أحد في ذلك المقام، غير أن الرسل غيره عليهم الصلاة والسلام لهم المترل في المقام، وهو أعلاهم أي أرفعهم في المقام المحمود، اسم المقام يعم الرسل كلهم، واسم المحمود يخص رجلا واحدا، وهو محمد صلى الله عليه وسلم كما أن الدرجة الرفيعة لها اسمان

---

1 م: - الجنة.

2 م: الإسلام.

3 م: + أبوابا.

مخصوصان بها من غيرها من الجنات[1] المتقدم ذكرها، كذلك المقام المحمود له اسمان يخصانه، ومثال ذلك أن الجنان السبعة كل جنة منها يخصها اسم واحد، يعني كجنة المكاسب، وجنة المواهب، وجنة عدن، وجنة الخلد، وجنة الفردوس، وجنة الوسيلة، وجنة الفضيلة، هذه الدرجات[2] السبعة، كل باب منها يسمى بمقتضى اسمه.

وأما الدرجة الرفيعة لها خصوصية على ما قبلها لأنه مقام رفيع عن غيره، وغيره من الجنان يكنى باسم الجنة، كجنة المكاسب، الخ، وهذه الدرجة تكنى الرفيعة لرفعة شأنها وقدرها من غيرها، كما أن المقام المحمود يكنى بالحمد، لأنه جمع المحامد كلها، ولم يبق شيء من المحامد إلاّ وهو داخل في هذا المقام، أي المقام المحمود، ومقام الحمد أرفع من مقام الرفعة، لأن الرفعة تطلق على كل ما سما وارتفع، أي علا، والحمد يطلق على محامد الله كلها ما علم منها، وما لم يعلم، والله أعلم.

إن الدرجة فيها أرباب التجليات، أي المقربون لله تعالى، والرفيعة فيها الأنبياء عليهم السلام، والمقام فيه الرسل عليهم الصلاة والسلام، والمحمود فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذه عبارة غريبة، ودرر نفيسة لا يعلم حكمها، ومقتضى سرها إلاّ باريها ومصورها لا غير، وإن قلت إن الأنبياء عليهم السلام لهم جنة أخرى ليس إلاّ، وإن قلت إن الرسل عليهم السلام لهم طبقات أخرى ليس إلاّ، فنقول إنما الجنات ثمانية لا تاسع لها،

---

1 م: الجنة.

2 م: الدرجة.

ومقام سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم مخصوص به، وهو أرفع درجات الجنان المذكورة، لأن كل جنة لها أهل مخصوصة بها، والمقام المحمود مخصوص بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، غير أن المقام أظنه مقام الرسالة، والمحمود مقام خير خلق الله، وهو محمد صلى الله عليه وسلم، لأن المحامد كلها نشأت[1] وبرزت منه، صلى الله عليه وسلم، وكيف لا يكون هو أهلا لمقام الحمد؟ بل هو أهله، ولا يشاركه أحد في ذلك البتة، غير التشبه بأحواله، والاتصاف بصفاته الحسنة فقط، ولذلك عبروا[2] بالدرجة الرفيعة درجة واحدة، وهي تختلف باختلاف الأشخاص والأحوال، في مقام التجليات، وعبروا بالمقام المحمود مقاما واحدا، لأنه جمع فيه المحامد كلها، ومقام محمود عند الله ورسوله، غير أن الرسل عليهم السلام تأخذ نصيبها من المقام ولم توف بمقام الحمد فيه، بل كمل وأتم ذلك لرجل واحد، وإن كان الأنبياء عليهم السلام وفوا بالمحامد في شرائعهم، بأن لم يخلفوا منها نبذة واحدة لم تتم لهم إلا بمخالفة رسول الله صلى، وحيث ختم الله الرسالة بمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم تمت المحامدة كلها، لأنه هو أول خلق الله في الأزل، وآخر خلق الله في الرسالة، وظاهر خلق الله في الشرائع، وباطن خلق الله في الحقائق، لقوله تعالى ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾[3]، ولذلك خصصه الله بهذا

---

1 م: نشت.

2 كذا في ط، م.

3 الحديد/ 3.

المقام عن غيره من الرسل، لأنه هو أول الرسل، وآخر الرسل، وأول شافع، وآخر مشفع، وبشريعته انتسخت الشرائع، وبكتابه انتسخت[1] الكتب، وبرسالته انتسخت الرسائل، وبقيت رسالته موجودة أثرها في الكتاب والسنة لم يغب منها إلاّ عين رسم الذات، وهو ذات النبي صلى الله عليه وسلم المتكلم بها بلسان حسه، بل هو باق متكلم ناطق، ودليل كلامه ونطقه بلسان حاله الكتاب والسنة، لقوله عليه الصلاة والسلام "**تركت فيكم واعظين أحدهما ناطق، والآخر صامت**"[2]، أما الناطق فهو الكتاب، وأما الصامت فهو الموت، وهذا على نطقه صلى الله عليه وسلم لنا حسا وحالا. أما الحسي فهو الكتاب والسنة، وأما الحال فهي الحقائق الباطنية، لأن الظاهر شريعة، والباطن حقيقة، والكل منه سواء، جعلنا الله وإياكم من أمته المتبعين سنته، وأحيانا وإياكم ممتثلين أمره، وأماتنا وإياكم على حسن ملته، وبعثنا وإياكم على الدين الحنيفي[3] في أمته، بمنه وكرمه، إن شاء الله.

وهذا معنى الدرجة الرفيعة، والمقام المحمود، لأن مقام الوسيلة والفضيلة مقام الخواص من عباده، ومقام الدرجة الرفيعة مقام خواص الخواص، وهم المقربون أي أهل الحضرة بالله تعالى، والمقام المحمود مقام خاص بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وتختلف أهل هذه المقامات، باختلاف

---

1 م: انتسخ.

2 لم نعثر عليه في أي من كتب الحديث.

3 م: الحنفي.

المنازل، أما منازل الخواص فهي للأولياء والشهداء والصالحين بحسب أحوالهم فيها، ومقام خواص الخواص فهو للمقربين، وأعلاهم الأنبياء المتقدم ذكرهم في المترل، أي مرتبة النبوءة، ووفق المراد في مقام التجليات، لأنه مقام واحد، وتدخل فيه خواص الخواص، وتختلف باختلاف أحوالهم في التجليات، كل أحد في تجليه لم يشبه تجلي صاحبه، وكل تجل له من السر بحسب أنفاس الولي، أسرار لم تنحصر، وهذا مقام الدرجة الرفيعة، والدرجة كما ذكرنا للمقربين، والرفيعة للأنبياء عليهم السلام، والله أعلم.

لأن هذه الدرجة انتهاء الدرجات، وليس فوقها درجة أخرى غير درجة نبينا صلى الله عليه وسلم، ولا مفهوم لهذا لأن أمر الله في الجنة لا يكيف ولا يحد، ولا يعد، لأن الله تعالى يقول لها امتدي بسعة رحمتي، فتمتد الجنة طولا وعرضا برحمة الله، ورحمته ﴿وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[1] كما قال تعالى، حتى إن المؤمن الكامل يدخل على أبواب الجنة السبعة في مروره لمترله في أسرع من حين، والجنة تنقسم بين أهلها بحسب الأعمال والمواهب والتجليات الخ، ومثال ذلك أن أصحاب الجنة الأولى وهي جنة السلام، وجنة المجازاة لا يتعدون جناهم، وأهل الجنة الثانية وهي جنة الخلد وجنة المكاسب لا يتعدون جناهم، وأهل الجنة الثالثة وهي جنة المواهب لا يتعدونها، ولا يدخلها غيرهم، والرابعة وهي جنة الاستحقاق وجنة النعيم

---

1 الأعراف/ 156.

وجنة الفطرة لا يتعداها أهلها، والجنة الخامسة وهي جنة الفردوس أعلى مما تحتها لا يتعداها أهلها، والسادسة وهي جنة الوسيلة والفضيلة لا يتعداها أهلها ولا يدخلها أحد غيرهم، والجنة السابعة وهي جنة الدرجة الرفيعة لا يتعداها أهلها ولا يدخلها أحد غيرهم، والمقام المحمود وهو جنة الذات لا يتعداه صاحبه، وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ولا يدخله غيره، والولي الكامل يمر على كل جنة من هذه الجنات، ويدخل من أبوابها السبعة في لحظة، إلى أن يصل مقامه الرفيع من الدرجة الرفيعة، لأنه ذاق من كل جنة نصيبا كما هو مذكور، وغيره من أهل الجنان كل فرقة أو طائفة مختصة بجنة، لم يختص بها أحد غيرهم، ولا يدخل أحد لأحد سوى النظر للمنازل كما تقدم لا غير.

وأما الكامل يمر على المنازل إلى أن يصل مترله الأعلى، وهي جنة الصفات المتصفة بالذات، وهذا المحل لا يترله أحد سوى هذا الكامل، لأنه مخصوص به دون غيره، وهذه صفة المنازل في الجنة، ذكرناها بحسب علمنا بذلك، والله أعلم، وهذا معنى مرور الولي على أبواب الجنة السبعة، والله أعلم، لأن أبواب الجنة السبعة متوقفة على أنفاس المؤمن، في حالة ترقيه، وأنفاسه في الترقي سبعة معروفة غير السبعينية المتقدم ذكرها، ونفس الكامل هي الثامنة في الأنفاس، لأن هذه النفس لا يعلم حقيقتها إلاّ الله، وليس لأحد له مدخل في هذه النفس غيره، لأنه مقام تجليات الذات، ومقام تجليات الذات لم يتوصل له بالعقل، ولا بالنظر، ولا بالدليل، لأنه لا دليل يدل عليه في ذلك المقام، ولا كتاب ولا سنة أخبرتنا

به غير الإشارات المرموزة الدالة على العجز والتقصير فيه لا غير، ولذلك ذكر أهل الترقي في ترقيتهم وسير سلوكهم سبعة مقامات، وسعة أنفاس وعبروا عنها بأفنان العبارات، وأحسن الإشارات، وسكتوا عن الثامنة، وأبهموا الأمر عن ذكر مقامها، لأنه مقام فرد أي وتر لا ثاني له، وليس يدخله أحد بل هو لرجل واحد مختص به، ومعنى هذا اعلم أن المؤمن أي صاحب النفس الأمارة له باب يدخل عليه، وإن خرج منه للنفس اللوامة صار له مقامان، وإن دخل المقام الثالث وهي النفس الملهمة صار له مقام ثالث، وإن دخل المقام الرابع صار له مقام رابع، وهكذا إلى السابع، ويأخذ من كل مقام نصيبه أي حظه، حتى يعبر عن جميعها، وحيث يدخل المقام السابع ينسى جميع المقامات، ويشتغل بالمقام الأعلى، لأن كل مقام له جنة، وحيث مر عن المقامات السبع، مر على الجنان السبعة إلى أن وصل مقامه، لأن كل مقام من المقامات السبعة له ذواق يذوقه من نعيم الجنة، إلى أن يذوق نعيم الجنان السبعة، ونضرب لك مثالا في مروره على أبواب الجنان السبعة يعني مثاله كالمجذوب في أول ابتدائه يمر على المقامات في أسرع من طرفة عين، ويحصل له مقام الانتهاء في لحظة من غير تأمل في المقامات كما تقدم، ويثبت له المقام بحول الله وقوته، غير أنه يرجع متدليا إلى المقامات لتحصل له المعرفة التامة بتدريج المقامات السبعة، كما ذكر، وكل مقام له جنة من الجنان المذكورة، ومقام تجلي الذات أعلى الجنان، وكما مر الإنسان في دنياه على المقامات السبعة، يمر

على أبواب الجنة السبعة، غير أنه لم يقم فيها[1]، بل يقيم في المقام الأكمل من السابعة، كما قام فيه في أول حاله في الدنيا، يقيم فيه في الآخرة، وكما أحسن العبور عليها[2] في دار الدنيا بحسن المرور عليها[3] في الآخرة، ولا يحصل له المقام الأكمل، ولا النزول فيه حتى يمر على الجنان السبعة، لأنه طريقه، ولا طريق له إلى مقامه إلاّ من تلك الطريق، وكذلك حال أهل الجنة في جنتهم، يعني لا يتوصلون إلى الباب الثاني إلاّ من الباب الأول، ولا يتوصلون إلى الباب الثالث إلاّ من الباب الثاني، ولا إلى الرابع إلاّ من الثالث، ولا إلى الخامس إلاّ من الرابع، ولا إلى السادس إلاّ من الخامس، ولا إلى السابع إلاّ من السادس، ولا إلى الثامن إلاّ من السابع، وهكذا حالهم في منازلهم في الجنة، والله أعلم.

ومثال ذلك بين واضح في تدريج المقامات، لا إشكال فيه، ولا تلبس، وكذلك في تدريج مقامات أهل الجنة، لأن أهل الجنة يتفاوزون[4] بالأعمال في جنتهم، وفوزهم يكون بمقتضى أحوالهم في الأعمال في دار الدنيا كما علمت، ولا يتجاوز أحد منهم ما اكتسبه في الدنيا من الأعمال أو المواهب، الخ، كما أن المقام الواحد من المقامات السبعة يكون مقاما واحدا، وأهله الداخلون فيه تتفاوت أحوالهم بحسب ما اقتضته

---

1 م: فيهم.

2 م: عليهم.

3 م: عليهم.

4 م: يتفاوتون.

الحكمة في ذلك، يعني المقيمون فيه كثير، والراحلون منه كثير، والقاصرون عنه كثير، وكل مقام هكذا يكون حاله مع أهله، ولا سبيل لأحد أن يدخل المقام الثاني من غير مرور على المقام الأول، وهكذا في كل المقامات يكون الأمر كما تقدم الذكر فيه، غير المجذوب المنفوح فإن له جذبة واحدة تنقله من الأسفل إلى الأعلى، كما هو مذكور، ويرجع بعد ذلك بالتدلي المذكور، كذلك أهل الجنة لهم الشرف الجزيل، والنعيم المقيم في جنتهم، ولا حد ولا نهاية لعدد جنتهم، غير الملك فإنه يحد بالقسمة المذكورة، فما بالك بأهل المقام الأكمل؟ وهو المقام السابع من المقامات، ليس له نهاية تحده، لأن نهايته التجليات، والتجليات لا حد لها كما ذكر، نعم لا غرابة فيما ذكرناه من مرور الولي على أبواب الجنة السبعة في أسرع حين، بل مر عليها في لحظة، وهو في دار الامتحان، وهي دار الدنيا، وكيف لا يمر عنها وهو في دار الآخرة، وهي دار المقام.

اعلم أن أحوال الكامل لا تميز ولا تقاس في هذه الدار، وكيف تميز وتقاس في تلك الدار؟ وأحواله ومكاسبه في الدنيا دالة على أحواله ومكاسبه في الآخرة، لقوله ﴿**هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[1]، يشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم "**يموت المرء على ما عاش عليه**"[2]، أي تجزون في الآخرة بما كنتم تعملون في دار الدنيا، والإنسان الكامل اكتسب هذا المقام العظيم بفضل الله ومنته، وسعى سعيه في عاجل الدنيا،

---

1 النمل/ 90.

2 لم نعثر عليه في أي من كتب الحديث.

وكيف لا يسعاه في آجل الآخرة، لقوله ﴿وأن لَّيس للإنسان إلَّا ما سَعَى﴾[1]، يعني ليس للإنسان في الآخرة إلاّ ما سعاه في الدنيا، يشهد بذلك قول الله لهم ادخلوا الجنة برحمتي، واقتسموها بأعمالكم، أي ادخلوا الجنة بكرمي، الذي تكرمت به عليكم، وبفضلي، وجودي، ورحمتي، لقوله تعالى ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[2]، أي رحمتي وسعت كل شيء حتى الأعمال الصالحات، والإخلاص، وغير ذلك مما يعتمد عليه الإنسان من أفعال البر، لا يسعه ذلك إن استند إليه[3] وإنما يسعه فضل ربه، ورحمته لا غير، والمراد في اقتسموها بأعمالكم أي خذوا قسمتكم فيها بما اقتسمتموها[4] في الدنيا بالأعمال الصالحات، وإن قال قائل إن للجنة أبواباً[5]، وكيف يتأتى الدخول من باب إلى باب، ومن مقام إلى مقام، وكيف يكون المرور على المقامات إلى المقام الأعلى منها؟ بل اللائق أن تدخل كل فرقة على بابها الذي اكتسبته في المقسوم، وكيف يكون سبيل الدخول على غيره من غير أن يكون أهلا لذلك المقام؟ الجواب في ذلك، نعم إن القياس في هذا عكس ما رأيته في دنياك، وما شهدته في إحساس محدثاتك من الأملاك والمكاسب المحسوسة، لأنك في

---

1 النجم/ 39.

2 الأعراف/ 156.

3 م: له.

4 م : قسمتموها.

5 ط، م: أبواب.

ذلك حيث تدخل من باب تدخل بكلياتك، وحيث تخرج من آخر تخرج كذلك، ولا تشهد إلاّ ما رأته عين بصرك فقط، نعم هذا من وصف الحجاب فيك، وطمس البصيرة منك، وكثافة طبيعتك البشرية، المتصفة بالأوصاف المذمومة، وكيف لو كشف لك الحجاب؟ وسمعت لذيذ الخطاب، لعاينت من الأسرار المعنوية ما يغيبك عن تلك[1] الإحساسات التي كنت تجدها من نفسك، وتشهد مشاهد عجيبة في المكاسب الديمومية بديموميته، وترى أبوابها عكس ما كنت عليه من أبواب دنياك، ومقاماتها عكس ما كنت مقيما فيه في الدنيا، وثمرها كذلك، وغرسها كذلك، وأكلها كذلك[2]، ولذتها كذلك، ونعيمها كذلك، هذا كله تذوقه[3] وتشهده معنى غير الشهود الحسي، الذي كنت تشهده منك، لأن هذا المشهد عبوره وذواقه وكسبه وحاله روحاني، والروح حالها لم يدخل تحت حصر، ولم يميز ولم يقس بشيء هذا مثاله في أحوال الترقي والتدلي، بين لمن ذاق سره، ومن ذاق سر هذا النعيم المقيم، وعبر عن جميع مقاماته في الدنيا كيف يعجز عنه في الآخرة، ولم يمر عن كونه، لأن الجنة مخلوقة، وغايتها كون في الأكوان، وهو صار حاله وغالب أمره مع المكون، وإن يغب عنه الكون ومن فيه من النعيم إلا[4] أن هذا الكون شرفه الله عن

---

1 م: ذلك.

2 م: - كذلك.

3 م: تذقه.

4 ط: إلى.

جميع كائناته، وفضله عن سائر خلقه لأنه[1] مسكن ومقر أوليائه، وجنود أصفيائه، ودار لأنبيائه، غير أنه لم يحجب الأولياء عن النظر إلى الرب سبحانه، ولم يشغلهم عن تجليات الحبيب، ومن صار حاله التجلي الحقيقي نسي النعيم في الجنة، بل النعيم يشتاق له كما ذكر.

اعلم وفقك الله أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أن عرج إلى السماء ليلة أسري إلى ربه، وكان منه قاب قوسين أو أدنى، لم تبق سماء من السموات السبع إلاّ وفتح له بابها[2] ومر عليها، وصلت خلفه ملائكتها وشيعته إلى سدرة المنتهى، والملائكة تزدحم عليه، وآخرهم عند سدرة المنتهى جبريل عليه السلام، ومن هناك صعد صلى الله عليه وسلم على البراق، وقيل نصب له المعراج، وقيل جذبه[3] الله من هناك جذبة إلاهية إليه، إلى أن وصل منه قاب قوسين أو أدنى.

فانظر رحمك الله هذه العجائب التي مر عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها في ليلة واحدة في أسرع من طرفة العين، مر على السبع سماوات، ورأى من عجائب ربه، ومكنونات غيبه، وأتى بالواجبات من عند ربه لأمته، وسأله في مصالح مقتضى حكم الدين كله، ولباه وقبل منه ما أراده، وأقبل عليه بوجهه الكريم، وكلمه ورعاه عيانا بعين رأسه على المشهور، وحيث تم له الفضل والشرف الجزيل، رجع وتدلى من سبع

---

1 ط: إلا.

2 م: بابه.

3 ط: جذبة.

سماوات إلى أن وصل منزله الذي سرى منه، وأخبر بذلك صلى الله عليه وسلم فكذبه قومه، واستغربوا ذلك حتى أتى لهم بالبينة الواضحة، والدلائل القطعية[1] كما هو مذكور في السير، ثم بعد ذلك أسلم من أسلم[2]، وكفر من كفر، وجحد من جحد، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، فافهم سيدي أمر الله، لا يكيف، وأمره بين الكاف والنون، لقوله تعالى ﴿**إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾[3]، هذا بين السماء والأرض خمسمائة سنة، وسماء الدنيا كذلك، وبين السماء والسماء كذلك، إلى السماء السابعة، الخ، كلها انفتقت له في لحظة، وانخرقت له الحجب، وجاز عليها من غير أن تلحقه مشقة في ذلك أبدا، بل شاهد من عجائب ربه ما أبهر عقله، وهو غني بربه عن تلك المشاهدات، حتى قضى مآربه في تلك الليلة، ورجع في أسرع من طرفة عين، وقيل وجد مكانه عند رجوعه الذي سرى منه حاميا لذوذاً، كأنه لم يفارقه إلاّ بيسير، والله أعلم بذلك.

وانظر سيدي كيف وجد يونس عليه السلام ربه في بطن الحوت في ظلمات البحر، من تحت سبع أرضين، والأرض مسير خمسمائة سنة، وبين الأرض والأرض كذلك إلى الأرض السابعة السفلى، وهو البحر الذي فيه يونس عليه السلام، وهذه الطبقات كلها لم تحجبه عن رؤية ربه، والله

---

1 م: القطيعة.

2 م: سلم من سلم.

3 يس/ 82.

تعالى لم يخف عنه شيء في أرضه ولا سمائه، لقوله تعالى ﴿**وهو الذي في السَّمَاء إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ**﴾[1]، أي أمر قدرته كائن في السماء والأرض، وهو بكل شيء عليم، ودليل ما ذكرناه في المرور على المقامات السبعة، أي درجات الجنة قول الجيلي نفعنا الله به في إخباره على الطبقات السبعة في الجنان وغيره من الأولياء كثير، قد أخبروا عن ذلك ونصوا عنه في كتبهم المرسومة، وإشاراتهم الباهرة، وعباراتهم الفصيحة، ولولا اطلاعهم على ذلك، وكشفهم الرباني على ما اقتضته الحكمة في ذلك، لم يخبروا عن الدرجات السبعة ولا تعرضوا للكلام على ذلك[2]، ولا تكلموا في تفصيل فنونها، كل أحد يخبر بقدر شربه، أي ذوقه في ذلك، يشهد لهذا كله قول نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم "**ما كان شيء لم أره إلاّ رأيته في مقامي هذا حتى الجنة والنار**"[3] أو كما قال، فهذا دليل على أن الجنة والنار لا تخفى على أهل العلم بالله، لأن الولي ينظر بنور الله، ونور الله حائط بعلم الله، وعلم الله حائط بخلقه، وخلق الله عدم في قدرة الله، ألم تسمع قول الشاب المعروف بالكشف والاطلاع على الجنة والنار، حيث قال لمن ماتت والدته بعد الدفن، والدتك في النار، فاهتم السيد لذلك، واغتم كثيرا، وجعل يذكر الله تعالى، وذكره لا إله إلا الله إلى أن بلغ سبعين ألفا لا إله إلا الله، وحيث وفي ذلك قال في نفسه، أي رب إني

---

1 الزخرف/ 84

2 م: للكلام لذلك.

3 رواه البخاري.

قد وهبت ثواب السبعين ألف لا إله إلا الله على[1] والدتي فداء لها من النار، فلم يستتم كلامه إلا والشاب يصيح ويقول هاه، والدتك الآن في الجنة، فقال له الرجل بم ذلك؟ فقال بسبب السبعين ألف لا إله إلا الله التي وهبتها لها، فكانت لها فداء من النار.

فانظر رحمك الله ما أعظم هذا الأمر؟ كيف اطلع على أهل الجنة، وأهل النار، وأغرب من ذلك اطلاعه على ما في الضمير في العبد هذا كله يطلعون عليه غير مقاماتهم، ولولا مرورهم على تلك الطبقات، وكشفهم على معانيها لم يصح عنهم خبر في ذلك، ولم يخبروا بطبقات غيرهم، بل يختصون بالنظر إلى مقاماتهم، والمرور عليها لا غير، ولما أن كان لهم المدخل في ذلك، والمخرج عبروا عن كل المقامات علويها وسفليها، واسكنوا منها الأعلى، وبقي الأدنى تحتهم يعبرون عنه بأفصح العبارات، كل أحد يعبر بقدر ذوقه في المكاسب، وكما أحسنوا المرور على المقام، وعبروا عنه في الدنيا، احسنوا المرور عليه، وعبروا عنه في الآخرة، أما حسن مرورهم في الدنيا على المقام، وتعبيرهم عنه بالترقي والسلوك شيئا فشيئا، حتى سلكوا عن جميع المقامات، وكملت أحوالهم في مقام التجليات، وتعبيرهم عن ذلك التحدث بنعم الله عن تلك المواهب، التي نبتت في صدورهم، والنطق به باللسان لعباد الله، إن كان أهلا للكلام، أو صادف[2] محله، وإلاّ فالصمت أولى، وأما مرورهم على المقامات في

---

1 كذا في ط، م.

2 م: صاد.

الآخرة فتشريف لهم، وتعظيم لقدرهم، ورفعة لشأنهم، جل ربنا أن يمر بهؤلاء الطائفة عن غير طريق الجنة، ويدخل بهم مقامهم من بابه، فهذا من الجفاء، والله ليس بجاف، وهو على ذلك إذا يشاء قدير.

وأما تعبيرهم عن ذلك الكشف، وزوال الحجاب عنهم في تلك المقامات، حتى مهما مروا على مقام إلاّ عرفوه، وعرفوا أهله، لأنهم يشاهدونه في دار الدنيا بنور ربهم، وكيف يغيب عنهم الآن في الآخرة؟ بل يزداد لهم إيضاحا وبيانا، ومقامات أهل الجنة لم يخف بعضها عن بعض، يعني الأسفل منهم يرى ما فوقه، كالكواكب، وهو كذلك إلى الثامن، فما بالك بالأعلى منهم كيف يغيب عنه شيء مما تحته وهو مر عليه؟ وهذا من المحال لأن بصيرة الكامل مفتوحة في الدنيا، وشاهد بها العجائب والغرائب، وخرقت له الحجب الظلمانية، والنورانية، والوصالية، والكمالية إلى أن بلغ حضرة قدسه، وبقى بتلك الحضرة يشاهد ما تحته بذلك النور، لم تغب عنه ذرة واحدة من كون الدنيا والآخرة إلى أن ينتقل من الدنيا، وهو على تلك الحالة، وكيف يغيب عنه شيء في الآخرة، وبصيرته منورة بتجليات الذات؟ وهذا لا يفهمه إلاّ من قصر فهمه من الله والدار الآخرة، ليس فيها حجاب، كما عليه أبناء الدنيا في دنياهم، بل هناك يزول الحجاب على العام والخاص، وعلى أهل الجنة، وعلى أهل النار، وكل طائفة ترى ما أعد لها الله من الخير والشر، ولا خفاء هناك، غير أن عوام اهل الجنة يحجبون بنعيمهم عن المقامات الخاصة، ولا يرونها إلاّ كالكواكب، لأنهم لم يتوصلوا لها، ولم يذوقوا

لتلك المقامات طعما، فخصوا بمقاماتهم، وأعطاهم الله من فضله، لأن كل أحد أغناه الله بجنته، ووسعها مد بصره، حتى لم يعدد غيرها لأن الجنة ليس فيها غبطة ولا حسد، ولا بغض ولا حقد، ولا غش لا نفس بشرية، ولا شيطان يوسوس فيها، وليس فيها مشقة ولا عناد، ولا مصائب، وأهلها على سر واحد كلهم أبناء ثلاثين سنة، جرد مرد محلون بالذهب والفضة، قصورهم من اللؤلؤ والمرجان والياقوت، وحصباؤها[1] الزبرجد، وترابها الزعفران، وحيطانها مشيدة بالذهب والفضة، يعني لبنة ذهب ولبنة فضة، وعيون من السلسبيل، وأنهار من لبن، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى، ولهم فيها من كل الثمرات، وحور عين، لقوله تعالى ﴿**وَحُورٌ عِينٌ، كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ، جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[2]، وفيها فاكهة مما يشتهون، بدليل قوله تعالى ﴿**وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾[3]، ليس فيها نوم ولا ليل، ولا نهار، وإنما هي كوقت الصبح قبل طلوع الشمس، وكل أحد له مقام فيها، أي في جنته، بحسب ما اكتسبه من عمله، أو من موهبة ربه، وأدنى أهل الجنة له من الملك قدر الدنيا سبع مرات، وقيل عشر مرات، وله من القصور فيها كثير، وله من الأزواج أي الحور العين سبعون حوراء، كل حوراء

---

1 م: وحصبها.

2 الواقعة/ 22-24.

3 الزخرف/ 71. ط: - وأنتم فيها خالدون.

أضوأ من الشمس، وكل حوراء[1] في قصرها تضيء فيه كالشمس، ليس في قصورهم ظلمة، ولا مصباح، وإنما الضياء يكون من القصر والحوراء، والزوج، لأن القصر يرى ظاهره من باطنه، وباطنه من ظاهره، وكذلك الزوجة لأن الزوجة الواحدة منهن خير من الدنيا وما فيها، ولو أشرفت على الأرض لطمست نور الشمس، وأذهبت بعقول أهل الأرض، ولماتوا شوقا لها هذا كله لأدنى أهل الجنة، فما بالك بأعلاهم؟ لم ينحصر نعيمهم، ولا يعد ملكهم، وبقيت الآن الجنة يختلف نعيمها باختلاف الأحوال والمقامات، وبحسب الأعمال تشيد القصور، وتغرس الأشجار، وتينع[2] الأوراق، وتثمر الفروع، وتخلق الأزواج، وتجري الأنهار، كما قال بعضهم على قدر الكساء مددت رجلي، ولو طال الكساء رجلي لطالت، وكذلك الجنة تمتد بامتداد الأعمال، وتقصر بقصر الأعمال، ولذلك قال بعض أهل العلم الجنة مخلوقة، وقال بعضهم ليست بتامة الخلقة، وإنما هي كالجنين في بطن أمه لا تتم خلقتها إلاّ عند قيام الساعة، نعم الجنة مخلوقة حقا، ولكنها خلقت لأجل المجازاة بالأعمال، والأعمال والجنة أهلها مخلوقة، خلقة سابقة في الأزل، من قبل أن يخلقها الله في ذلك الإيجاد، أي وجود الدنيا، وحيث خلق الله تعالى الكون أي الدنيا والآخرة، وما فيهما من سابق ولاحق ركب اللوح المحفوظ في علم غيبه، وخلق القلم بقدرته، وقال له اكتب يا قلم، فكتب القلم ما كان وما لم يكن، في أسرع من

---

1 م: حور.

2 م: ويتنضع.

طرفة العين، فجف القلم بما هو كائن، أي كتب القلم في اللوح ما كان في الدنيا والآخرة وما لم يكن، ولم يبق شيء من أمر الدنيا ولا من الآخرة إلاّ كتبه، وجف أي سكن وبقى صرير[1] الأقلام يكتب في محدثات الأمور السابقة في علمه بالكتب، والعلم أي وكل الله ملائكة بالليل وملائكة بالنهار يصعدون بأعمال العباد إلى الله ويعرضون عليه[2]، وهو أعلم بذلك منهم، ووكل بكل واحد من الخلق ملكين، ملكا باليمين، وملكا بالشمال، ملك اليمين يكتب الحسنات، وملك الشمال يكتب السيآت، وملك اليمين غالب على ملك الشمال، رحمة ولطفا من الله بعباده، ويكتبون الخير والشر، أي محدثاتهم، وكونهما الحقيقي موجود في سابق علمه في الأزل، وجعل الله هذه الدار دار بلاء ومحن، يميز بذلك الخبيث من الطيب لا غير، وهو أعلم بما تقدم وما تأخر، إلاّ أنه أجرى عادته في إيجاد الدنيا بذلك، لحكمة يعلمها هو من خلقه، فصار السعيد من سعد في سابق علمه، والشقي من شقي في سابق علمه، يشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم **"الشقي من شقي في بطن أمه، والسعيد من سعد في بطن أمه"**[3]، هذا دليل على أن الجنة مخلوقة وتامة الخلقة من قبل أن تخلق، أي سبق علمها وتم خلقها وعد ملكها في سابق الأزل، غير أن الله تعالى خلق الجنة وخلق لها أهلا، وخلق النار، وخلق لها أهلا، وقال في ذلك ﴿**فَمَن**

---

1 م: ضرير.

2 ط: عنه.

3 أخرجه مسلم والألباني.

يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يرَهُ، وَمَن يعْملْ مثْقال ذرَّةٍ شرّاً يرهُ﴾[1]، وأظن من قال إن الجنة لم تزل كالجنين في بطن أمه، هذا للذي هو باق في دنياه يعمل العمل ولا يتم له عمله إلاّ عند الخاتمة، لقوله صلى الله عليه وسلم "**إنما الأعمال بالخواتم**"[2]، وحيث يتم الإنسان بخاتمة عمله تتم له جنته بمقتضى حاله السابق في الأزل، وهذا ظاهر كلامه، والله أعلم.

وإن قلنا إن الجنة لم تزل كالجنين في بطن أمه إلى قيام الساعة لم تتم حينئذ الفائدة، فيبقى الأمر متوقفا بتعطيل تلك الحكمة، ولم تتم الفائدة ولا الحكمة السابقة، ولا اللاحقة، ولكن المشهور المتفق عليه عند أهل السنة أنها مخلوقة تامة، بإيجاد حكمتها، وإن اختلفت في الدنيا بالمعنى والحس بالأعمال الصالحات وغيرها، فصار أمرها عند الخاتمة، يرجع إلى حقيقة الأمر أي إلى السابقية التي سبقت في علمه، وكذلك قالوا همة السالك لا تخرق سوابق الأقدار، وكذلك جرت على يده الكرامات، وخرق العادات لم تخرق له سوابق الأقدار، وإنما الجاري على يده هو السابق في الأزل، كذلك الساحر، والكاهن، والعاين هممهم لا تخرق سوابق الأقدار، وإنما الذي أجراه على أيديهم سابق في علم الله من قبل أن يحدث لهم، وحيث أحدث إنما أراد الله أن يوفي ما اقتضاه الحكم في ذلك، لا غير، وهذا معنى محدثات الأمور، ومهما أحدث شيء في الكون إلاّ وعلمه سابق حدوثه، وإنما أحدث لحكمة أجراها الله في ذلك، وهذا دليل

---

1 الزلزلة/ 7-8.

2 رواه البخاري.

على كون خلقة الجنة التامة، والله أعلم، لأن الجنة والنار خلقا[1] لأجل الثقلين، والثقلان خلقا لأجلهما، ولولا الثقلان أعني الإنس والجن لم يخلقا جميعا، والجنة لها أهل لا يعملون إلاّ لها، والنار لها أهل لا يعملون إلاّ لها، وكلا الفريقين على مقتضى حكمة القادر، بدليل قوله تعالى ﴿**فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ**﴾[2]، ولما أن وعد الفريقين بوعده، أنفذ حكمه، وأنجز وعده، في الفريقين، وكل منهما يعمل على ما اقتضته الحكمة في ذلك، فأهل النار طبع الله على قلوبهم، وأغناهم بمقتضى أعمالهم، وسعوا بذلك سعيا نافذا وتتخيل لهم النار جنة، والجنة نارا، فيعملون على مقتضى حكم النار باعتقاد فاسد، وادعاء باطل، وفي دعواهم وزعمهم أنهم على الصواب، بل ضلوا في أنفسهم وأضلوا تابعهم، وهكذا حالهم إلاّ من سبق عليه الكتاب، فيوفقه الله للهداية والطريق المستقيم.

وأما أهل الجنة فيشرح الله صدورهم للإيمان، ويعملون بالأمر والنهي، وتتنور بصيرتهم، فيرون الحق حقا، والباطل باطلا، فتتخيل أي تظهر لهم الجنة جنة والنار نارا[3]، ويؤمنون بالغيب، ويقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، ويوحدون الله حق توحيده، ويشهدون أن لا إله إلا الله محمد رسول الله، غير أن النفس البشرية متلبسة بهم، وسعوا في الخلاص منها بقدر إيمانهم، شيئا فشيئا إلى أن خرجوا من دنياهم، وتقسم الجنة بينهم

---

1 ط: خلفوا.

2 الشورى/ 7.

3 م: نار.

بحسب أعمالهم ومواهب ربهم، وهذا معنى تدريج الأسماء والمقامات، لأن اسم المقام عام لما اكتسبه الإنسان من الأعمال، والجزاء عليه في الآخرة، ولا يعتد الإنسان في آخرته بغير[1] ما اكتسبه من الأعمال في دار الدنيا، والكلام هنا يطول في ذكر الجنة وأهلها، وصفة المرور عليها، والصعود في الدرجات هو التدريج في المقامات، كما ذكرناه، والله أعلم. وما ذكرناه كاف لمن أذعن وأسلم الأمر.

في الكلام هنا وأنت أيها القارئ الناظر في هذا الكلام، إن كان لك فهم في المعنى، أي اصطلاح اللغة، يجب عليك صلاح حروف ما قد[2] نظرت، والخلل الذي تجده فيه بحسب ما اقتضاه فهمك في المعنى، وأما غيره من الكلام الخارج عن عادة فهم ظاهرك في خرق العادات، الخ، فلا يئول بك الاعتراض إلى ما تلبس عليك فيه، لأنه مقام تلبس وإشكال ولا فهم فيه، إلاّ بنور الله، ولا يفهم كلام الأخرص إلا أمّه، ويلبس تلبسه وأشكاله عليك تلبس باطل، وأشكال سوء الظن، وإنما لبسه عليك الحجاب وأشكله عليك كثرة الذنوب، فالواجب في حقك إن لم تفهم التسليم لهم فيما يبرز منهم، وأصلح معنى الخلل الذي ذكرناه، وأبحنا لك في إصلاحه[3] ولا عليك في غيره من كلام خرق العادات فإنها جائزة شرعا، ولا

---

1 م: غير.

2 ط: – قد.

3 م: اصطلاحه.

تعرض[1] فيها لغير الخارج عن الكتاب والسنة، فإنه لا ينبغي الترك فيه، ولا التخلف عن النهي عنه، لأن من سلم لهم فهم معناهم، ومن تعنت وجحد ما هم عليه حرم الوصول إلى بركاتهم، ولم يحصل سوى حرقة الحسد في باطنه لا غير، رزقنا الله وإياكم التسليم لهؤلاء الطائفة، ومنحنا وإياكم من بركاتهم، وأذاقنا وإياكم من شراب محبتهم، آمين آمين آمين يا رب العالمين.

وبقى بحث في الدرجة الرفيعة والمقام المحمود المتقدم ذكرهما، وأردنا أن نبين بعض ما أشكل فيهما! وشوش الخاطر، لأن الدرجة الرفيعة مقام خواص الخواص، والمقام المحمود لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ونحن ذكرنا الدرجة الرفيعة فيها الصديقون من أمّة محمد صلى الله عليه وسلم، وفوقها أي سمو الدرجة فيها الأنبياء عليهم السلام، وذكرنا أن المقام المحمود يعني المقام تجتمع فيه الرسل عليهم أفضل الصلاة وأزكى السلام، والمحمود فيه محمد صلى الله عليه وسلم فنقول في ذلك، نعم إن الدرجة الرفيعة مقام عال، وهو أعلى الدرج، وأرفع مما تحته، إلاّ أنه تجتمع فيه المقربون من أمّة محمد صلى الله عليه وسلم، وفوقهم في المقام الرفيع الأنبياء، لأنه مقام عظيم، يسع الكل، ولا درجة فوق هذا سوى مقام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ولذلك هذا المقام وسع المقربين والأنبياء عليهم السلام، وفضل الله أوسع، وفوق هذا المقام المقام المحمود،

---

1 م: تعرض

والمقام المحمود أرفع المقامات، وأعظمها[1] لأن مقامه لم يعبر عنه أحد بل كلت الألسنة عن النطق بذلك، أنه تجتمع فيه الرسل عليهم السلام، وأرفعهم مقام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ولذلك فضل الرسل الأنبياء بهذا المقام، وهو أعلى من الدرجة الرفيعة، وفضل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الرسل عليهم الصلاة والسلام بالمقام المحمود، وهو أعلى المقامات، والمقام المحمود لا يكون إلاّ لرجل واحد، ولا ينازعه فيه أحد، ولا يطمع فيه أبدا بل هو لسيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم، ومن قائل يقول إن الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة لا تكون إلاّ لسيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم، ولا لأحد في ذلك مدخل البتة، الجواب في ذلك نعم إن الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة لنا أن ندعوهما بها لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، يعني قولنا اللهم أعط لسيدنا محمد الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته به أنك لا تخلف الميعاد، وأجزه عنا ما هو أهله، هذا الدعاء منا له أفضل الدعاء، وأشرف الوسائل، وهو تعظيم لمقام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وتشريف لمترله المحمود وزيادة لنا في الأجر، ورفع الدرجات لا غير، وأما مقامه فهو محمود مرفوع مصون محفوظ معصوم عن أن يعلله[2] شيء، ولا يزيد فيه دعاؤنا ولا ينقص منه غير ذلك، إلاّ أن الدعاء بهذا الدعاء تعظيم لمقامه المحمود لا غير، وزيادة لنا في الخير، والوسيلة

---

1 ط، م: أعظمهم.

2 م: يعلاه.

والفضيلة والدرجة الرفيعة حاصلة[1] له في مقامه المحمود لا تفارقه[2] قط، وقيل أعطاه الله الوسيلة، وهو أعظم الوسائل إلى الله تعالى في كل حال، وهو في نفسه وسيلة وعطية من الله لخلقه، ولا وسيلة أعظم منه صلى الله عليه وسلم، وأعطاه الفضيلة لأنه هو أعظم الفضائل، وهو في نفسه فضل ومنة من الله لخلقه، ولا فضل ولا منة أعظم منه صلى الله عليه وسلم، وأعطاه الدرجة الرفيعة، أي أعطاه المكان الرفيع عنده، وأسكنه حضرته، وأعلى مترله عنده، وأعطاه الشفاعة، وأولاه بما هو دين غيره، وهو أول من يؤذن له في الشفاعة يوم القيامة عند شدة الوقوف والقلق، وأول من تنشق عنه الأرض، وأول من يدخل الجنة، كما قال له تعالى، الجنة حرام على غيرك حتى تدخلها أنت وأمتك، وهذه هي الدرجة الرفيعة عنده صلى الله عليه وسلم، لأنه لم تهمه نفسه، ولا مقامه المحمود، ولا رفعة درجاته، وإنما همه من أمته صلى الله عليه وسلم، وهذا معنى دعائنا له بذلك، وإنما غاية الدعاء بذلك زيادة لنا من فضله، ورفعة وتعظيم لمقامه صلى الله عليه وسلم، لا غير، وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته به، أي أنزله المقام المحمود عندك الذي وعدته به، ولم تعد به غيره من الأنبياء والرسل، وهو المقام المعلوم أي مقام الشفاعة الذي ليس لأحد فيه مدخل غيره، أي ابعثه يا ربنا مقاما محمودا في الشفاعة، كما بعثته في الدنيا مقاما محمودا، وهو إتمام نعم الإيمان بالكتاب والسنة، أي ابعثه من قبره الشريف

---

1 م: حاصلان.

2 م: لا يفارقونه.

المقام الذي وعدته به، وهو مقام الشفاعة لعامة الخلق وخاصتهم، إنك لا تخلف الميعاد، وهذا هو أعظم المقامات عنده صلى الله عليه وسلم، لأنه لم يهمه شيء غير شفاعة الخلق التي[1] وعده الله بها دون غيره، وخصوصا أمته حين يقول الله رحمتي رحمتي، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم أمتي أمتي، لم يبق أحد منهم إلاّ ويدخل الجنة ببركاته، صلى الله عليه وسلم، لأن بركاته وأفضاله عمت الخاص والعام من أمته، صلى الله عليه وسلم، هذا معنى عطاياه في الفضل الذي ذكره في الدعاء، وقيل أعطه، أي أعطنا يا ربنا الفضل والوسيلة من فضله ووسيلته، والدرجة الرفيعة، أي اعل درجتنا يا ربنا في الجنة عندك، بفضله ووسيلته، وارفع لنا مكانها بعزه وجلاله، أي مكان الدرجة الرفيعة، وهذا الدعاء فضله عائد علينا نحن جميعا، وأما هو فغني عن دعائنا، ولا يستحق الزيادة مناله، لأن مقامه محمود رفيع، جل أن يرفعه ويعزه شيء مما يصدر منا له، من صلاة أو دعاء أو غير ذلك، مما فيه زيادة في مدده، وإنما مدده بمدد الله لم ينقطع، ولا يتوقف، ولا يزداد، وإنما الزيادة والنقص من خصائصنا نحن، وأما الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فمحال عنهم ذلك، وإنما يتفاوتون في المراتب بالزيادة، وأما النقص فمحال عليهم، أحرى نبينا عليه الصلاة والسلام، لأنه خير خلق الله، وكيف يكون له احتياج وافتقار لغير الله، حتى يزيده أو ينقصه، وهو افتقر إليه الكون بأسره، واحتاج واضطر لإغاثته صلى الله عليه وسلم، وأما مقامه المحمود الذي أراد أن يترله فلا

---

1 ط: الذي.

كلام فيه أي المقام المذكور، يعني هو أعلى المقامات، وهو مقام مرموز، ويكنى بالمقام المحمود كما ذكر، ويعرف بإشارة القول، لا بإشارة المعنى، لأن معناه حقيقته، وحقيقته لا يعلمها إلاّ الله فقط، ولذلك قالوا وابعثه مقاما محمودا، وهذا الدعاء عام وخاص، عام في الشفاعة والرحمة لخلق الله كما ذكرناه، وخاص في مقامه المحمود الذي وعده الله به، وهو أعلى المراتب كما هو مذكور، والله أعلم.

وهذا معنى قولنا في الدرجة الرفيعة والمقام المحمود، لأن الدرجة الرفيعة لا تكون إلاّ لخاصة الخاصة، والمقام المحمود لا يكون إلاّ لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ولكنه المقام المحمود مخصوص به هو وحده، ومقامات الرسل غيره أدنى منه، بمقتضى الحكم في ذلك، ومقامات الأنبياء أدنى من مقامات الرسل، ومقامات الصديقين أي المقربين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم أدنى من الأنبياء، ولم يفوتوهم إلاّ بمنزلة النبوة لا غير، وهكذا حال أهل الجنة الأدنى فالأدنى، والأعلى فالأعلى، إلى الجنة الأولى، ولولا خوف الإطالة[1] لبينا مناسبة كل فرقة من هؤلاء أي أهل الجنة بحسب فهمنا في منازلهم وأحوالهم، ولكن اختصرنا وما ذكرناه يكفي إن شاء الله.

وأردنا أن نختم الكتاب ببعض الأدعية أي أردنا أن ندعو الله تعالى، ونتوسل إليه، وهو أهل الإجابة ومعدن للوسائل، ومحل للكرم والجود، ونحن أهل الإساءة، ومعدن للخساسة، ومحل للأوصاف المذمومة، غير أن

---

1 م: + المؤدية.

الظن فيه إن شاء الله جميل حسن، وهو قال "أنا عند ظن عبدي بي"، ونحن أيقنا بالإجابة منه، قبل الدعاء، وكيف إن دعوناه ونحن أيقنا بالمغفرة منه في معصيتنا، وكيف إن أطعناه وهو يقبل منا الدعاء، ونحن مدبرون عنه؟ وكيف إن أقبلنا عليه وهو يتكرم علينا ويمن؟ ونحن نشهد المنة في ذلك[1] الإحسان من نفوسنا، وكيف إن شهدنا الإحسان منه وهو يسبل الستر علينا في المعصية؟ ويظهر الجميل منا الطاعة؟ ونحن نعصيه في الطاعة؟ ونحن لم[2] نعرفه عند ستره لنا في المعصية؟ وهو الذي أنعم علينا بسوابغ نعمه، ونسينا في تلك النعمة المنعم، وحيث سلبها علينا عرفناه بزوال نعمه، ولولا زوال نعمه لم يعرف المنعم بها.

وها نحن بين يديك، وأنت الذي افقرتنا إليك، ولا تواخذنا بالذي اجتريناه عليك، وأنت موصوف بالحلم يا حليم، وبالكرم يا كريم، ونحن موصوفون بالوصف اللئيم السوء الذميم، شتان بين الحادث والقديم.

وها نحن توجهنا إليك بوجه الافتقار، يا غني، وأنت الغني عن افتقارنا، ولولا عدم افتقارنا حجبنا لرأيناك، أنت الغني عنا، وها نحن توجهنا إليك بوجه الاضطرار يا رءوف، وأنت الذي وصفتنا[3] بالاضطرار، لتعرفنا بغنائك عنا، ورأفتك بنا، ولولا عدم اضطرارنا إليك لعرفناك غنيا، وها

---

1 م: تلك.

2 ط: - ونحن.

3 م: أوصفتنا.

نحن توجهنا إليك بوجه الضعف يا قوي، وأنت الذي وصفتنا[1] بالضعف حتى عرفناك قويا، ولولا معرفتك لضعفنا لم نعرفك قويا، وها نحن نتوجه إليك بوجه الذنب يا غفور، وأنت الذي وصفتنا[2] بالذنب، ولولا إقبالك علينا وغفرانك لذنوبنا لم نعرفك غفورا، ولما أن عرفتنا بوصف الذنب عرفناك بوصف الرحمة، وها نحن توجهنا إليك بوجه المعصية يا ستار، وأنت الذي سترها علينا حتى عرفناك ستارا، ولولا سترك علينا في المعصية لم نعرفك ستارا، وحيث وصفتنا[3] بالمعصية عرفناك بوصف الستر والرحمة، وها نحن توجهنا إليك[4] بوجه سنة الغفلة، يا حي يا قيوم، وأنت الذي وصفتنا[5] بصفة الغفلة حتى عرفناك لم تغفل و لم تنس، ولولا معرفتك لنا بتلك الصفة الناقصة، لم نعرفك بصفة الكمال، وها نحن توجهنا إليك بصفة العدم يا موجود، وأنت الذي وصفتنا[6] بصفة العدم حتى عرفناك موجودا، ولو لم تعرفنا بوصف العدم لم نعرفك بصفة الوجود، وها نحن توجهنا لك[7] بوجه الفناء يا باق، وأنت الذي وصفتنا بصفة الفناء حتى عرفناك باقيا موجودا، ولو لم تعرف بوصف فنائنا لم نعرفك باقيا

---

1 م: أوصفتنا.

2 م: أوصفتنا.

3 م: أوصفتنا.

4 م: لك.

5 م: أوصفتنا.

6 م: أزصفتنا، وهكذا في كل ما يأتي من هذا الفعل.

7 م: إليك، وهكذا في بقية النص.

موجودا، وها نحن توجهنا إليك بوجه النقص والعجز يا قوي يا متين، وأنت الذي وصفتنا بصفة العجز والنقص حتى عرفناك قويا متينا، ولو لم تعرفنا بوصف نقصنا وعجز مرادنا لم نعرفك بوصف قوة إرادتك النافذة فينا، ولا منن قهرية قدرتك السارية فينا، وها نحن توجهنا لك بوجه الافتقار والذلة والمسكنة يا عزيز يا غني يا مذل، فاغننا من فضلك عن افتقار نفوسنا، وذللنا بذل قهريتك عن ذل نفوسنا، حتى لم نعرف[1] لنفوسنا احتقارا ولا ذلا ولا مسكنة، وأنت الذي وصفتنا بهذه الأوصاف المردية، حتى عرفناك بوصف كمالك، وحق معرفتك، وها نحن توجهنا إليك بوجه الحجاب يا قريب يا مجيب، وأنت الذي وصفتنا بصفة الستر والحجاب لتعرفنا بظلمات نفوسنا وستر حجابنا، ولو كشفت لنا الحجاب لسمعنا منك الخطاب، ولما أن أوقفتنا من وراء الحجاب أذعنت النفوس لفصل[2] الخطاب، وأنت الذي وصفت القلب بصفة الغفلة والسنة والنسيان، وأظلمته بالمعصية والخذلان، والعبد واقف بباب طاعتك، ومجد في العمل، ونورت القلب وأيقظته من سنة غفلته، وذكرته لنسيانه، والعبد واقف بباب المعصية فاتر متكاسل متراخ عن أفعال الطاعات، وهذا منك معرفة لقدرنا، وحطة لشواهد نفوسنا كي تستقر وتذعن لشواهد الحق، وتخرج عن شواهد الباطل، لأن الطاعة لا تنفع صاحبها من غير أن تكون أنت فيها، والمعصية لم تضر صاحبها إن كنت شاهدها، وكم من طاعة

1 ط: تعرف.

2 بفصل.

أظلمت قلب صاحبها وأبعدته عن معبوده، وكم من معصية نورت قلب صاحبها وقربته من مولاه، وهذه منك رحمة يا حكيم، وقدرة صالحة يا قدير، والعبد المسكين الضعيف يتقلب في هذين الوصفين بين يديك، طاعة ومعصية، ولا ثالث لهما، فمن كانت طاعته طاعة فتلك عين المعصية، ومن كانت معصيته طاعة فتلك عين الطاعة.

فاجعل طاعتك معصية، ومعصيتك طاعة تكن مطيعا، وإلاّ فأنت عاص وإن كنت مطيعا المعصية في الطاعة وهو أن ترى نفسك في مباشرة الأعمال محسنا في طاعتك، كامل الأوصاف في عبوديتك، شاهد المنة لنفسك عن تلك الأعمال، معتمدا على أعمالك متوسلا بها بين يدي ربك، إن عملت ترى في نفس العمل قربا، وإن فترت ترى في نفس الفترة بعدا، وإن أحسنت في طاعتك سميت نفسك محسنا، وإن أسأت في طاعتك سميتها مسيئا[1] وتشهد في ذلك الخير والشر منك لا من ربك فهذا وصف المعصية في الطاعات[2] منك لربك المؤدي إلى قنوط رحمته أعاذنا الله من ذلك، وأما الطاعة في المعصية فهو أن ترى نفسك في حالة المعصية ذليلا حقيرا، منكس الرأس، حزين القلب، راجعا إلى الله بقلب سليم، تائبا مما أنت فيه، طالبا العفو واللطف من الله، خائفا من عقابه، وتكون معصيته سببا لرجوعك إلى مولاك، وتنويرا لقلبك، وشهود المنة في ذلك

1 كذا في ط، م.

2 م: الطاعة.

الرجوع، والتوبة والتنوير من الله، لا من نفسك[1] وهذه صفة الطاعة في المعصية، والله أعلم.

اللهم إن كنت تعلم منا الضعف والعجز والتقصير في أعمالنا الظاهرة، وأحوالنا الباطنة، فأنفذ مشيئة أقدارك فينا، وأمجز[2] حسن إرادتك بسرنا، حتى لم نعرف بذلك حكما لنفوسنا، ولم يكن لنا إشعار معك بالقليل من أسرارنا، اللهم إن كنت تعلم حقيقة وقوفنا بين يديك، وافتقارنا إليك، واتكالنا عليك، واضطرارنا لديك، فغيبنا عن الوقوف بالباب في حضرتك السنية، وأفننا عن افتقارنا إليك في تجلياتك البهية[3]، وحقق اتكالنا عليك في نفوذ المشيئة، وصحح اضطرارنا بين يديك بحقيقة الأزلية.

اللهم إن كنت تعلم منا ما يتحرك وما يسكن إلاّ بحركاتك وسكناتك، فاجعل حركاتنا وسكناتنا بمجاري أقدارك، لا بمجاري أنفاسنا، اللهم إن كنت تعلم منا حقيقة أنفاسنا تدخل وتخرج بحسن عوائدك فحسن مجاريها في خرق عوائدك، ولا تكلها إلى أنفاسها، حتى تكون جارية في غير مجرى أقدارك، اللهم إن كنت تعلم منا حقيقة التوجه إليك بالأوصاف المذكورة المتصفة بنا فاسلبها منا بحسن اختيارك، حتى لا نفتقر لوجه واحد منها، ويكون افتقارنا تعلمه أنت منا، ولم تعلمه نفوسنا منا، اللهم إن كنت تعلم سلب اختيارنا بك باختيارك لنا فاسلبها منا جميعا، حتى لا نعرف

---

1 ط: نفسه.

2 ط، م: وامجز. وكتب في هامش م: لعله أخرج وهو الظاهر.

3 م: بالهية.

اختيارنا في اختيارك، ويكون اختيارك هو اختيارنا، واختيارنا هو اختيارك، ولا اختيار لنا في اختيارك، اللهم إن كنت تعلم ما حقيقة السر والروح فاجعلهما في كنف حرزك الحصين، وأجرهما في برزخ أرواح الصديقين، وجنة الروحانيين، حتى لم يعلم فقري بغناء النفس في ذلك، ولم يشعر اضطراري بذلك الرمس، واجعلهما يا ربنا في سر سرك المصون، اللهم كما وصفتنا بالفقر، وفهمتنا الافتقار إليك، ووصفتنا بالعجز والفناء، وعرفتنا أن الكبرياء والبقاء لا يكونان إلاّ إليك، ووصفتنا بقهر الموت، وصفة العدم، وفقهتنا أن الحياة والوجود صفتان من حسن جمالك، أغننا بغنائك عن فقرنا، وتكرم علينا بكرمك وجودك الواسع عن ضيق رؤية كرمنا، وجودنا، وأدخلنا حياة الروح ونعيمها، حتى نشاهد هناك لا روح ولا نعيم معك، وأدخلنا مدخل صدق في ميدان تجليات ذاتك الجمالية، وأخرجنا مخرج صدق من تجلي جمالك إلى تجليات ذاتك الجلالية، ولا تكل سرنا في ذلك إلى سرنا، فإنه لا يعلم سر السر منا إلاّ أنت، واحجبنا عن رؤية سرنا كي نشاهد سرك، فإن سرك هو الذي أيقننا بسرنا، ولولا سرك الذي أوجد لنا السر لم نعرف سرنا، يا عالم خفاء السر منا، فاحجبنا عن سر خفائنا، حتى لا يعلم السر منا الخفاء، ولا الخفاء السر، وقلت في ذلك شعرا:

يا سالب النفس والروح مني فاجذبني

بنفحات منك يا كريـــــــــــم

واسلك بي سبيل النجاة واهـــدني
يا هاد إلى الطريق المستقيـــــم

ولا تبق مني نفسا ولا روحا تشهدني
ولا خيال يكون في السر يا رحيم

إلاّ أنت الذي سلبتني منهما فارجعني
إلى بقاء جودك يا عظيـــــم

حتى لم أشهد سواك في سر خـــــريّ
ولم أفتقر إلى غيرك يا دائـــــم

وأتحقق من شهود أنت الذي أشهدتني
مشاهدك الحسنى سبحانك يا قديم

سبحانك اللهم ربي، وبحمدك، استغفرك وأتوب إليك، لا إله إلاّ أنت، سبحانك إني كنت من الظالمين، اللهم كما خلقتنا قبل أن تخلقنا، ورزقتنا قبل أن ترزقنا، وأحييتنا قبل أن تحيينا، وأمتنا قبل أن تميتنا، يا خالق يا رزاق، يا مميت يا محيي، اجعل خلقتنا من أحييته في سعادة سعادتك، وأمته من شهداء شهدائك، وارزقنا من رزق الأرواح ما رزقت به أولياءك وأصفياءك المقربين، يا بر يا رحيم، اللهم أنت القادر على كل المقادر ومحيط بجميع المحيطات، وعالم بسر المعلومات، ومطلع على أسرار الخفايات، اسلك بنا سبيل مقاديرك الحسنة، ولا تجعل لنا قدرة بادعاء نفوسنا معك، وكن بإرادتنا واختيارنا التي حركتهما أقدارك فينا محيطا، ولا تجعل للنفس في ذلك سبيلا، لئلا تكلنا إليه يا محيط، يا عليم، وأنت

بكل شيء عليم، اللهم يا سميع يا بصير يا متكلم، يا ذا البطش الشديد، اجعل سمعنا بسمعك يا سميع، حتى لم أشاهد منه إلاّ سمعك، واجعل بصرنا ببصرك يبصر حتى لم أر فيما أراه إلاّ ببصرك، واجعل كلامنا بكلامك حتى لم أشاهد في كلامي إلاّ كلامك، يا ذا البطش الشديد، اجعل بطشنا الشديد القاهر على أنفاسي اللئيمة، وابطشني بلطف منك وحلم وجود، وكرم، حتى يغيبني عن إحساسي فيك غيبة حسنة، لم أذق لها ألما[1]، اللهم كما تكرمت علينا بإحسان نعمك، وتفضلت علينا باجزال أفضالك، تكرم علينا بدوام محبتك، يا كريم، وتفضل علينا بسوابغ قربك، اللهم كما عرفتنا بقدرنا وخساسة نفوسنا، عرفنا بقدر عظمتك، وسوابغ رحمتك، اللهم كما عرفتنا بالدليل إليك، عرفنا بالدليل منك، اللهم كما أحسنت لنا بما نريده منك، ونحن في إساءة مما لم ترده منا، حسن عواقب أمورنا في كل الأمور معك، وإن كنا في سوء الأدب معك، لأنك أنت أهل للعفو والصفح عن الذنوب، ونحن أهل للأراذل والعيوب، وأنت للرحمة والغفران، ونحن أهل للذنوب والعصيان، اللهم كما أحييت القلوب بالنظر إلى نور جمالك، وانعشت الأرواح بالجولان في سر تجلياتك، ومتعت السرائر بالهيمان في مدد حضرتك، يا حي يا قيوم يا جبار أحيي قلوبنا بمشاهدة حق معرفتك، ونعم أرواحنا في سر سر برهان دليلك، ومتع أسرارنا بالهيمان في جوهر سر حضرتك، اللهم أسألك[2]

---

1 م: ألم.

2 م: اسلك

بقربك منا فإنك أنت أقرب لنا من نور بصرنا إلى بصرنا، ومن سمعنا إلى سمعنا، ومن نطقنا إلى نطقنا، وأقرب لنا من بطشنا إلى بطشنا، ومن مشينا إلى مشينا، وأنت المتكلم، وأنت السميع، وأنت البصير. اللهم كما كنت أقرب إلينا من قربنا منا، قربنا منك يا قريب، فإن قربنا منك لا يعرفه منا إلاّ أنت، اللهم كما علمت قربك منا ولم نعلمه منك، فهمنا من قربنا إليك، حتى نعرفك بحسن قربك منا، فإنه لا يعرف القريب إلاّ القريب، وأنت هو القريب تعرف قربنا منك، ونحن ابعدتنا نفوسنا وحجبتنا ذنوبنا عن قربك، يا قريب، حتى كان بيننا وبينك مسافة حسية، وكما تعرف قربنا منك يا قريب، فاطو علينا مسافة نفوسنا، عسى أن نعرفك قريبا، وإلاّ فبعدنا لم يشهد لك قربا يا قريب، إن لم تفهمنا الأدب في حضرتك يا حاضر، لم نفهم معنى حضرتك، لأن حضرتك حاضرة لدينا، ونحن غيبتنا نفوسنا عن شهود حضرتك، وكيف تغيب عنا يا حاضر؟ ويحضر غيرك؟ وهو الغائب، لأن غيبتك عنا حضور، وحضور غيرك غيبة، ولو حضرت لنا لشهدنا غيرك غيبة، ووجودك حضورا، ولكن غيبنا عنك العدم يا حاضر، وصرنا غيبا في غيب، أي عدما في عدم، وإن تكرمت علينا بحضورك يا كريم لزال عدم غيبتنا بوجودك يا موجود، وأنت الذي خلقت العدم والوجود، العدم بوجودك انفقد، والوجود بوحدانيتك اتحد، ولولا ظهور وحدانيتك في الموجودات لم يظهر المفقود من الموجود، ولما ظهر وجودك في العدم، استنارت المكونات بإيجاد قدرتك فيها، فبظهورك يا ظاهر أظهر فينا من وجود ظاهرك حتى تظهر، وبباطنك يا باطن أبطن

فينا من سر حقائقك حتى نتحقق، وبأوليتك يا أول أدخلنا إلى حقيقة أزليتك حتى نتأمل، وبآخريتك يا ءاخر أخرنا عن رؤية نفوسنا، حتى تكون أنت لنا الأول، يا سامع الأصوات، يا مجيب الدعوات، يا مقيل العثرات، أنت الذي صورت خلقتنا من ماء مهين في بطون أمهاتنا، وسويتها ببنيانها، وسويتها في أحسن تقويم، ثم نفخت فيها من روحك، وجعلت فيها السمع والبصر والكلام، ومهدت لها الأرحام تمهيدا، ثم أخرجتها بقدرتك النافذة من ضيق الأرحام إلى سعة الدنيا، ثم أحدثت فيها صوتا حنينا، وخطابا لذيذا، فدعتك بذلك الصوت لتسمع أنينها[1]، وتستجيب دعاءها لما سمعت من قولك، وقولك الحق، ﴿**ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾[2]، فها نحن دعوناك بلسان الاضطرار، والتجأنا[3] إليك بحال الافتقار، وكيف لا تستجيب لنا في ذلك يا قهار، ونحن دعوناك لوعدك الصادق، وأنت لا تخلف الميعاد، ودعوناك بلسان الاضطرار، إظهارا للعبودية، وإقرارا بالربوبية، وأما كون الدعاء فتسمعه أنت من قبل النداء، وإنما دعوناك يا مجيب تعبدا لك، وتقربا لتلطف بأحوالنا، عند حلول أقدارك بنا، وتقيل عثرتنا من رؤية نفوسنا لا عالمنا، يا وهاب يا رزاق يا فتاح أنت الذي بيدك المواهب، فهب لنا من مواهبك ما تختار لنا أنت لا ما نختاره نحن لنفوسنا، فإن مواهبك تأتي من غير بذل المجهود،

---

1 م: أنينه.

2 غافر/ 60.

3 م: والجأنا.

فابذل لنا منها جذبات تجذبنا إليك، يا رزاق فارزقنا من مواهب فضلك الواسع، لتنشرح بذلك صدورنا، وينفس به ميدان سرنا، ويتسع فضاء الروح في خفاء أحوالنا، يا فتاح فافتح لنا من مواهب حكمتك، وفهمنا على مقتضى سرها، حتى نشهد منك ما يغيبنا ويغنينا عن غيرك، يا قهار فاقهر منا النفوس، وزكها في اطمئنان حقيقة قهريتك، حتى تصطلم شواهد إحساساتها الظاهرة والباطنة، يا معين فأعنا عما نحن عليه في عبوديتك، ولا تؤاخذنا بما نسينا فإن ذنوبنا أنستنا شهود منتك عليك، وأنت الذي سلطت علينا الذنب فعصيناك، فجائز أن تغفر لنا فإنه لا يغفر الذنب إلاّ أنت، يشهد لهذا قولك "**لولا أنكم لم تذنبوا لذهبت بكم، وخلقت خلقا ءاخر يذنبون، ونغفر لهم**"[1]، وأنت الغفور الرحيم، سبحانك ما أعظم شأنك يا معين، وبك أستعين، أي بك أستعين لا بنفوسنا، وبك تكون الإعانة لنا في أحوالنا، وأنت بأحوالنا بصير، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين، وإمام المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

تم هذا الكتاب بحول الله وقوته، وكمل بحمد الله، وحسن عونه، والحمد لله الذي وفقنا وألهمنا لنواطق جواهره، وفقهنا الفهم، وعلمنا حروف حكمه، حتى تكلمنا بكلام يجب الاستغفار منه، والتوبة، والرجوع منه إلى ناشئه، ولولا قدرته الصالحة فينا لم نتكلم بكلمة واحدة فيه، اللهم

---

1 رواه مسلم.

اغفر لنا فيما أفشيناه، وأصلح لنا الخلل في كتابنا هذا، وما نحن بسبيله، وأنت على ذلك قدير، وبالإجابة جدير، إنك بأحوالنا عليم خبير، ونحن دعتنا الضرورة إلى جمع ألفاظ هذا الكتاب، لكي تعرف لبعض أحبابنا وإخواننا الأصحاب، وبينا لهم ما يناسب أحوالهم في زوال الحجاب، ويوضح لهم في نفوسهم اللوم والعتاب، فذكرنا لهم على سبيل التبرك فيما سبق في كتابنا هذا فصلا وخطابا، ليتقرب به السالك إلى منازل الأحباب، ويكون له إعانة على خرق الحجاب، ووقاية من أليم العذاب، هذا لمن تأمله وقرأه أو نظر فيه باعتقاد صالح، ويقين خالص، وصدق ناصح، ونية بالغة، يرى له من العجائب والغرائب، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

هذا لمن تأمله، وأحسن النظر فيه بالوصف المذكور، وأما من نظره وتأمل فيه ولم يجد ما يوافق غرضه فيه، ويبهر عقله فيما ادعاه من الفهم فيه، على غير فهمنا، فليصلح خلل حروفه المنقوشة، ومعانيه المرسومة، وكلامه المنحرف، إن كان له فهم في ذلك، ويترك ما تلبس عليه في الكتاب، هذا مما ذكرناه في درجات أهل الجنة، وأحوال أهل المقامات، فإن فهم ذلك يصعب على من لم يكن له نور في بصيرته، وتسليم لأوليائه، وتوكل على الله في كل أموره، فإن من توكل على الله فوض أمره إليه، ومن اعتقد في ولي أسلم مراده لديه، لأن درجات الجنة وعلوم السادات، خرق في العادات، وخرق العادات لم ينحصر، والتسليم في ذلك أولى، لأن كلامنا هذا كله نبذة من نبذ شيخنا بن عزوز رضي الله عنه، عرفناه من بحر

فضله، واعترفناه من سر بركاته، وجعلناه عدة لإخواننا أهل الطريقة، وكل من اعتقد في طريقنا ليسلم قلب قاريه، وناظره ومعتقد فيه، من آفات الخلل، وشرور العلل، وفتنة الزمان، وأهله، لأن زماننا هذا ضعف فيه الدين، وكثر الانتقاد، وقل الاعتقاد فيمن اجتهد فيه، ورجع إلى الله بالتوبة والإنابة، فرتبنا في كتابنا هذا كلاما بحسب فهمنا في علوم السادات الأخيار، ليتاسى به سالك سبل الأسرار، في طريقتنا الخلوتية، لأن السلوك لم ينقطع، والآن موجود، والكلام فيه ليس محدودا إلاّ أن السالكين في الطريق قليلون، فعليك يا طالب السير والسلوك بالجد والاجتهاد، في طريق القوم من غير تراخ ولا تهاون ولا تكاسل، تجد ما وجدوه، وتذق ما ذاقوه، لأن السلوك باق في طريقتنا هذه إلى أن يأتي أمر الله، يشهد لذلك قول شيخنا بن عزوز رضي الله عنه: "نحن آخر جماعة المسلمين"، أي نحن آخر في الإسلام عند نفوذ الحكم، من يقول الله الله، وكان الأمر كذلك، وجعلنا هذا الكتاب عدة للسالكين، وتبركا للقاصرين، وحفظا للقاصدين، وسميته "بالجواهر المكنونة، في العلوم المصونة"، جعلنا الله وإياكم من السالكين طريق الأخيار، وحفظنا وإياكم من بؤس الأشرار، وغمدنا وإياكم برحمته الجبار، وختم لنا وإياكم بسعادة هذه الدار، وتلك الدار، بجاه سيدنا ومولانا محمد النبي المختار، وعلمنا وإياكم الأدب بين إخواننا أهل الأذكار، ونجانا وإياكم من كيد الفجار، ونصرنا وإياكم على الأعداء في هذه الدار، وغفر الله لنا ولوالدينا ولمشايخنا ولمن أقرأنا، ولمن أحسن لنا، ولمن أسأنا له، ولكافة المسلمين

أجمعين، فإن من قرأ هذا الكتاب، أو نظر فيه، أو سمعه، أو نسخه لنفسه، أو نسخه لغيره، مضمون في التربية، مسلوك به سبيل النجاة، مغفور له، ولمن أحبه، والسلام.

تم تأليفه بحمد الله وحسن عونه في اليوم السادس من شهر الله شعبان، عند وقت الضحى، يوم الأحد، هذا بعدد العربي، وأما شهور الروم شباط وهو فراير، بعدد العجمي بعد أن خلت منه إحدى وعشرون يوما، وهو اليوم السادس أيضا في فصل الربيع عام اثنين وأربعين بعد المائتين والألف، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما، انتهى.

انتهت قراءته ومقارنته بالمخطوط الذي رمزت إليه ب"م"، يوم الاثنين 6 رمضان 1434هـ، عند الظهيرة، بمنزلي بالعاشور، وبتاريخ 15 جويلية 2013، والحمد لله رب العالمين.

الفقير إلى ربه: عمار الطالبي غفر الله له وعفا عنه.

فهرس الآيات

﴿ولا يغتب بعضكم بعضاً﴾	12	الحجرات	50
﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها﴾	160	الأنعام	57
﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾	46	الحج	58
﴿إنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وجعلوا أعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾	34	النمل	59
﴿خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً﴾	102	التوبة	62
﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾	42	الحجر	118/62
﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾	03	الحديد	65
﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾	27	الفجر	71
﴿فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾	99	الأعراف	72
﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾	36	الشورى	82
﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللّهِ بَاقٍ﴾	96	النحل	83
﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾	13	الانفطار	83
﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾	85	الإسراء	95
﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾	03	المائدة	95
﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ﴾	59	الأنعام	96
﴿هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ، فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾	22-21	البروج	97
﴿يَمْحُو اللّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾	39	الرعد	97
﴿شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ﴾	18	آل عمران	97
﴿وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ﴾	18	آل عمران	97
﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾	16	التغابن	98

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿واعبُدْ ربّك حتّى يأتيك اليقينُ﴾	99	الحجر	101
﴿وما خلقتُ الجنّ والإنس إلّا ليعبُدُون﴾	56	الذاريات	101
﴿ومن يتوكّلْ على الله فهُو حسْبُهُ﴾	03	الطلاق	101
﴿وعسى أن تكْرهُواْ شيْئاً وهُو خيرٌ لّكُمْ وَعَسَى أن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شرٌّ لّكُمْ﴾	216	البقرة	102
﴿إنْ هُمْ إلّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾	44	الفرقان	102
﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾	07	الحشر	102
﴿مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾	04	الأحزاب	103
﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا﴾	06	هود	104
﴿إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾	53	يوسف	106
﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء﴾	268	البقرة	106
﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾	23	الجاثية	106
﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾	15	التغابن	106
﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾	37	النور	107
﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾	29	الرحمن	107
﴿فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾	36	الحجر	113
﴿إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾	40	الحجر	113
﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾	42	الحجر	113
﴿لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا﴾	286	البقرة	114
﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾	110	الكهف	115

﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾	03	الطلاق	116
﴿إن الله لا يأمر بالفحشاء﴾	28	الأعراف	116
﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾	48	النساء	116
﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾	11	الضحى	117
﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾	55	طه	121
﴿إنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾	111	التوبة	121
﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾	18	الأنبياء	125
﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾	123	آل عمران	128
﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾	34	النمل	128
﴿لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾	46	الحج	129
﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾	07	الحشر	129
﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾	69	العنكبوت	130
﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾	99	الأعراف	134
﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾	31	آل عمران	135
﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾	78	الحج	136

﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ، قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً، نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً، أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾	04-01	المزمل	142/138
﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾	03	الطلاق	139
﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾	156	الأعراف	144
﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾	82	يس	145
﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾	23	الأنبياء	145
﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾	56	الأعراف	145
﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾	19	محمد	147
﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾	03	الحديد	148
﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ، قُمْ فَأَنذِرْ، وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ، وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ، وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ، وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ، وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾	07-01	المدثر	150
﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾	69	العنكبوت	151
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾	11	الحج	152
﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾	24	الواقعة	152
﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾	17	الغاشية	162
﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾	05	التكاثر	162
﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾	07	التكاثر	163
﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾	72	الأحزاب	163
﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾	72	الأحزاب	164

﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَـكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾	143	الأعراف	164
﴿إِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾	51	الحاقة	166
﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾	88	القصص	167
﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾	60	البقرة	168
﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾	17	السجدة	169
﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾	3-2	الطلاق	169
﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾	07	الشورى	172
﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾	46	الرحمن	172
﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً﴾	71	مريم	173
﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾	71	مريم	175
﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾	07	الحشر	175
﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾	23-22	القيامة	176
﴿خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾	102	التوبة	178
﴿وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاَّ قَلِيلاً، مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَـؤُلاء﴾	-142 143	النساء	178

﴿إنَّ اللَّه شديدُ الْعقاب﴾	07	الحشر	179
﴿منْ عمل صالحا فلنفْسه ومنْ أساء فعليْها وَما ربُّك بظلَّام لِّلْعبيد﴾	46	فصلت	179
﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾	105	هود	179
﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾	23	الأنبياء	179
﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾	60	البقرة	180
﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾	03	المائدة	181
﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾	05	الجمعة	182
﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾	28	الكهف	182
﴿وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾	113	هود	183
﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ﴾	29	الكهف	183
﴿قُلِ اللّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾	91	الأنعام	185
﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾	17-16	الأعلى	186
﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾	29	الرحمن	188
﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾	103	الأنعام	189
﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾	71	مريم	191
﴿لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾	46	الحج	192

﴿وما الحياةُ الدُّنيا إلاَّ متاعُ الغُرورِ﴾	20	[illegible]	192
﴿من كان يُريدُ حرْثَ الآخرة نزدْ لهُ في حرْثه ومن كان يُريدُ حرْثَ الدُّنيا نُؤته منْها وما لهُ في الآخرةِ من نُصيبٍ﴾	20	[illegible]	193
﴿إنّ عِبادِي لَيْسَ لكَ عليْهِمْ سُلْطانٌ﴾	65	الإسراء	195
﴿ولاَ تحْسَبنَّ الّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أمْواتاً بَلْ أحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾	169	آل عمران	196
﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾	57	العنكبوت	201
﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾	26	الرحمن	201
﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ﴾	55	طه	201
﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ، ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ﴾	28-27	الفجر	203
﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾	42	الزمر	203
﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾	53	يوسف	205/204
﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾	2-1	القيامة	205
﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾	42	الزمر	207
﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾	85	الإسراء	211/207
﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا﴾	56	النساء	211
﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ﴾	60	مريم	221

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
	07	إبراهيم	221
﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾	102	التوبة	222
﴿خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم﴾			
﴿لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾	46	الحج	229
﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾	44	البقرة	232
﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾	11	الضحى	233
﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾	88	القصص	250
﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾	199	الأعراف	255
﴿فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾	99	الأعراف	257
﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾	41-40	النازعات	262
﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾	39	النجم	264
﴿وَاللّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾	71	النحل	264
﴿يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾	27	إبراهيم	272
﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾	60	البقرة	286
﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾	03	الحديد	293
﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾	156	الأعراف	299/295
﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾	90	النمل	299
﴿إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾	82	يس	303

﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾	84	الزخرف	304
﴿وَحُورٌ عِينٌ، كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ، جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾	24-22	الواقعة	307
﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾	71	الزخرف	307
﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ، وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾	08-07	الزلزلة	310
﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾	07	الشورى	311
﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾	60	غافر	327

فهرس الأحاديث

نص الحديث	التخريج	رقم الصفحة
يد الله مع الجماعة	رواه الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما	30
الاجتماع رحمة، والفرقة عذاب	حديث حسن	31
ما من مجلس اجتمع فيه الناس على ذكر الله إلا وحفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، وذكرهم الله في من عنده	رواه مسلم والبخاري عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه	31
المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا	أخرجه الطبراني عن أبي هريرة وأبي سعيد	31
والمخلصون على خطر	أورده البيهقي في الأحاديث الضعيفة	117/74/47
تفكر ساعة أفضل من عبادة سبعين سنة	لم نعثر عليه في أي من كتب الحديث	47
لسانك سبع إن أطلقته أكلك وإن صنته صانك	لم نعثر عليه في أي من كتب الحديث	56
وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم	رواه أحمد في مسنده	56
من عرف ربه كل لسانه	حديث مرفوع، قال النووي ليس بثابت	57

مضغة في الجسد إذا صلحت صلح الجسد كله ألا وهي القلب	أخرجه البخاري في الصحيح	185 58
سر بين العبد وربه لا يعلمه ملك مقرب فيكتبه ولا نبي مرسل ولا شيطان فيفسده	رواه أحمد في مسنده	63
صدور الأحرار قبور الأسرار	كلام صحيح وليس بثابت	64
ما قل وكفى خير مما كثر وألهى	أخرجه أحمد	64
أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلّت	رواه مسلم	64
ما زال عبدي يتقرب إلي بالنوافل	رواه البخاري	70
إنما الأعمال بالخواتم	رواه البخاري	/141/72 310/286/142
موتوا قبل أن تموتوا	حديث مرفوع، قال ابن حجر غير ثابت	72
حسنات الأبرار سيئات المقربين	أورده الألباني في الأحاديث الضعيفة	111/79/73
إن الله يترل العبد حيث أنزله من نفسه	رواه أحمد	76
حب الدنيا رأس كل خطيئة	أورده الألباني وابن تيمية في الأحاديث الضعيفة	80
الدنيا حلوة خضرة	رواه مسلم	83/80
الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما هو لله	أخرجه الترمذي والدارمي وابن ماجة	81
الدنيا مطية الآخرة	حديث غير صحيح	81
ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة	رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة والحاكم	82

الدنيا جيفة قذرة	لم نعثر عليه في أي من كتب الحديث	83
لا تزال طائفة من أمتي قائمين على الحق لا يضرهم من خالفهم إلى يوم القيامة	أخرجه ابن ماجة وصححه الألباني	83
ليس منا من لم يولد مرتين	حديث ضعيف	86/85/84
شريعة بلا حقيقة زندقة، وحقيقة بلا شريعة فسق	لم نعثر عليه في أي من كتب الحديث	89
كتب القلم وجف بما هو كائن	أخرجه أحمد وابن حجر	96
ما كانت معجزة لنبي إلا وهي كرامة لولي	لم نعثر عليه في أي من كتب الحديث	99
الخير كله في الاتباع والشر كله في الابتداع	لم نعثر عليه في أي من كتب الحديث	102
كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار	أخرجه النسائي وابن خزيمة	103
لعن الله ذا الوجهين	أخرجه مالك والبخاري ومسلم وابن حبان	104
من عرف دنياه أضر بآخرته، ومن عرف آخرته أضر بدنياه	أخرجه أحمد وابن حبان	105
خلقت لكم الدنيا لتعبروها لا لتعمروها	لم نعثر عليه في أي من كتب الحديث	105
السبب سنتي، والتوكل حرفتي	لم نعثر عليه في أي من كتب الحديث	107

من أحب شيئا أكثر من ذكره	رواه الديلمي في الأحاديث الضعيفة	107
حبك للشيء يعمي ويصمي	حديث ضعيف	107
خادم القوم سيدهم	لم نعثر عليه في أي من كتب الحديث	108
جف القلم بما هو كائن	أخرجه الترمذي في نوادر الأصول	115/110
أتوب في اليوم سبعين وأستغفر	لم نعثر عليه في أي من كتب الحديث	110
ويل لمن أشارت له الأصابع ولو بخير	لم نعثر عليه في أي من كتب الحديث	115
العمل لأجل الناس شرك وتركه لأجلهم رياء	لم نعثر عليه في أي من كتب الحديث	115
جاءك شيطانك، قالت له أليس لك شيطان؟، قال بلى، ولكن دعوت الله فأعانني عليه فأسلم	أخرجه مسلم والنسائي	116
هم القوم لا يشقى جليسهم	رواه الترمذي والبخاري	117
الدنيا سجن المؤمن	أخرجه ابن ماجة، ومسلم، والنووي، والترمذي، وابن حبان، وأبي يعلى	117
رجعنا من الجهاد الأصغر	رواه البيهقي	128
إن الله لا ينظر لصوركم ولا لأعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم	رواه مسلم	129

الحديث	التخريج	الصفحة
أسرع ما عند الله زوال النعم	لم نعثر عليه في أي من كتب الحديث	134
خير الأمور أوسطها	أخرجه ابن جرير في تفسيره	136
إن الدين يسر، ولن يشاد أحد الدين إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة	أخرجه البخاري	136
ولن يشاد أحد الدين إلا غلبه	رواه البخاري	138/137
لا يحل لامرئ أن يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه	لم نعثر عليه في أي من كتب الحديث	137
كلوا واشربوا في نصف البطون	لم نعثر عليه في أي من كتب الحديث	137
فسددوا، وقاربوا، وعليكم بالغدوة والروحة، وشيء من الدلجة	أخرجه البخاري	139
عبدي اذكرني ساعة بعد الصبح وساعة بعد العصر أكفك ما بينهما	أخرجه الترمذي	141
لأن أجلس بعد صلاة الصبح أذكر الله إلى أن تطلع الشمس ونصلي ركعتين أحب إلي مما تطلع عليه الشمس أو خير من الدنيا وما فيها	لم نعثر عليه في أي من كتب الحديث	141
شيء من الدجلة	رواه الألباني في صحيحه	143/142
يترل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول هل من داع فاستجيب له وهل من تائب فأتوب عليه	أخرجه الترمذي	143
أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله	رواه مالك في الموطأ	154/149

أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذ قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله	رواه البخاري والترمذي	149
شريعة بلا حقيقة زندقة، وحقيقة بلا شريعة فسق	لم نعثر عليه في أي من كتب الحديث	150
ما اتخذ الله وليا جاهلا إلا وعلمه	لم نعثر عليه في أي من كتب الحديث	150
من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين	رواه البخاري ومسلم	151
اذكروا الله حتى يقولوا مجنون	رواه ابن حبان	154
أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه	قال النووي ليس بثابت	156
من عرف ربه كلّ لسانه	قال النووي ليس بثابت	156
بين العبد وربه سبعون حجابا أو سبعون ألف حجاب لو كشفها السالك لحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره	لم نعثر عليه في أي من كتب الحديث	157
لم يلج ملكوت السموات والأرض من لم يولد مرتين	لم نعثر عليه في أي من كتب الحديث	165
ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا نشورهم كأني أنظر إليهم عند الصيحة ينفضون رؤوسهم من التراب ويقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور	أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عمر مرفوعا	173
لن يرى أحدكم ربه حتى يموت	رواه مسلم والترمذي	176
حظ المؤمن من النار الحمى	رواه الألباني والعقيلي	177

هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي وهؤلاء إلى النار ولا أبالي	رواه الألباني	179
الشقي من شقي في بطن أمه، والسعيد من سعد في بطن أمه	أخرجه مسلم والألباني	309/179
الله المعطي وأنا القاسم	أخرجه البخاري	182/180
من عاشر قوما أربعين صباحا تخلق بخلقهم	لم نعثر عليه في أي من كتب الحديث	183
طوبى للغرباء من أمتي قالوا ومن الغرباء يا رسول الله، قال الذين إذا فسد الزمان صلحوا	رواه أحمد وابن ماجة	186
ما زال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده الذي يبطش بها	أخرجه البخاري وابن حجر	189
عجب ربك من قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل إلى الجنة	رواه البخاري وأحمد وأبو داود	191/190
الدنيا لا تصفو لمؤمن	قال الألباني حديث حسن	194
إن للموت سكرات، اللهم شدد علي سكرات الموت وخففها عن أمتي	لم نعثر عليه في أي من كتب الحديث	196
أوتي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بلحم فرفع إليه الذراع، وكانت تعجبه فنهش منها نهشة، فقال أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون بما ذلك يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقونه، ولا يحملونه، فيقول	رواه البخاري ومسلم	199

لبعضهم بعضا ألا ترون ما أنتم فيه؟ قد بلغكم
ألا تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم فيقول
بعض الناس لبعض إيتوا آدم، فيقولون يا آدم
أنت أبو البشر خلقك الله تعالى بيده، ونفخ
فيك من روحه، أمر الملائكة فسجدوا لك،
اشفع لنا إلى ربنا الا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى
ما قد بلغنا؟ فيقول آدم إن ربي غضب اليوم
غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده
مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي
نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح،
فيأتون إلى نوح فيقولون يا نوح أنت أول
الرسل إلى الأرض وسماك الله عبدا شكورا
اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا
ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم نوح إن ربي
غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن
يغضب بعده مثله، وأنه كانت لي دعوة دعوت
بها على قومي، نفسي نفسي، اذهبوا إلى
إبراهيم، فيأتون إبراهيم فيقولون يا إبراهيم أنت
نبي الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى
ربنا، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟
فيقول لهم إبراهيم إن ربي غضب اليوم غضبا لم
يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله،
وذكر كذباته، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري،
اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى فيقولون يا
موسى أنت رسول الله فضلك الله برسالته

وبتكليمه على الناس، اشفع لنا إلى ربنا، ألا
ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم موسى إن ربي
غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن
يغضب بعده مثله، وإني قتلت نفسا لم أومر
بقتلها، نفسي نفسي، اذهبوا إلى عيسى، فيأتون
عيسى فيقولون يا عيسى أنت رسول الله
وكلمت الناس في المهد، وكلمة منه ألقاها إلى
مريم، وروح منه، اشفع لنا إلى ربنا، ألا ترى
ما قد بلغنا؟ فيقول لهم عيسى إن ربي غضب
اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب
بعده مثله، و لم يذكر ذنبا، نفسي نفسي،
اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد صلى الله
عليه وسلم، فيأتون فيقولون يا محمد أنت
رسول الله، وخاتم أنبيائه، وغفر الله لك ما
تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربنا ألا
ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فانطلق
فآتي تحت العرش، فأقع ساجدا لربي، ثم يفتح
الله علي، ويلهمني من محامده، وحسن الثناء
عليه، شيئا لم يفتحه لأحد غيري، فيقول يا
محمد ارفع رأسك، سل تعط، اشفع تشفع،
فأرفع رأسي فأقول: يا رب أمتي! فيقول يا
محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه
من باب الإيمان من أبواب الجنة، وهم شركاء
الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، والذي
نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من

الحديث	التخريج	الصفحة
مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر، أو كما بين مكة وبصرى، وفي البخاري كما بين مكة وحمير		
لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجلت لكل نبي دعوته وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي	رواه البخاري ومسلم	199
أنا عند ظن عبدي بي فليظن ما شاء	رواه البخاري ومسلم	212
إنما الأعمال بالنيات ولكل امرء ما نوى	رواه البخاري ومسلم وابن ماجة والبيهقي	237/121
إنما يرحم الله من عباده الرحماء	رواه البخاري ومسلم	222
لا تزال طائفة من أمتي قائمين على الحق	رواه مسلم	230
كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته	رواه البخاري	231
الصمت حكمة وقليل فاعله	رواه البخاري	231
الحسد ليأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب الرقيق	رواه أبو داود وابن ماجة	232
لا تباغضوا ولا تتحاسدوا	رواه مسلم	232
التحدث بالنعم شكر	حديث مرفوع	233
الخير فيّ وفي أمتي إلى يوم القيامة	أجمع المشايخ على عدم صحته	233
بدأ الدين غريبا وسيعود غريبا، طوبى للغرباء من أمتي	رواه مسلم	233
ولنفسك عليك حق، ولزوجتك عليك حق، ولربك عليك حق	رواه البخاري	245
والخوض في ذاته إشراك	لم نعثر عليه في أي من كتب الحديث	250

أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم	حديث ضعيف	267
يموت المرء على ما عاش عليه، ويبعث على ما مات عليه	رواه مسلم	275/272
نعم الرؤية الصالحة للرجل الصالح	رواه البخاري	274
علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل	حديث ضعيف	280
إن المقام المحمود أعلى مكان في الجنة، وأنها لا تكون إلا لرجل واحد، وأرجو أن أكون أنا هو ذلك الرجل	لم نعثر عليه في أي من كتب الحديث	282
تركت فيكم واعظين أحدهما ناطق، والآخر صامت	لم نعثر عليه في أي من كتب الحديث	294
ما كان شيء لم أره إلاّ رأيته في مقامي هذا حتى الجنة والنار	رواه البخاري	304
لولا أنكم لم تذنبوا لذهبت بكم، وخلقت خلقا ءاخر يذنبون، ونغفر لهم	رواه مسلم	328

فهرس الموضوعات

الطبعة الأولى: 1436 هـ/ 2015 م

الناشر: مؤسسة بونة للبحوث والدراسات

ص ب: 76 A (وادي القبة) - عنابة - الجزائر

الهاتف: 72.10.87.82 (213+)

الناسوخ (الفاكس): 38.43.75.35 (213+)

البريد الإلكتروني: Saad_alandaloussi@hotmail.com

طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية
وحدة الرغاية - الجزائر-
2015
Achevé d'imprimer sur les presses
ENAG, Réghaïa
-Algérie-
Bp 75 Z.I. Réghaïa Tél: (023) 96 56 10 /11